ضحى أيمن خلاف

عالم آخر

رواية

عالم آخر

رواية

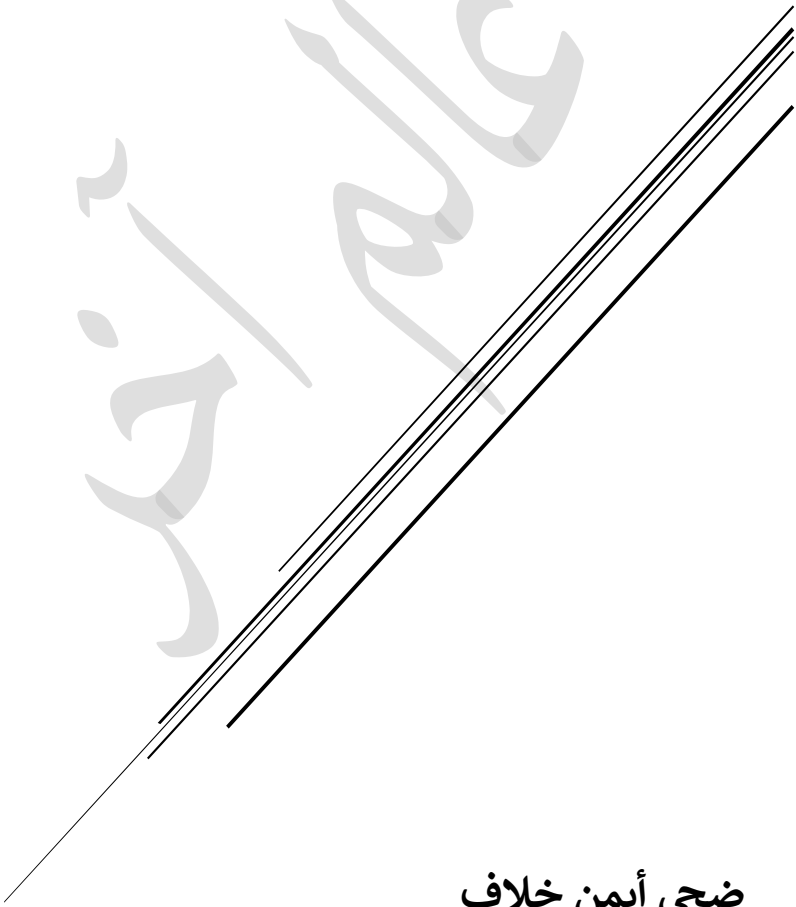

ضحى أيمن خلاف

مقدمة

لكلٍ منا عالمه الخفي، ذلك العالم الذي لا تطاله الأعين ولا تكشفه الملامح. إنه عالم يسكنه وحده، عالم يحمل بداخله أسرارًا وأفكارًا، رغباتٍ مكبوتةً وذكرياتٍ مطمورة. نتساءل أحيانًا، ما الذي يحدث هناك؟ ما الذي يكمن خلف نظراتٍ تتوارى خلف أقنعةٍ من الهدوء والصمت؟ قد يبدو لنا البعض عاديين، ولكن خلف ذلك الهدوء قد يختبئ عالم مضطرب.

لكن.. ماذا لو كان لهذا الشخص الغامض عالمٌ آخر، عالَمٌ يتحرر فيه من قيود المجتمع، ويصبح فيه قاضيًا وجلادًا؟ ماذا لو دفعته تلك الظلمات التي يسكنها لارتكاب جرائم، لا طمعًا أو انتقامًا لنفسه، بل لتحقيق العدالة لغيره؟ نعم، هناك من يختار أن يكون اليد التي تردّ حقوقَ من خانهم القدر وغدر بهم أحباؤهم. فهل يمكن أن تتحول تلك الرغبة المظلمة في تحقيق العدالة إلى دافعٍ للقتل؟

(1)

"مأساة"

في أحد العقارات التي يفترض أنها تحت الإنشاء، عُثر على جثة غارقة في الدماء، مما دفع الشرطة لبدء تحقيق في هذا المكان المهجور والخالي من السكان، حيث لم يكن فيه سوى حارس العقار. الحارس، الذي لم يشهد الحادث، سمع صوت إطلاق النار لكنه لم يرَ القاتل، وكان يردد أثناء استجوابه: "لم أرَ من فعلها، ولا أعلم كيف اختفى بهذه السرعة". الحيرة كانت واضحة على المحققين؛ فالمكان بلا كاميرات مراقبة أو حراسة إضافية، مما جعلهم يتساءلون: كيف سيعثرون على القاتل في غياب أي دليل واضح؟

***

قبل عشرين عامًا، كانت أسرة "جمال صقر"، المحاسب البسيط المتزوج من "أسماء الجريني"، تتكون من صبي وابنتين. كان عمر الصبي، "عادل"، لا يتجاوز ست سنوات، بينما كانت ابنته "نور" تصغره بثلاثة أعوام و"ملك" تصغره بسنة واحدة فقط. كانت أسماء تحلم برؤية ابنها الوحيد ضابطًا في الشرطة، وهو حلمها الوحيد.

كانت شقة شقيق جمال، "نبيل"، بجوار شقته، لكن حياته مع زوجته لم تكن على ما يرام. كان لديه ابن في سن عادل يُدعى "كريم"، وهو وحيد والديه، إذ قررت زوجته عدم الإنجاب مجددًا بسبب كثرة الشجارات بينهما. ثم جاء اليوم المشؤوم الذي هربت فيه زوجة نبيل من المنزل

واختفت تمامًا. بحث الجميع عنها بلا جدوى، وكأن الأرض انشقت وابتلعتها. منذ ذلك الحين، فقد كريم النطق ولم يعد قادرًا على الكلام.

قرر نبيل بعد ذلك أن يسافر بحثًا عن حياة جديدة بعد هروب زوجته، لكن لم يفكر في ابنه الوحيد وتركه مع شقيقه جمال ليعتني به حتى يعود. تشاجر جمال مع نبيل عدة مرات حول هذا الموضوع، محذرًا إياه أن ابنه بحاجة إليه خاصةً بعد فقدان أمه. كانت الصدمة الكبرى عندما قرر نبيل التخلي عن ابنه الوحيد!

حينها نزل الخبر على رأس جمال كالصاعقة، وكاد أن يعتدي على أخيه لولا تدخل أسماء التي حاولت الفصل بينهما، رغم أنها لم ترغب في التورط في هذا الموضوع. أخبر نبيل جمال بأنه ينوي إرسال كريم إلى إحدى دور الأيتام، مما أثار غضب أسماء بشدة. عندها قررت التدخل، وأخبرت نبيل بأنها لن تسمح بذلك، وأنها ستقوم برعاية كريم كأحد أبنائها. لم يكترث نبيل لحديثها، وأخذ حقيبته ليغادر.

ضمت أسماء كريم إلى صدرها بحنان، وطمأنته بأنها ستكون بجانبه، وأنه سيعيش مع أبناء عمه. ومع مرور الأيام، بدأت حالة كريم تتحسن، لكنه ظل صامتًا، وكأنه أصيب بالبكم.

بعد مرور ستة أشهر، استيقظت أسماء من نومها ودلفت إلى غرفة البنين لتوقظهم للذهاب إلى المدرسة، لكنها تفاجأت عندما وجدت ابنها عادل فقط! أين ذهب كريم؟

بدأت تبحث عنه في أرجاء المنزل، ولكنها لم تجده. ثم لاحظت أن الباب مفتوح على مصراعيه، فاندفعت نحوه مسرعة. خرجت إلى الخارج ونظرت إلى شقة نبيل، فوجدتها مغلقة بإحكام. اتصلت بزوجها الذي

كان في عمله وأخبرته بما حدث، فهرع إلى المنزل وسألها عما جرى. قصت عليه ما حدث، وبدأوا يسألون الجيران، لكنهم لم يروا كريم.

مع مرور أربعة وعشرين ساعة، قرروا التوجه إلى مركز الشرطة وتقديم بلاغ عن اختفاء الطفل، ولكن بلا جدوى. مرت الأيام والشهور والسنين، واختفى كريم تمامًا كما اختفت والدته.

***

بعد مرور عشرين عامًا، تغيرت الأحوال بشكل كبير، فقد أصبحت أسرة جمال صقر واحدة من الأسر الثرية في محافظة القاهرة. تحقق حلم أسماء، حيث أصبح عادل ضابط شرطة كما تمنت والدته، بينما أصبحت نور صحفية مشهورة في قسم التحقيقات، وملك طبيبة نفسية معروفة في مجالها. كانت أسماء تفتخر بأولادها، كما كانت فخورة بزوجها الذي أصبح مديرًا للبنك الذي كان يعمل فيه محاسبًا صغيرًا.

في صباح أحد الأيام، مع بداية فصل الربيع واعتدال الطقس تحت أشعة الشمس المشرقة، استيقظت نور على صوت إنذار هاتفها ففصلته، ثم جلست على سريرها تفكر في المقالة التي غفت قبل أن تكملها. نهضت بسرعة وأسرعت إلى الأسفل، وهي تمسك بجهاز الحاسوب الخاص بعملها، فهرولت نحو حديقة المنزل. عندما رأتها والدتها، رمقتها بنظرة سريعة وحائرة، ثم قالت:

- صباح الخير يا نور، يلا تعالي افطري.

قالت وهي تتناول رقائق البطاطس:

- حضرتك عارفة إني مش بفطر.

أخذت صحن المقرمشات من أمامها وقالت:

- ما هو ده اللي أنتِ فالحة فيه، الحاجات اللي بتدمر الصحة والمعدة.

قالت نور وهي تضحك:

- هحاول أبطلها، المهم دلوقتي يا ست الكل لو هتعبك معايا عايزة فنجان قهوة من ايديكِ الحلوين دول عشان ألحق أخلص المقالة قبل ما أروح الجريدة.

- هعملك القهوة بس بشرط.

- أؤموريني يا ست الكل.

- تفطري معانا.

- أوعدك هفطر أول ما أخلص المقالة.

- مفيش قهوة قبل الفطار.

زفرت نور بضيق ثم قالت:

- أنا كده هتأخر..

- لا مش هتتأخري ولا حاجة، كان زمانك قُمتِ من بدري وفطرتِ.

- حاضر يا ماما روحي أنتِ وأنا جاية وراكِ.

انصرفت الأم من أمامها وفتحت نور جهاز الحاسوب وسرعان ما دخلت على الانترنت لتلقي الأخبار الجديدة، فتفاجئت عندما رأت خبر قتل رجل

الأعمال المصري الشهير "طاهر المنسي" فوضعت يدها على فمها من فرط صدمتها ثم أمسكت بهاتفها وتواصلت مع إحدى صديقاتها قائلة:

- أيوة يا مريم.. شوفتي اللي حصل، طاهر المنسي اتقتل!

في حي المعادي، كان هناك شقة صغيرة متواضعة يعيش فيها شاب في أواخر عقده الثالث يدعى عمر مع والدته، التي كانت عاجزة عن القيام بأي شيء بسبب كبر سنها. كان عمر الابن الوحيد، وقد تخرج في كلية الحقوق قبل ثلاث سنوات، لكنه الآن عاطل عن العمل ويبحث عن فرصة تعينه على تدبير أموره ومعيشة والدته.

تلقى قبل قليل مكالمة هاتفية من مالك أحد المقاهي المنتشرة في حي المعادي، فتودّع من والدته وخرج من المنزل. اتجه نحو المقهى الذي يبعد عن منزله بمقدار خمس عشرة دقيقة. عندما وصل، أُعجب بالمكان، وشعر بأن الأمل قد تجدد بداخله. دخل المقهى والتقى بإحدى العاملات، لكنه لم يتحدث إليها، إذ وجدها ترمقه بنظرة غير عادية. ثم التقى بأحد العمال وسأله:

- لو سمحت.. كنت عايز أقابل مدير المكان نادر بيه.

- أنت الموظف الجديد؟

ابتسم عمر محدثًا نفسه قائلًا:

- أنا اتوظفت بالسرعة دي!

فقال ذلك الشخص:

- تعالى معايا هو مستنيك وقالّي أول ما تيجي أوديك لعنده.

- طب يلا بينا.

ذهب عمر مع رامي نحو غرفة السيد نادر، فطرق الباب ودخل بعد أن أذن له بالدخول. عندما دخل، انصرف رامي بناءً على طلب المدير، وطلب منه السيد نادر أن يجلس. ثم قال له:

- قولّي يا عمر عندك كام سنة وساكن فين ومؤهلك إيه..

- أنا عندي خمسة وعشرين سنة وساكن في المعادي قريب من هنا، واتخرجت من كلية الحقوق جامعة حلوان.

- وليه مشتغلتش في المحاماة؟

- أنا محامي شئون قانونية.

- محاولتش تشوف شركات؟

- للأسف الموضوع صعب خاصة إني لسه متخرج من ٣ سنين.

- بس ٣ سنين كتير أوي يا عمر، قولّي أنت دخلت الجيش؟

- لا أنا وحيد وعايش مع والدتي بس.

- مفكرتش تتجوز؟

ضحك عمر وقال بنبرة ساخرة:

- بقول لحضرتك مش لاقي آكل ومش لاقي شغل وشاب على باب الله وبصرف على أمي، هفكر أتجوز ازاي بس.

- على العموم أنا معنديش وظايف دلوقتي غير شغل الجرسون، للأسف كنت محتاج موظف علاقات عامة بس أنت مش دارس.

- لا أنا واخد كورسات في العلاقات العامة، أصلي بصراحة كان حلم حياتي أدخل اعلام بس محصلش نصيب.

- أقدر أشوف الشهادات؟

- كل حاجة في الملف عند حضرتك.

فتح نادر الملف ورأى صورة الهوية الخاصة بـ عمر فنظر إليه متعجبًا ثم قال:

- إيه ده!

- أنا نسيت أقول لحضرتك إن اسمي الحقيقي كريم.. بس أمي بتحب تناديني بـ عمر.

- تمام يا عمر طالما مفيش حد بيناديك باسمك اللي في البطاقة، خلينا فـ عمر أحسن.

- تسلم يا نادر بيه..

دخل رامي عندما طلبه نادر ثم قال نادر وهو يضع أوراق عمر في الملف الخاص به ويضعه في أحد أدراج مكتبه:

- خد عمر عرفه تفاصيل الشغل.

- تمام يا نادر بيه، تعالى معايا يا عمر.

ابتسم عمر بسعادة عندما قبله نادر في العمل، وكان نادر يرمقه بنظراتٍ تشي بالكثير وبمجرد خروجه من الغرفة أمسك هاتفه واتصل ب

على جمال فأجاب قائلًا:

- نادر بيه.. عاش من سمع صوتك.

- أهلًا أهلًا جمال بيه، معلش بقى المشاغل والمسئوليات حضرتك سيد العارفين.

- ربنا يعين كل واحد على همه.. قولّي محتاج تعمل إيداع في البنك ولا سحب؟

- لا إيداع ولا سحب، أنا عايزك في موضوع تاني خالص.

- موضوع إيه قلقتني!

- لا لا متقلقش، كل خير بإذن الله..

أمسك بصورة الهوية الخاصة بـ عمر ثم أردف قائلًا:

- كريم نبيل سيف الدين صقر، يقربلك ولا تشابه اسماء؟

قال جمال بصدمة:

- أنت قولت مين!!

***

أكملت كتابة مقالتها حتى انتهت، ثم أرسلتها إلى رئيس التحرير وهي تبتسم براحة، لكن قلبها كان يعاني من ألم وفاة رجل الأعمال طاهر المنسي. دخلت إلى غرفتها وارتدت ملابس الخروج، ثم نزلت لتلتقي بأخيها في الأسفل. تجاهلته ومرت بجانبه دون أن تتحدث إليه، لكن سرعان ما توقفت عندما نادى عليها. التفتت إليه، ونفخت في الهواء، ثم قالت:

- نعم.. عايز إيه؟

- رايحة فين؟!

ضحكت بسخرية ثم قالت:

- هكون رايحة فين يعني، رايحة الجريدة.

- أنتِ مش ناوية تسيبي الشغل ده!

- شغل إيه اللي أنت عايزني أسيبه!

- الشغل اللي مليان اختلاط ومش مضبوط، أنا مش عارف أنتِ متمسكة بيه ليه أوي كده، بتقبضي كام يعني؟

- أولًا أنا مش بتعامل مع حد غير مريم ورئيس التحرير، حتى مش بعترف بكلمة زملاء عمل، مليش أي علاقة بـ أي حد هناك من الجنس الآخر.

- حلو.. بس بالنسبة لرئيس التحرير ده مش من الجنس الآخر؟

- مضطرة أتعامل معاه عشان ده المدير وبعدين ده قد بابا في السن وغير كده تعاملي معاه محدود.. وبعدين ما عندك ملك بتشتغل طبيبة نفسية وأغلب تعاملاتها فيها اختلاط!

- ملك مضطرة تتعامل لأنهم مرضى وليس على المريض حرج وكمان مش بتبقى لوحدها، مساعدتها دايمًا معاها، أنتِ مش مضطرة لـ أي حاجة ومش مضطرة للشغل أصلًا.

- شكلك فاضي، روح شوف القضية اللي قالبة الدنيا، أعتقد إن أنت اللي هتحقق فيها، ده حتى مقتول هنا في المعادي.

- لسه جاي من موقع الجريمة وهروح تاني لما معمل التحليل الجنائي يوصل.

- أوكي.. يلا باي.

- استني هنا..

- فيه إيه تاني!

- احنا لسه مخلصناش كلامنا..

- بص يا عادل يا حبيبي، أنت أخويا اه بس مش واصي عليا وطالما أنا ملتزمة وعارفة ديني كويس وعارفة حدودي يبقى مفيش حاجة تخليك تخاف عليا منها، سلام بقى عشان أنا كده اتأخرت بجد.

وسرعان ما خرجت قبل أن يتفوّه بكلمة أخرى، وسرعان ما خرجت قبل أن يتفوه بكلمة أخرى. كان عادل شخصًا حازمًا وصارمًا، حتى مع زوجته. لم ينجبا أطفالًا حتى الآن بسبب تعقيد علاقتهما الناجم عن فرط غيرته عليها. قبل زواجهما، اتفقا على أن تبقى في عملها كطبيبة جراحة، ولم تكن تنوي ترك مهنتها تحت أي ظرف. لكن هذا الاتفاق تغير منذ اللحظة الأولى لزواجهما، والآن يعيشان في خلاف كبير. ترك عادل المنزل، وهو الآن في منزل عائلته.

وصلت نور إلى مبنى الجريدة، ودلفت إلى الداخل مسرعة نحو غرفتها. عندما رأتها مريم، أسرعت نحوها وقالت:

- أنتِ اتأخرتِ ليه كده!

- عادل باشا.

قالت بتوتر وبنبرة هادئة:

- ماله عادل!

- خناقة كل مرة.. هي في غيرها!

- هو لسه عايزك تسيبي الشغل؟

- أيوة..

ضحكت مريم وسحبت كرسي لتجلس بجوار نور ثم قالت:

- ما هو عنده حق بصراحة، أنا عن نفسي لما أتجوز هقعد في البيت.

- طب ما تقعدي من دلوقتي طالما حابة البيت أوي كده!

- إيه ده أنتِ مش هتسيبي الشغل لما تتجوزي؟

- تصدقي مفكرتش في الموضوع ده قبل كده..

- أنا عن نفسي مجرد ما يجي ابن الحلال هقدم استقالتي، أنا موجودة هنا حتى حين.

- طيب ياختي.. خلينا نشوف شغلنا.

- آه صحيح.. أنا نسيت أقولّك، احنا لازم ننزل دلوقتي نصور مكان الحادثة عشان الخبر.

- عادل زمانه هناك دلوقتي وهيعمل مشكلة لو شافني.

قالت بصدمة:

- هيبقى هناك!

- أيوة لأنه هو اللي ماسك التحقيق في القضية دي.

نهضت واقفة وقد بدت عليها علامات التوتر، ثم قالت بتلعثم:

- طب.... أنا هحاول أقنع رئيس التحرير إني مروحش.

عقدت نور حاجبيها بتعجب، ووقفت واثبة أمام صديقتها التي كانت تهرب بنظراتها. بعد لحظات من الصمت، نظرت إليها وقالت:

- أنتِ لسه بتهربي منه.. أنا دلوقتي عرفت ليه مش بتيجي البيت عندنا، عشان خايفة تشوفيه صدفة..

- نور الموضوع ده اتقفل من زمان.. أنا بس....

فصمتت ثم أكملت نور بدلًا عنها:

- أنا فعلًا كنت فاكرة إن الموضوع اتقفل، بس الظاهر كده إنك لسه يا مريم..

نظرت مريم في عينيها وقالت باضطراب:

- لسه إيه؟

- لسه بتحبيه...

***

كان يسير مع رامي لمعرفة كل شاردة وواردة عن مكان العمل، وأخذه رامي ليعرفه على فريق العمل الذي يتكون من فتاتين وخمسة شباب. كانت الفتاة الأولى تُدعى منى، وهي أصغر من عمر بعام، وكانت قد رمقته بنظراتها عند وصوله إلى المقهى، وكانت عزباء. أما الفتاة الثانية، فاسمها يارا، وكانت مخطوبة واقترب موعد زفافها.

كان رامي يعتبر منى من أقرب أصدقائه، وهي كانت تفضل صحبة الرجال. بينما ذهب الجميع إلى عملهم، بقيت منى التي كانت تبدي بعض الإعجاب بعمر، لكنه كان يتجاهلها. مدت يدها لتصافحه وتعرفه بنفسها، لكنه لم يُحرك ساكنًا، ثم قال:

- مبسلمش على بنات..

فنظر إلى رامي وقال له:

- انا هروح أبدأ شغلي..

مضى دون أن ينظر إليها، مما جعلها تشعر بالغضب. التفتت إلى رامي وقالت بنبرة ساخرة:

- مبيسلمش على بنات..

ضحك رامي وقال:

- أنتِ غلطتِ عشان مديتِ إيدك..

- وأنا أعرف منين إنه مش هيسلم!

فمضت من أمامه وذهب إلى عمر وسأله:

- إيه موضوع السلام ده، أنت فعلًا مش بتسلم ولا مش عايز تديها وش؟

- اسمع يا رامي، يمكن أنا غير شباب الزمن اللي احنا فيه ده، لا ليّا في الاختلاط ولا مصاحبة البنات ولا بسلم على ستات.. أنا لولا اضطراري اني أشتغل في مكان فيه اختلاط مكنتش جيت.

- طب ما أي مكان فيه اختلاط.. هتهرب منه فين؟

- يبقى نتعامل بحدود بقى وفي أسوأ الأحوال طالما في بديل..

- أنت عندك حق..

فابتعد عن منى وكاد أن يتهمها بالجنون، فهي شابة ذات دين وخلق. قرر عمر من تلك اللحظة أنه لن يتعامل مع أي امرأة، وشعر بالارتياح لأنه لن يعمل كنادل في هذا المقهى، مما يعني أنه سيتجنب التعامل مع بعض النساء.

خرج إلى حديقة المقهى التي كانت فارغة، إذ كانت مخصصة لرجال الأعمال فقط ولا تقبل الزبائن العاديين، فهي مخصصة للاجتماعات والعمل فقط. أخبره رامي أن الزبائن الجالسين بالداخل هم رجال الأعمال فقط، ومكانهم بالخارج.

كانت مهمته تتلخص في العناية بالحديقة، حيث التنظيم والحفاظ على نظافة المكان. أكمل عمر عمله وكان سعيدًا للغاية، بينما كانت منى تسرق النظر إليه بين الحين والآخر، لكنه كان لا يعيرها أي اهتمام، لأنه كان

مشغولًا بعمله ووالدته فقط، ولا يريد أن يفعل شيئًا لا يرضي الله سبحانه وتعالى.

وأثناء عمله، التفت إلى رامي الذي كان يقف مع منى، يتبادلان أطراف الحديث والضحك والمزاح. كان لا يطيق هذا المنظر، وحاول الاستغفار طوال الوقت، متجنبًا الاختلاط بقدر الإمكان، لأنه لا يرغب في ارتكاب معصية.

***

وصلت نور بصحبة مريم وبعض الصحفيين إلى موقع الجريمة لتصوير التقرير وعمل لقاء مع حارس العقار. كانت الشرطة تتناثر في المكان، وما زال التحقيق جاريًا. فجأة، انتبه عادل لوجود نور، فشعر بالغضب وذهب إليها وسألها على حين غرّة:

- أنتِ بتعملي إيه هنا!

استدارت نور على غفلة، وقالت وهي تشعر بالفزع:

- إيه ده في إيه! هو أنت...

ظل ينظر حوله، ثم أمسك بذراعها وسحبها بعيدًا، وقال:

- لو سمحتِ يا ترجعي البيت يا ترجعي مكان شغلك..

دفعته لكي يترك ذراعها ثم قالت بنبرة حادة:

- أنا مأمورة إني أجي هنا واعمل لقاء وأصور، مش معقول أرجع لرئيس التحرير وأقوله آسفة معملتش اللي حضرتك طلبته مني عشان أخويا سيادة الرائد مش عايزني أشتغل.

- بطّلي طريقتك دي.

- بطّل أنت طريقتك دي وسيبني في حالي، وعلى فكرة أنا لما أرجع هحكي لبابا كل حاجة يمكن يشوف صرفة معاك وبدل ما أنت جاي تتشطر عليا روح شوف مراتك اللي أنت سايبلها البيت وجاي تطلع عقدك عليا.

ومضت نور من أمامه إلى مريم، التي كانت واقفة تنظر إلى عادل بحزن. استدار عادل، والتقت عيناه بعيني نور، فانصرف مسرعًا إلى حيث كان. أمسكت نور بذراع صديقتها وسحبتها إلى مكان العمل، محاوِلةً إيقاظها من غفلتها.

عندما حل المساء، عاد كل واحد إلى منزله. كانت أسرة جمال مجتمعين على طعام العشاء، وكانت نور جالسة في مكانها، تمسك بالملعقة وتقلّب في الصحن وهي شاردة، تشعر بالضيق. لاحظ والدها أنها لا تأكل، فسألها بقلق:

- مالك يا حبيبتي مبتاكليش ليه؟

التفتت لوالدها ثم ابتسمت رغمًا عنها وقالت:

- مفيش حاجة يا بابا، تعبت النهاردة شوية..

ضحك عادل بسخرية وبصوتٍ مسموع، فالتفتت نور ونظرت إليه قائلة باعتراض:

- خير يا أستاذ عادل، كلامي مش عاجبك ولا إيه!

فتدخلت ملك قائلة:

- في إيه يا جماعة اهدوا كده وصلوا على النبي.

فردّ الجميع ثم قال جمال:

- أنتوا متخانقين مع بعض؟

تركت نور الملعقة وتنهدت قائلة بعد لحظاتٍ من الصمت:

- بصراحة يا بابا أنا كنت ناوية أتكلم مع حضرتك بس بيني وبينك، لكن بعد طريقته دي أنا هقول قدامكم كلكم، ياريت عادل يبطل يتدخل في حياتي وفي شغلي ويسبني في حالي.

تعجب الجميع ثم قالت أسماء:

- في إيه يا نور، حصل إيه يا عادل؟

فترك عادل الطعام ثم قال:

- ولا حاجة يا ماما.. كل الحكاية إني معترض على شغلها في الصحافة وخاصةً في قسم التحقيقات لأننا بنتصادف كتير ومش حابب حد من زمايلي يشوفها.

فرد جمال عليه بهدوء:

- أنا مقدّر خوفك على أختك بس ده ميمنعش إننا واثقين فيها وعارفين كويس أوي إنها استحالة تعمل حاجة تغضب ربنا.. وطالما بتشوف شغلها وبس وتعاملها كله مع بنات يبقى فين المشكلة؟

- قوله يا بابا ياريت تقوله عشان أنا فعلًا اتخنقت.

فرد عادل وقال:

- يعني ينفع النهاردة تحرجني قدام زمايلي!

استشاطت نور غضبًا ثم قالت:

- أنت اللي حطيت نفسك في موقف محرج لما سحبتني زي العيلة الصغيرة عشان تديني محاضرة في الأخلاق..

قال الأب بحزم:

- بشويش يا نور، وأنت يابني حاول تهدا كده وبلاش تضغط نفسك بالطريقة دي، مش كفاية إنك عايز تخرب بيتك بإيدك ولحد دلوقتي أنا مش عايز أتدخل في موضوعك وبقول يمكن ربنا يهديك وترجع بيتك تاني، ذنبها ايه مراتك إنها تقعد لوحدها وأنت قاعد هنا ولا على بالك، احنا كنا بناخد بنات الناس عشان نبهدلهم معانا يا ابني؟

قالت أسماء:

- أنا كلمت ندى وبكرة بإذن الله هتيجي تتغدى معانا.

نهض عادل وقال بغضب:

- مع نفسكوا بقى، كده كده مش هبقى موجود.

كاد أن يتحرك لولا أن أباه قد أوقفه وهو يصرخ عليه قائلًا:

- استنى هنا..

فنهض عادل واقفًا، ثم استدار ليواجه والده لكنه كان ينظر إلى الأرض. قال جمال، محركًا سبابته في الهواء محذرًا:

- من هنا لبكرة بإذن الله تحسم أمرك.. يا ترجع بيتك وتتقي الله في مراتك يإما تطلقها وتسيبها تشوف حياتها.. وياريت متنساش إن عندك اخوات بنات اللي بتحاول تمارس عليهم رجولتك، مسيرهم في يوم هيتجوزوا وساعتها أنت اللي هتبقى موجود من بعدي ووريني بقى لو حصلهم حاجة هيبقى ليك عين تردلهم حقوقهم ازاي.. اتفضل شوف هتروح على فين وبكرة بإذن الله تكون فكرت وأخدت قرار عشان نشوف هنعمل ايه..

ثم استدار ونظر إلى زوجته قائلًا:

- وأنتِ يا أسماء تعالي معايا عشان عايزك..

مضت معه إلى الغرفة وغلق الباب بإحكام ثم طلب منها الجلوس وجلس بجوارها فكانت تطالعه باهتمام وفي نفس الوقت نظراته تشي بالقلق، فسألته:

- في إيه يا جمال.. في حاجة حصلت؟

رفع عينيه في عينيها ثم قال بنظرة حزينة:

- أنا لقيت كريم.

وضعت يدها على فمها وهي تقول بصدمة:

- إيه!!

***

يوم جديد مليء بالطاقة الإيجابية بقدرة الله عز وجل. انطلق كل واحد إلى عمله، ما عدا جمال الذي كان جالسًا في غرفة المعيشة، يفكر فيما سيفعله. هل سيذهب لزيارة كريم في المقهى أم سيعود إلى المنزل؟ ولماذا لم يفعل ذلك بالأمس؟ كانت مشاعر مختلطة تدور في داخله؛ فمنذ أن اختفى كريم، لم يعرف عنه شيئًا. حتى أنه اعتقد أن كريم قد مات أو خُطف، ولا يعلم أي شيء عنه.

دخلت أسماء ووضعت فنجان القهوة وكوب الماء أمام زوجها، ثم جلست بجواره وربتت على كتفه، وقالت:

- تخيل لو كان عايش معانا لحد دلوقتي..

فابتسم قائلًا:

- كان زماني جوزته لبنت من بناتنا.

ضحكت أسماء وقالت:

- معتقدش.. لأنهم هيبقوا اتربوا مع بعض.. بس تعرف يا جمال إني كنت شايلة هم حاجة قبل ما أخده يعيش معانا.

- إيه؟

- لما يكبر.. ازاي كنا هنعيش مع بعض في بيت واحد وبناتك مش متحرمين عليه؟

- عندك حق والله يا أسماء، عارف إنه مكنش ينفع بس هل كان في ايدينا اختيار تاني؟ احنا كنا مضطرين وقتها.. والحمدلله ظروفنا كلها اتغيرت.

- طب أنت ناوي تعمل إيه؟

- مش عارف المفروض أبدأ منين، انا بس اللي مستغربه مين الست اللي عايش معاها ومن امتى وهو عايش معاها؟

- هو نادر مقالّكش تفاصيل؟

- لا.. قالّي على الحوار اللي دار بينهم في المقابلة وإن كريم قالّه إنه بينادوله عمر، وإنه معندوش أخوات وعايش مع والدته بس.

- أنت معاك عنوان الست دي؟

- أيوة معايا.. زمانه حتى راح الشغل دلوقتي.

- أنا من رأيي تروح للست وتعرف منها هي التفاصيل قبل ما تروح لكريم.

- كنت بفكر في كده فعلًا، صحيح نادر بعتلي صورته الموجودة في السيرة الذاتية.

قالت أسماء بحماس:

- وريني كده..

فتح هاتفه وأعطاه لها فنظرت أسماء إلى صورة كريم بحنان واشتياق ثم قالت:

- أنا كنت عارفة إنه لما يكبر هيبقى زي القمر، ربنا يحميه لشبابه.

- هطلع على البنك الأول وبعدين هروح لعنوان بيته قبل ما يخلص شغله.

- المهم تطمني أول بأول.

- حاضر ماشي.. أنا هتحرك دلوقتي في رعاية الله.

***

وصل لتوّه إلى مكان عمله والتقى برامي بمجرد دخوله. دخل إلى غرفة استبدال الملابس ووضع أغراضه في درفته الخاصة، ثم خرج وألقى السلام على رامي وبدأ يتحدث معه قليلاً. في هذه الأثناء، كانت نور بصحبة مريم قد وصلتا إلى المقهى، وأخبرتها مريم أنه مكانها المفضل، لكن نور لم تزره من قبل. وبالفعل، أعجبت بالمكان. نظرت نور إلى حديقة المقهى ثم قالت:

- تعالي تعالي نقعد هنا، المكان هنا تحفة.

- لا لا استني.. المكان ده مش للزباين العاديين.

- أومال لمين، أكيد مش للفضائيين يعني.

- هو نظام المكان كده.. خلينا جوه أحسن.

- لا أنا هقعد هنا وبعدين احنا ناس مهمين برضو وبنحقق في قضية مهمة ولا إيه؟

- تصدقي عندك حق..

وبالفعل جلسا على إحدى الطاولات فلاحظ رامي ثم نادى على عمر وقال له:

- الحق في اتنين هناك قعدوا في مكانك.. روح بلغهم بنظام المكان.

- أوكي ماشي..

ودلف إلى الخارج ثم وقف أمامهما واعتقدته نور النادل ثم قالت:

- لو سمحت كنا عايزين اتنين قهوة.

فرد قائلًا:

- جوه يا فندم.

- هي إيه دي اللي جوه؟

- تقدري تطلبي كل اللي حضرتك عايزاه بس مش هنا، جوه يا فندم..

ابتسمت نور وهي تنظر إلى مريم ثم نظرت إليه وقالت بنبرة ساخرة:

- ممكن أفهم ليه؟

شعر عمر بالضيق لأنه يتحدث مع امرأة لا يحق له أن يتحدث معها ثم قال:

- المكان هنا مش للزباين، لرجال الأعمال فقط.

- بس أنا مش زبونة عادية، أنا صحفية.

- طب وإيه يعني، المكان منظم للاجتماعات فقط.. حضرتك ممكن تقعدي على أي ترابيزة جوه.

قالت نور بانفعال:

- لا ده أنت مستفز بقى.. طب أنا مش هتحرك من هنا ووريني بقى هتحركني ازاي!

أغمض عينيه بغضب وحاول أن يتمالك أعصابه فلاحظت مريم ذلك ثم قالت:

- نور قومي نقعد جوه.. هو ملوش ذنب ده مجرد موظف وبيتلقى الأوامر.

- ماشي يا مريم..

فمضت، وظل يبتسم بسخرية، فتجاهل تهديدها وعاد إلى عمله. جاءت منى لتتلقى طلبهما، فقالت:

- أنا عايزة الأستاذ اللي هناك ده هو اللي يجبلنا اللي احنا عايزينه.

استدارت منى لتبحث عن الشخص الذي طلبته نور، ثم قالت لها:

- حضرتك تقصدي عمر؟

- ميهمنيش اسمه، الأستاذ اللي قومنا من مكاننا ودخلنا هنا.

- بس حضرته مش جرسون، ده مسئول العلاقات العامة هنا! شوفي حضرتك عايزة إيه وانا هجبهولك بنفسي.

كان عمر يراقبها من بعيد ويسمع ما تقوله ولكنه كان عمر يراقبها من بعيد ويسمع ما تقوله، ولكنه كان يفضل الصمت وتركها مع منى، إذ كانتا امرأتين معًا. أصرّت نور على أن عمر هو من سيلبي طلباتها، بينما حاولت مريم تهدئتها، لكن لا حياة لمن تنادي.

جاء عمر لأنه لا يريد أي صراعات أكثر من ذلك، وسأل نور عن طلبها. طلبت منه طلبًا غريبًا لم يستطع أن يحفظ كل ما قالته، لأنه لم يكن موجودًا في القائمة. أرادت إضافة بعض الطلبات الغريبة لكي تجعله

عاجزًا عن تنفيذها. لم يبال بها وقرر أن يرفض طلبها، لأنه يعلم أنها تفعل ذلك من أجل إزعاجه، فقال:

- اللي حضرتك طلبتيه مش موجود.. تقدري تطلبي حاجة تانية، وآه أنا مش جرسون يعني حتى لو طلبتِ مدير المكان برضو مش هيحققلك رغبتك.

- طيّب أنا هوريك مين هي نور صقر.

تفاجأ عندما سمع اسمها ثم قال:

- أنتِ قولتي مين؟!

كانت تمسك بهاتفها وتبحث عن رقم عادل، حتى وجدته ثم قالت مريم:

- أنتِ هتعملي إيه يا نور.

- هكلم أخويا سيادة الرائد يجي يشوف الأستاذ المغرور.

كان عمر في صدمته وكاد أن يسألها ولكن رن هاتفه ثم أجاب قائلًا:

- سلام عليكم أيوة مين؟

وأخبره المتصل بأن منزل عمر قد اندلع فيه حريقًا إثر ماس كهربائي. حينها، سقط هاتف عمر من بين أنامله وظل منتصبًا بمكانه. وعندما رأت نور ذلك المشهد، تركت هاتفها وتعجبت من منظره، ثم قالت منى:

- في إيه يا عمر!

استدار عمر ودموعه تتساقط كالمطر. حينها، جاء المدير عندما سمع أصواتهم، وقال:

- إيه في إيه! إيه اللي بيحصل هنا؟

شعر عمر بالدوار، وكأنه أصبح في عالم آخر ونظر إلى مديره وقال:

- أمي يا نادر بيه...

- مالها والدتك؟!

سرعان ما ركض عمر وأخذ سيارة أجرة متجهًا إلى منزله. في تلك الأثناء، التقطت منى هاتف عمر وتحدثت إلى آخر رقم اتصل به، وأخبرتها بما أخبر به عمر. ثم قالت منى بحزن:

- بيت عمر شب فيه حريق، وعلى الأغلب والدته توفت.

شعرت نور بشيءٍ غريب وجلست في حالة صدمة، وضعت يدها على جبينها. حينها، شعرت بالذنب وبدأت تدرك أنها كانت مخطئة في حديثها معه بتلك اللهجة، وأن كلامها لم يكن صحيحًا. سألت المدير عن عنوانه، وأخبرته بأنها صحفية، فبالفعل أعطاها العنوان. انطلقت هي ومريم إلى هناك..

(2)

"خُدعة"

وصل عمر إلى حافة الشارع، ثم ركض مسرعًا ورأى الناس متجمعين أمام المنزل. كانت سيارة الإطفاء قد وصلت للتو وأخمدت الحريق، بينما كانت الإسعاف في طريقها إلى المنزل حتى وصلت وأخذت والدة عمر. كان يبكي بشدة على حال والدته.

وصلت نور برفقة مريم، وكانت تنظر إليه من بعيد بحزن وشفقة، ثم ركب سيارة الإسعاف مع والدته. وبمجرد ذهابها، جاء جمال وتعجب من كثرة الناس، فسأل أحدهم عما يحدث. قص عليه ما حدث، وحينها شعر جمال بالذعر وسأله عن عمر، فأخبره الشخص بأنه بخير وقد ذهب لتوّه مع والدته في سيارة الإسعاف.

عاد كل واحد إلى حيث كان، وظل جمال واقفًا يمسك بهاتفه حتى رأته نور، فتعجبت، ثم ذهبت إليه متسائلة:

- بابا! حضرتك بتعمل إيه هنا؟

- أنتِ اللي بتعملي إيه هنا!

- أنا كنت معدية من هنا وشوفت الحريقة اللي قامت في البيت ده، وحضرتك؟

ظل جمال صامتًا وهو يتصل بنادر ليخبره بما حدث. فأجابه نادر بأنه يعرف بالفعل وأن عمر قد نسى هاتفه. توقع جمال أن عمر قد ذهب إلى أقرب مستشفى، فقرر أن يأخذ نور ومريم ويذهبوا إلى المستشفى.

كانت نور تشعر بالقلق وتطرح الأسئلة طوال الطريق، تسأل والدها عما حدث وإلى أين سيذهبون، لكنه لم يجيبها بكلمة واحدة، بل ظل صامتًا يشعر بالخوف والقلق. كانت حالته تعكس توتره وتوجسه، مما زاد من قلق نور ومريم أيضًا.

***

ما زال التحقيق جاريًا في قضية رجل الأعمال الراحل طاهر المنسي، وكان عادل جالسًا في مكتبه بصحبة رفيقه المقدم حسن الصياد. أخبره حسن أنهم لم يصلوا إلى أي طرف خيط حتى الآن، ويبدو أن القاتل كان بارعًا ولم يترك وراءه أي أثر يدينه. كان عادل شاردًا يفكر في زوجته وحديث أبيه مساء البارحة، فنظر إلى حسن وقال له:

- يعني إيه يا سيادة المقدم، ملف القضية هيتقفل على كده؟!

- يا سيادة الرائد القاتل محترف خطط ونفذ.. حتى المكان مفهوش غير حارس العقارات اللي اعترف بعد كده إنه كان متخدر..

- يعني إيه كان متخدر، وليه المعلومات دي موصلتليش لحد دلوقتي؟

- على حسب معلوماتنا واعتراف بدوي حارس العقار، قال إنه كان بيقضي خدمته الليلية والمفروض إن تاني يوم الصبح هيستلم واحد مكانه اسمه رجب، بس رجب كان متفق معاه إنه هيجيبله العشا وهيرجع بيته تاني لأن رجب كان ساكن قريب من موقع الجريمة..

- وطبعًا بدوي كان في أوضته لا بيه ولا عليه والقاتل اتسحب باحتراف وخدّره..

- الغريب بقى إن في حلقة مفقودة في الجريمة دي.. وهي إن ليه القاتل مخلصش على بدوي بدل ما كان يخدّره طالما كده كده هو واثق إنه مش هيتجاب..؟

فقال عادل بانفعال:

- جرى إيه يا سيادة المقدم، يعني إيه واحد يروح يقتل ويبقى واثق إنه مش هيتجاب؟ في حاجة اسمها قانون وهيتجاب وهيتعدم في ميدان عام.

- اهدا بس يا عادل أعصابك مش كده.. من امتى واحنا بنتعصب بسبب شغلنا اللي متعودين عليه، شكل في حاجة مضايقاك.

قال عادل بهدوء وبنبرة أسف:

- أنا آسف يا حسن.. عندي شوية مشاكل في البيت ومش قادر أتغلب عليها بس أنا اللي غلطان عشان بخلط حياتي الشخصية بالشغل، على العموم أنا عايز عنوان بيته وعنوان كل قرايبه الموجودين هنا في القاهرة، محتاجين إذن من النيابة بتفتيش البيت وبالتحقيق مع جيرانه.

- حالًا هكلم سيادة النائب..

***

في أرجاء المستشفى، كانت الأجواء مشحونة بالضجيج والقلق. أصوات الممرضات تتعالى بينما يسرعن في خطواتهن، حاملات أجهزتهن الطبية، في صراع مع الزمن لإنقاذ حياة المرضى. تتداخل أصوات أجهزة المراقبة التي تصدر تنبيهات متكررة، تعلن عن حالات طارئة تحتاج إلى التدخل الفوري.

في ردهات الطوارئ، يُسمع صوت صفارات الإسعاف تتوالى من بعيد، تكسر سكون الليل وتُعلن عن وصول حالات جديدة. يسود التوتر بين الأطباء الذين يتبادلون المعلومات بسرعة، كل واحد منهم يحاول اللحاق بتفاصيل الحالة التي أمامه.

بينما يضغط الأهل على الأزرار في محاولتهم للحصول على الأخبار عن أحبائهم، تتعالى أصوات النقاشات والحوار المتعجل، فتختلط كلمات القلق مع نبرات الاستعجال. أصوات الأقدام تتردد على الأرضيات الباردة، وبينما يمر الأطباء والممرضات بسرعة، تظل نظرات القلق تسود في عيون الجميع.

وفي زوايا غرفة الانتظار، يختلط صدى أنفاس القلق مع الأنين المتقطع من بعض المرضى، مما يُضفي جواً من التوتر والاحتياج، في حين يتعالى صوت هاتف محمول يُنبه شخصًا ما لرسالة طارئة. في خضم هذا الفوضى، تكاد القلوب تتوقف من شدة الخوف والترقب، كل لحظة تحمل في طياتها مشاعر مختلطة من الأمل واليأس.

وصل جمال إلى المستشفى برفقة نور ومريم، ونزلوا جميعًا من السيارة. دخل جمال إلى الاستقبال وسأل الموظفة عن تفاصيل الحادث الذي وقع مؤخرًا، لكنها أجابت بأنه لم تتوفر لديهم أي معلومات حتى الآن. سألها عن الشاب الذي كان معهم، فأشارت له إلى طريق الطوارئ.

عندما دخل جمال مسرعًا، رأى عمر واقفًا بمفرده، يعتصر يديه من القلق، بينما كانت دموعه تنهمر على خديه. اقترب جمال منه بتؤدة، وعندما رفع عمر نظره، فوجئ برؤية نور أمامه، لكنه لم يتفوه بكلمة. جلس جمال بجوار عمر، وربت على كتفه ليطمئنه، قائلاً:

- متقلقش.. هتبقى بخير.

نظر عمر إلى الطبيب وأومأ برأسه، وبعد بضع دقائق، خرج الطبيب من الغرفة. نهض عمر بسرعة شديدة عندما رآه، فقال له الطبيب:

- مضطرين ننقلها العناية المركزة..

فرد عمر متلعثمًا:

- يعني إيه يا دكتور؟ أمي هتعيش!

- احنا بنحاول نعمل اللي نقدر عليه، ادعيلها وإن شاء الله ربنا ينجيها.

غادر الطبيب، وعاد عمر إلى مقعده، مثقلًا بالضعف والانهيار، فقد فقد توازنه تمامًا ولم يعد قادرًا على فعل أي شيء. في تلك اللحظة، سمع صوت أذان العصر، فقال جمال:

- تعالى معايا يابني نروح نصلي.. ده أكتر وقت أنت محتاج فيه لربنا..

لم يكن بإمكانه في تلك اللحظة التفكير في جمال؛ كان كل ما يشغل باله هو والدته. تابع مع جمال إلى المصلى، بينما جلست نور هناك، فسألتها مريم:

- هي إيه الحكاية، أنا مش فاهمة حاجة!

- ولا أنا فاهمة حاجة، بابا يعرف الشخص ده منين وإيه كل الود ده!

- لا ده شكل الموضوع كبير، مسير الوقت يعدي ونفهم كل حاجة..

- يلا نصلي احنا كمان.

- يلا

***

في إحدى العمارات الراقية بحي المعادي، وصل عادل إلى هناك بسيارته الفاخرة. لم يرغب في ارتداء ملابس العمل أو القدوم بسيارة الشرطة. توقف أمام بواب العمارة وسأله عن شقة طاهر المنسي، فأرشده البواب إلى الشقة، لكنه أخبره أنه لا يوجد في المنزل سوى ابنته. دلف عادل إلى الداخل، واستقل المصعد صاعدًا إلى الطابق المطلوب.

طرق الباب، ففتحته ابنة المجني عليه وسألته:

- مين حضرتك؟

- أستاذة ياسمين؟

- أيوة، حضرتك تبقى مين؟

- أنا الرائد عادل صقر، اللي ماسك قضية والد حضرتك.

أذنت له بالدخول فدخل ولكنها لم تغلق الباب، فجلس وجلست هي الأخرى متساءلة:

- خير يا فندم؟

- كنت جاي أسألك شوية أسئلة، بصراحة محبتش تيجي القسم وتتبهدلي هناك خاصة في الظروف اللي حضرتك بتمري بيها..

- شكرًا لذوق حضرتك، أنا فعلًا كنت ناوية آجي قبل الاستدعاء.

- واحنا محبيناش نتعبك، قوليلي يا أستاذة ياسمين.. حضرتك متجوزة؟

- كنت متجوزة ومحصلش نصيب..

- عندك أولاد، أخوات، قرايب....

- لا ربنا مرزقنيش بأولاد لأني ببساطة مفضلتش كتير متجوزة، عندي أخ واحد ومهاجر ألمانيا وللأسف مش هينفع ينزل مصر قبل ٥ سنين، ولا.. معنديش قرايب غير عمة وتوفت السنة اللي فاتت.

- وعمتك دي ملهاش أولاد؟

- عندها بس كلهم بره مصر دلوقتي.

- طب طليق حضرتك كان بيعادي والدك؟

- بالعكس، العلاقة بينهم كانت محترمة جدًا حتى لما انفصلنا انفصلنا بالمعروف.

- أقدر أعرف إيه سبب الانفصال؟

- يعني.. تقدر تقول إننا متفقناش ومكناش قادرين نتفاهم فأخدنا قرار الانفصال.

- طب بالنسبة للجيران، أقدر أستجوبهم؟

- معتقدش إنهم ممكن يفيدوك بأي معلومة، لأننا ببساطة ملناش علاقة بالجيران وكل واحد في دنيته، بص يا عادل بيه أنا هقولك كل اللي أنا عارفاه.. بابا يوم الحادثة نزل الساعة ١١ بالليل عشان كان عنده شغل مهم ولازم يخلص قبل تاني يوم، صحيت من النوم مكنش لسه رجع البيت وفضلت أكلمه حتى مردش عليا، روحتله مكتبه ملقتهوش والمفاجأة إن الموظفين اللي هناك قالولي إنه مجاش أصلًا.. حاولت أوصل للسواق بس معرفتش ومعرفش عنوانه ولا أي حاجة عنه..

- مفيش غير كاميرات المراقبة..

- للأسف مكانتش شغالة في الليلة دي..

- العمارة ولا الشارع عمومًا؟

- العمارة، بالنسبة للمحلات اللي في الشارع محدش فيهم وافق إنه يدينا الفيديوهات..

- طب قدرتِ تشوفي حاجة؟

- للأسف منعوني..

- متقلقيش يا أستاذة ياسمين، عايز من حضرتك تديني رقم السواق واحنا هنحاول نوصله عن طريق رقم تليفونه.

- حاضر يا عادل بيه.

- وبالنسبة للكاميرات احنا معانا إذن نيابة بالتفتيش..

- أتمنى توصلوا للحقيقة في أسرع وقت.

- خير إن شاء الله.. بالنسبة لشغل والدك، مكنش له أي أعداء أو حصل قبل وفاته مشكلة بينه وبين حد؟

- بصراحة يا سيادة الرائد أنا مكنتش أعرف حاجة عن شغل بابا، بس هو فيه من زمان، يعني أكيد لو كان له أي أعداء وحصلت بينهم مشاكل كانت هتتحل، لأنه أكيد بيمر بمشاكل، ومش معقول في مشكلة منهم هتوصّل للقتل!

فنهض واقفًا ثم طمأنها قائلًا:

- على العموم احنا هنبدأ من كاميرات المراقبة وبإذن الله نقدر نمسك طرف خيط.

- أتمنى..

توجه إلى الباب واستأذن منها، ثم غادر. اتصل بحسن وطلب منه أن يأتي برفقة قوة إلى منزل طاهر. بالفعل، وصل حسن بعد عشر دقائق ومعه فرقة اقتحمت بعض المتاجر التي تحتوي على كاميرات خارجية، وتمكنوا من استعادة الفيديوهات وعادوا إلى مركز الشرطة.

ظل جالسًا في المصلى، يرفع يديه تضرعًا إلى الله، داعيًا إياه أن ينجي والدته وأن تعود إليه سالمة بمشيئته وحده. كان جمال يربت على كتفه، وبعد أن انتهى عمر من الدعاء، مسح يديه على وجهه واستدار ليجلس أمام جمال، وقد حان الوقت ليسأله أخيرًا:

- أنا نسيت أسأل حضرتك تبقى مين بسبب التوتر اللي كنت فيه؟

- أنا جاركم يا عمر يا ابني عرفت قصتك وجيت وراك على طول وحابب أكون جنبك، اعتبرني زي والدك وتقبل وجودي جنبك..

- كتر خيرك يا عمي..

ارتسمت على شفتيه ابتسامة عريضة عندما سمع منه كلمة عمي، فتذكر عمر وجود نور ومريم فسأله:

- البنتين اللي كانوا مع حضرتك.. حضرتك تعرفهم؟

- لا.. دول صحفيين وغالبًا كده عايزين ياخدوا منك كلمتين عشان ينشروا خبر.

شعر عمر بالغضب ثم قال:

- عارف إنهم صحفيين.. وعملوا معايا مشكلة في المكان اللي بشتغل فيه، بس عشان مبقاش ظالم في واحدة منهم فضلت تسكتها.

- مين اللي عملت معاك مشكلة؟

- مش فاكر اسمها...

- نور؟

- تقريبًا كده.. كنت مرعوب لأخسر شغلي اللي وصلتله بالعافية بسببها.

- لا خير.. هي أكيد متقصدش.

- ولا تقصد، مش فارقة، المهم دلوقتي إني أطمن على والدتي.

- إن شاء الله هتكون بخير متقلقش، قوم تعالى معايا أجبلك حاجة تاكلها.

- لا مليش نفس للأكل.

- مش هينفع متاكلش، على الأقل اشرب عصير يفوقك كده.. والدتك محتاجة لقوتك.

أومأ برأسه بكل طيبة ومضى معه إلى مقهى المستشفى، كانت نور ومريم يجلسن فيه فرأت مريم جمال وعمر يأتيان إليهما ثم قالت مريم:

- الحقي يا نور، بصي باباكِ!

- لا أنا بجد هتجنن.. هو في إيه بالضبط!

رمقها والدها بنظرة حادة بألا تتحرك فعادت إلى مكانها وظلت صامتة، ذهب مع عمر لطلب المشروب وذهبا للجلوس على إحدى الطاولات فانتبه عمر لوجودهما ثم قال لجمال:

- دول لسه موجودين!

- سيبك منهم ومتركزش معاهم.. قولي أنت خريج إيه؟

- حقوق حلوان.

- وبتشتغل إيه؟

- بشتغل مدير علاقات عامة في كافيه *...*.

- إيه رأيك تشتغل شئون قانونية؟

تهلل عمر من السعادة وكأن بابًا جديدًا للأمل فُتح أمامه مرة أخرى، ثم قال:

- هو حضرتك بتشتغل إيه؟

- أنا مدير بنك *....*.

- ما شاء الله.. باين على حضرتك راجل محترم وعندك أخلاق.

- أنا عندي اللي زيك، ابني الكبير في سنك تقريبًا رائد وقريب أوي هيترقى ويبقى مقدم.

- ربنا يخليهولك يارب ويبقى لواء تفتخر بيه.

- اللهم آمين يارب.. المهم قولت إيه، موافق تشتغل عندي في البنك؟

- مش هقدر آخد خطوة زي دي قبل سنة عشان ماضي عقد وبصراحة مديري مش مقصر معايا في أي حاجة، مستني بس أطمن على أمي وتتعافى وربنا يحلها من عنده.

- إن شاء الله ربنا هيطمنك عليها وخلاص طالما أنت مرتاح في شغلك خليك فيه.

رفض عمر عرض عمه لأنه لا يريد أن يظهر بمظهر الطامع، لكنه كان ممتنًا له للغاية، إذ لم يجد من يسانده بعد والدته. نهض عمر وشكر جمال على دعمه، ثم استأذن منه وسأله قبل أن يغادر:

- صحيح أنا معرفتش اسم حضرتك؟

صمت جمال قليلًا ثم قال:

- مراد، اسمي مراد السويفي.

- تشرفت بمعرفتك.. عن إذن حضرتك هروح أطمن.

- استنى يا عمر..

- خير يا عمي؟

- خد رقم تليفوني خليه معاك عشان لو احتجتني في أي وقت، ياريت متترددش لحظة إنك تكلمني، أنا تحت أمرك.

تعجب عمر من مدى دعم جمال له، فقرر أخذ هاتفه لأنه لم يكن لديه سواه في تلك اللحظة. غادر عمر وهو يلقي نظرة على نور من طرف عينه، وعندما رحل، أسرعت نور نحو والدها وقالت:

- أنا من ساعة ما اتحركت مع حضرتك من قدام البيت اللي اتحرق وأنا مش فاهمة أي حاجة، مين ده وتعرفه من امتى؟

- تعالي نرجع البيت الأول وأنا هفهمك على كل حاجة..

- تفهمني إيه.. وازاي هتسيبه لوحده في الظروف دي؟!

- هيكلمني يا نور ومتقلقيش أنا مش هسيبه، وبعدين أنتِ تعرفيه منين عشان تخافي عليه أوي كده؟

- أنا معرفوش.. ده الجرسون اللي كان في الكافيه اللي كنت فيه قبل الحادثة واتخانقت معاه لأنه قليل الذوق.

- مين؟ عمر!

- أيًا كان اسمه.. لولا الموقف الإنساني ده أنا كان هيبقالي تصرف تاني.

- طب يلا بينا على البيت عشان أنتِ مجنونة وأنا مش فاهملك أي حاجة..

أوصلوا مريم إلى منزلها، وعادت نور مع والدها إلى بيتهما. عند دخولهما، تجاهل والدها وجودها وطلب من أسماء أن تأتي إليه، فتوجهت إليه وأغلقت الباب خلفها.

على الرغم من إدراكها أن ما تفعله يُعتبر جريمة، إذ كانت تتنصت على الآخرين، إلا أن فضولها كان أقوى من أي اعتبار. وقفت بجوار الباب، تستمع باهتمام، ثم قال جمال لزوجته:

- أنا شوفت كريم..

- شوفت كريم؟ طب وحصل إيه وليه مجاش معاك؟!

- مش زي ما أنتِ متوقعة، ولو شوفتيه في أي مكان مش هتعرفيه، كريم بقى واحد تاني، كريم بقى عمر وعايش مع واحده بيدعي إنها أمه.. أنا قعدت معاه واتكلمت معاه ومع الأسف مكنتش متوقع إن اللي حصل ده كان ممكن يحصل.

- هو إيه ده اللي حصل!

- روحت زي ما اتفقنا على العنوان اللي نادر بعتهولي عشان أتكلم مع الست اللي بتدعي إنها أمه، لقيت البيت شب فيه حريق من أوله لأخره وعلى الأغلب الست دي هتموت.

- هتموت قبل ما تعرف منها حكاية ابن أخوك!

تجمدت نور في مكانها، وقد اتسع بؤبؤ عينيها من الصدمة. وضعت يدها على فمها حين تذكرت روايات والدها ووالدتها عن كريم وما حدث له في طفولته. اندفعت مسرعة إلى غرفتها، بينما أكمل جمال حديثه:

- المهم إني لقيت كريم ومسيري أعرف الحقيقة سواء الست دي عاشت أو ماتت.. المهم دلوقتي إني مقولتلوش الحقيقة، مجتش فرصة لأنه فعلًا كان في حالة يرثى لها، كل اللي أنا عملته إني اديته رقمي.

- وتفتكر هيتصل؟

- هيتصل، الولد يتيم ولوحده، ملهوش حد يقف جنبه في ظروفه دي.

- يا حبيبي يا ابني.. ربنا يكون في عونه.. طب أنت مخدتش رقمه؟

- مرضتش أعمل كده عشان ميشكش في حاجة..

- طب وبعدين يا جمال، كريم هيبات فين دلوقتي، ده كده مبقاش له مكان!

- كل اللي هقدر اعمله دلوقتي إني هشوفله شقة مؤقتًا يقعد فيها، لحد ما يجي الوقت اللي يعرف فيه الحقيقة.

- وليه تشوفله شقة وليه تصبر أصلًا، ما تخلص نفسك وتقوله ويجي يعيش معانا هنا!

- أنا متأكد إنه حتى لو عرف الحقيقة أخلاقه مش هتسمحله يقعد معانا، الولد خلوق أوي يا أسماء ومحترم.. والست هانم بنتك كانت في مكان شغله وراحت مسحت بكرامته الأرض.

- أنهي واحدة فيهم!

- أكيد مش هتبقى ملك، المتخلفة التانية.

- نور! طب وليه عملت كده!

- ما أنتِ عارفة طبع بنتك متهورة ومبتحبش حد يعارضها، كانت هتطرده من شغله.

- طب هي عرفت حاجة؟

- لا.. لحد دلوقتي معرفتش بس أنا كنت ناوي أعرفها بعد ما أقولك أنتِ الأول.

- أنا من رأيي متعرفهاش حاجة، عشان احنا منعرفش ممكن تروح تعمل إيه.

- هتعمل إيه، وهي مالها بيه؟!

- مش عارفة بقى يا جمال.. بنتك مجنونة وممكن تعمل لنفسها مشاكل.

- خلاص أنا مش هعرفها حاجة ولا هعرف أي حد لحد ما يجي الوقت المناسب.

دخلت نور إلى غرفتها وتوجهت نحو خزانتها، واقفة أمامها في حالة من الشغف. فتحت أحد الأدراج وسحبت صندوقًا خشبيًا صغيرًا يحتوي على صور طفولتها، حيث كانت تضم صورها مع إخوتها وابن عمها. لم تكن تتذكر الكثير عن طفولتها معهم، لكنها كانت تعرف قصته منذ رحيله حتى اختفائه، إذ لم يبق له أي أثر.

كانت ترغب في معرفة ما حدث له، لكن الآن، بدت وكأنها لا تعرف شيئًا مما سمعته، إذ كانت تخشى أن تتسبب في أي مشكلة مع والدها. شعرت بندمٍ عميق على ما فعلته معه، وفكرت: ماذا لو جاء عادل وصفعه ولفظه من عمله؟ كيف كانت ستشعر الآن؟

أعادت الصندوق إلى الخزانة وخرجت من غرفتها، نازلة إلى الأسفل حيث جلست مع أختها التي كانت مشغولة بهاتفها تتابع بعض الأعمال. جلست نور تنظر أمامها بحزن وضيق، مما جعل ملك تلاحظ حالتها، فتوجهت إليها بسؤال:

- إيه مالك يا نور، وشك مخطوف كده ليه؟

- لا أبدًا، شوية مشاكل في الشغل وإن شاء الله هتعدي.

- طب روقي كده وكله هيبقى تمام، اسكتي ده أنا عندي مريض حالته غريبة.

- ماله؟

- عنده انفصام وبيعمل كوارث وطبعًا لحد دلوقتي ميعرفش الحقيقة بس شخصيته التانية بتظهرلي لكنه مش بيعترف بحاجة.. بيتعامل على إنه الشخصية الأصلية.

- طب مفكرتيش تكتبي روايات عن المرضى بتوعك؟

فضحكت ملك وتركت هاتفها وقالت وهي تخلع نظارتها:

- روايات إيه بس يا نور، الكلام ده كان زمان قبل ما أدخل الجامعة.

- بصراحة أنا لو مكانك أستغل اللي أنتِ فيه وأعمل روايات عن الحالات اللي بتمرّي بيها.

- هفكر في الموضوع ده..

- أيوة فكري فيه وأنا معاكي وهساعدك في أي حاجة تخص الكتابة واللغة.

- بفكر أشتغل في مصحة نفسية جنب العيادة.. دي بقى بيبقى فيها حالات مش بنلاقيلها تشخيص.

- حلو ده، حمستيني والله أعرف عن الحالات دي.

- لو اشتغلت في المصحة أوعدك إني هاجي وأحكيلك عن الحالات الغريبة.

فضحكت نور وقالت بحماس:

- هستنى...!

***

عاد عمر إلى المقهى واستردَّ هاتفه من منى، فسألته عن حاله، وردّ عليها أنه على ما يرام، وتركها وذهب إلى رامي الذي كان ينتظره ليطمئنَّ عليه. كان في حالةٍ يُرثى لها، فربَّت رامي على كتفه وطمأنه بأنَّ كلَّ شيءٍ سيسير على ما يُرام، وأنَّ والدته ستتحسن، فأومأ عمر برأسه وذهب إلى مكتب المدير، فقال له:

- أنت كويس يا عمر؟!

- بحاول أكون كويس وبحاول أستقوى، أمي ملهاش غيري دلوقتي..

- أنت هتبات فين النهاردة؟

- أنا هفضل في المستشفى لحد ما أطمن، أنا جيت بس عشان آخد الموبايل بتاعي.

- عمومًا لو في أي حاجة أنت ممكن تتصل بيا وهتلاقيني جنبك في أي وقت.

- شكرًا يا نادر بيه.. عن إذن حضرتك.

وخرج من المكتب واتجه للذهاب إلى الخارج ولكن أوقفته منى التي نادت عليه باسمه فوقف ثم جاءت ووقفت أمامه وربتت على كتفه قائلة بحزن:

- أنا حاسة باللي أنت فيه وعارفة معنى الوحدة لما الواحد يمر بأزمة صعبة وخاصةً اللي أنت فيه، بس أنا بطمنك وبقولك إني جنبك ومعاك.

نظر إلى يدها التي ما زالت على كتفه ثم قال وهو ينسحب إلى الوراء وقد بدت عليه علامات التقزز والاستنكار:

- أنتِ ازاي تحطي إيدك عليَّ بالطريقة دي؟ ومين اللي قالّك إني وحيد أو إنسان ضعيف عشان أحتاج لحد وحتى لو احتجت، أكيد مش هلجأ لبنت لا هي أختي ولا مراتي ولا تقربلي أي حاجة.

- كل ده عشان حبيت أساعدك وأقف جنبك؟

- اسمعي يا آنسة منى، ده مكان شغل واحنا مش صحاب ولا حتى زملا، احنا مضطرين نشتغل في مكان واحد ولو اتعاملنا نتعامل في أضيق الحدود، فبلاش تتعدي حدودك معايا أنا بالذات.

وانصرف دون أن يضيف كلمة أخرى، لترى بوضوح أنه قد وضع حدودًا لن يتجاوزها ولن يقبل بمساعدتها. شعرت أن عمر مختلف عن أي

شخص قابلته من قبل؛ فهو شاب ذو خلق ودين، لا يرغب في الاختلاط ولا في الصداقات، ولا يسعى للاحتكاك بأي فتاة. ومع ذلك، راودها إحساس بأنه مغرم بإحداهن، وأنه لهذا السبب يتجنب التعامل مع أي فتاة غيرها. لكنه في الحقيقة رجل صاحب مبادئ، لا يتخلى عنها.

عاد عمر إلى المستشفى وجلس على أحد المقاعد في الخارج. أمال رأسه إلى الوراء، وضم ذراعيه إلى صدره، وأغمض عينيه، غارقاً في أفكاره حول ما ينتظره من تحديات. كان الخوف من المجهول والمستقبل يطارده، خاصةً إذا فقد والدته. كيف سيواجه العالم وحده؟ استلقى على المقعد، وأغمض عينيه، وسرعان ما غلبه التعب وذهب في نومٍ عميق.

***

بعد البحث الدقيق في كاميرات المراقبة، لم يكن هناك أيّ شك منذ أن تحركت سيارة طاهر المنسي. قاموا بجمع جميع التسجيلات الخاصة بالشوارع المجاورة حتى اختفت السيارة تماماً عن الأنظار. تم تتبع هاتف السائق الخاص بالمجني عليه، لكنهم لم يتمكنوا من تحديد موقعه لأن هاتفه لم يعد بحوزته. زادت شكوكهم حول السائق أيضاً: هل قُتل؟ وإن لم يكن كذلك، فأين ذهب ولماذا لم يتقدم ببلاغ حتى الآن؟

حاول المقدم حسن التحري عن رقم هاتفه، وتمكن من العثور على اسمه الكامل. أخذوا عنوانه من بطاقة الهوية، وتوجهوا إلى منزله. وعندما وصلوا، اقتحموا المكان ليجدوا امرأة عجوزاً تجاوزت السبعين من العمر.

سألها عن السائق، الذي يُدعى "يحيى رضوان"، فأخبرتهم بأنه قد وُجد مغشياً عليه على أحد الطرق، ونُقل إلى المستشفى، ومنذ ذلك الحين وهو في العناية المركزة ولم يستعد وعيه بعد ليعرفوا ما حدث له. أعطتهم العجوز عنوان المستشفى وأخبرتهم أيضاً أنه عازب ولم يتزوج بعد، مما أكد لهم أنه لا علاقة له بارتكاب الواقعة.

اعتذر عادل للعجوز وطمأنها على ابنها، ثم انطلقوا إلى المستشفى. وأخبر حسن عادل أن أحد زملائه قد أبلغه بحادث يحيى، وأنهم ينتظرون استيقاظه من غيبوبته ليعرفوا تفاصيل ما حدث.

***

كان يسير بين أروقة قصرٍ عتيقٍ يحمل طرازاً حديثاً، حيث الحديقة تمتد كالبستان الكبير، ممتلئةً بالأشجار المثمرة، والنخيل الشاهق، والورود المتنوعة التي تضفي على المكان رونقاً وكأنها قطعةٌ من الجنة على الأرض. كانت خطواته على الممرات الهادئة تشعره كأن قوةً خفية تجذبه نحو غايته المنشودة: بوابة القصر. هناك، فُتح الباب لتخرج فتاة ترتدي رداءً أبيض كأنها عروس في يوم زفافها. نظر إليها مبتسماً بسعادة غامرة، وشعر أن سعادة الدنيا قد احتوته بأكملها. تمنى لو يستطيع التحليق من شدة فرحته، ثم أمسك بيدها برفق، وقال لها إنها الآن أصبحت زوجته. كانت هي الأخرى في قمة السعادة، فقد تزوجت أخيراً من أحبته، وكانت تنتظر هذه اللحظة منذ زمنٍ بعيد.

- من النهاردة هتناديني باسمي الحقيقي، كريم.. خلاص مبقاش في عمر.

- طول عمري بعترف إنك كريم، عمري ما اعترفت باسم عمر ده أبدًا.

- اوعديني يا نور إنك مش هتسبيني أبدًا..

إنها نور! كان يخشى أن تبتعد عنه كما ابتعدت أمه قبل عشرين سنة. لقد تعلق بها كثيراً وأصبح مغرماً بها، ولم يكن يستطيع حتى تخيل فكرة ابتعادها عنه أو ابتعاده عنها. حارب الدنيا من أجلها ومن أجل أن يتزوجها، فلم يعد يوجد سواها بجانبه، ولم يرغب في أحد سواها في حياته.

فجأةً، فتح عينيه على صوت سيارة الإسعاف والضجيج الذي ملأ المستشفى من الداخل والخارج. وضع قدميه على الأرض، واستفاق من غفلته، فرك عينيه بيديه، وتذكر حلمه، متعجباً. قال لنفسه إنها مجرد أضغاث أحلام، ومن المستحيل أن يحدث هذا.

دلف إلى الداخل متوجهاً إلى غرفة العناية المركزة ليطمئن على والدته. كان الوضع كما هو، لا جديد.

أمسك بهاتفه واتصل على جمال، فرد قائلاً:

- مساء الخير يا مراد بيه..

تذكر جمال أنه لم يخبره عن اسمه الحقيقي كي لا يشك في أمره ثم قال:

- عمر!

- حضرتك عرفتني بكل سهولة!

- كنت مستنيك تتصل، طمني عليك أنت كويس؟!

- أنا كويس، مفيش جديد.. حالة أمي زي ما هي وخايف عليها أوي والدكاترة مش بيقولوا أي حاجة.

- متقلقش، كله هيبقى تمام.. أنت فين دلوقتي، لسه في المستشفى؟

- يا دوب وصلت الكافيه أخدت تليفوني ورجعت المستشفى تاني.

- طب أنت هتبات فين، اوعى تقولك إنك هتبات في المستشفى!

- مضطر، لأني مش هقدر أسيبها وامشي.

- بكرة الصبح بإذن الله هجيلك، خلي بالك على نفسك.

- متتعبش نفسك.. كفاية إني بضيع وقتك.

- لا مفيش تعب ولا حاجة، حاول ترتاح ومتبذلش مجهود وبإذن الله خير.

- إن شاء الله، صحيح يا مراد بيه، حضرتك مقولتليش أنت فـ أنهي عمارة!

ظل جمال صامتاً، لا يعرف ماذا يقول لعمر، فهو لا يعرف المنطقة التي يسكن فيها. انتظر منه إجابة، لكن سرعان ما انقلب المكان رأساً على عقب عندما أسرع فريق التمريض والأطباء إلى العناية المركزة.

ركض عمر مسرعاً، ووقف لينظر من الخارج من خلال الزجاج، مشاهدًا برعب ما يحدث. رأى جهاز النبض قد توقف، وازداد قلبه رعباً عندما أدرك أن والدته قد فارقت الحياة، بينما كانت الممرضة تغطي وجهها بالغطاء الأبيض. لم يكن عمر يصدق ما يحدث، وظل ثابتاً في مكانه، في حين جاء عادل وحسن إلى المستشفى ليتابعوا حالة يحيى، حتى أبلغهم أحدهم بأنه قد استيقظ من الغيبوبة.

توجهوا إلى العناية المركزة بسرعة، ليجدوا عمر جالساً على الأرض في حالة يرثى لها، ولكن هذا لم يكن وقتهم الآن!

أما جمال، فقد علم بما حدث من خلال المستشفى، وقرر الذهاب إلى عمر دون تردد، مدفوعاً بشعورٍ قويٍ بالقلق والرغبة في دعمه في هذه اللحظة العصيبة..

عالم آخر

(3)

"رائحة حب"

بعد فترة قصيرة، تم نقل الجثة إلى المشرحة، وكان عمر في حالة مزرية، يتذكر ماضيه معها. كان يعلم أنها ليست من أنجبته، لكن ليس كل من تنجب يُعتبر أمًا. جاء جمال، الذي كان متأثرًا جدًا بحالة ابن أخيه، وجلس بجواره، يربت على كتفه ويخبره بأنه سيبقى بجانبه دائمًا ولن يتركه أبدًا. ارتمى عمر في أحضان عمه دون تفكير، وشعر جمال بمشاعر مختلطة من الفرح والحزن، فوضع يده عليه وبدأ يمسح على ظهره، يحاول تهدئته.

في تلك الأثناء، كان عادل في غرفة العناية المركزة، يحاول التحقيق مع يحيى، الذي شهد الحادث. لم يستطع يحيى الحديث بشكل جيد، لكنه بذل جهدًا حتى نطق بتلعثم:

- أنا بقالي خمس سنين بشتغل مع طاهر بيه، كان راجل محترم وعمره ما أذى حد ولا حد أذاه، كان في حاله مهتم بشغله وبيته وبس.

- هل المجني عليه مكنش له أي علاقة بأي واحدة ست!

- لا يا باشا، كان عايش على ذكرى مراته لأنه دايمًا كان بيحكيلي إنها حبه الأول والأخير وإنه مستحيل يتجوز بعدها.

- طب احكيلي اللي حصل يوم الحادثة..

- كنا في طريقنا للشركة عادي فجاله تليفون إنه لازم يطلع على اسكندرية عشان هيقابل رجل أعمال مهم، الراجل ده ساعتها قاله إن في شحنة جياله لازم يستلمها بنفسه من المينا.

- كانت إيه الشحنة دي؟

- صفقة سيارات، كانت قطع الغيار اللي هتتصنع بيها العربيات.

- تمام، كمل..

- أخدت طريق اسكندرية الصحراوي، ومن ساعة ما طلعنا من البيت وأنا كنت حاسس إن في عربية مرقبانا بس محطتش في بالي وقولت يمكن تكون صدفة لحد ما دخلت طريق اسكندرية الصحراوي واتأكدت ساعتها إن العربية دي مش صدفة وطلعت فعلًا مراقبانا.. الطريق وقتها كان شِبه فاضي لحد ما العربية فضلت تقلّب نور علينا مكنتش فاهم إيه اللي بيحصل وقتها.

- وطاهر بيه كان موقفه إيه ساعتها؟

- من طيبة قلبه وحُسن نيته قالي أقف على جنب يمكن محتاج لمساعدة، فضلت أقنعه إن العربية دي مراقبة طريقنا مصدقش، المهم وقفت والعربية التانية وقفت ونزل منها شاب شِبه متنكر، كان لابس كله أسود في أسود وكان لابس كاب مخلي عينيه مش باينة، الدنيا كانت ضلمة فمخدتش بالي من بقيت ملامحه، طلب مني مساعدة وقال إن بنزين عربيته على وشك إنه يخلص وطلب مني أوصله لأقرب محطة بنزين، ركب جنبي ساعتها وفضل ساكت، حتى طاهر بيه كان بيحاول يفتح معاه كلام بس كأن حد كتمه فجأة، بص لطاهر بيه ورفع عليه سلاح، وطلب مني أدخل الصحرا تحت تهديد السلاح وبالفعل عملت كده.. خلاني أنزل

أنا وطاهر بيه وضربني على دماغي بالسلاح ووقعت على الأرض ومكنتش داري بالدنيا، مفوقتش غير وحضرتك قدامي دلوقتي.

- وطبعًا الباقي معروف، طاهر اتخطف واتقتل في العقار اللي لسه مكتملش بناءه..

- أنا جيت هنا إزاي!

- في إصلاحات بتتعمل في طريق اسكندرية الصحراوي ومن ستر ربنا إنهم شافوك ونقلوك المستشفى.

- طب والعربية!

- وهي دي محتاجة لسؤال! الجثة اتشرحت وعرفنا إنه كان متخدر قبل ما يتقتل، والعربيتين ملهمش أي أثر..

ران عليهما الصمت قليلًا ثم استطرد عادل قائلًا:

- كده القضية هتتأيد ضد مجهول، مفيش سلاح ومفيش بصمات.. طب قولي يا يحيى بما إنك شغال معاه بقالك ٥ سنين زي ما بتقول، فعلًا مكنش له أي علاقات نسائية أو كان له أي أعداء؟

- لا يا فندم، أنا كنت معاه خطوة بخطوة.

- طب ومدام ياسمين بنته؟

- مالها؟

- مش هي كانت متجوزة!

- اللي أعرفه إنهم متفقوش حتى جوزها طلقها وسافر بعدها على طول.

نظر عادل إلى حسن وقال بنبرة ساخرة:

- ده إيه العيلة اللي بتعشق السفر دي!

فقال حسن:

- أعتقد إن المهمة بقت أصعب ومبقاش فيه مكان تاني ندور فيه..

نظر عادل إلى يحيى وسأله:

- في حد غيرك أنت والمجني عليه كان يعرف صفقة السيارات دي؟

- لا يا فندم، حتى الموظفين بيعرفوا بعد ما بتوصل لأنها بتبقى أسرار شغل.

- ماشي يا يحيى ارتاح أنت واحنا لو احتجنا منك أي حاجة تاني هنبقى نجيلك.

نهض عادل وخرج بمصاحبة حسن فقال له:

- وبعدين يا سيادة الرائد، هنعمل إيه؟

- مش عارف والله، احنا كده حققنا مع كل اللي كان له علاقة بيهم حتى كاميرات المراقبة، العربيتين اختفوا!

- يظهر كده إن القاتل دي مش هتبقى أول جريمة له، لازم ننشر خبر إن الناس تخلي بالها ولو لقت عربية مراقباها تبلغ على طول لحد ما الفترة دي تعدي على خير..

- ربنا يستر.. بس خد بالك لو ده فعلًا حصل والجرايم كترت ساعتها هتكتر الأدلة وهيتجاب هيتجاب.

- وليه نسيبها تكتر أصلًا! هي أرواح الناس دي ببلاش! احنا هننبه الناس وخلاص وخاصةً الطرق الصحراوية.

***

كان في دورة المياه يغسل وجهه بمساعدة جمال، ثم أخذ بعض المناديل الورقية ومسح وجهه بها. خرج مع عمه ونزلا إلى المقهى. كان عمر يجلس شاردًا، يتذكر حياته وذكرياته معها، بينما جمال يتركه على راحته، لا يريد الضغط عليه، فقط ينظر إليه. لم يكن يعرف ماذا عساه أن يفعل سوى أن يواسيه حتى يعرف الحقيقة.

فجأة، نطق عمر أخيرًا قائلاً:

- مكانتش أمي اللي خلفتني، بمعنى إنها مش أمي الحقيقة.

نظر إليه جمال متصنعًا التفاجؤ فأكمل عمر قائلًا:

- عِشت معاها عشرين سنة مفيش مرة زعلتني فيها، علمتني وكبرتني ومحرمتنيش من أي حاجة لدرجة إنها نستني أهلي الحقيقيين.

- طب وفين أهلك الحقيقيين؟

- كنت عايش مع عمي ومراته وأولاده، كانوا أحن عليا من أهلي.

- طب وباباك؟

- مش عارف مات ولا راح فين، بس وقتها قالي إن أمي ماتت.

- طب ازاي كنت عايش مع عمك وفي نفس الوقت كنت عايش مع والدتك التانية؟

- جيت في يوم حلمت بـ أمي ونزلت الشارع عشان أدور عليها لحد ما تهت ومعرفتش أرجع البيت تاني، أمي لقتني وخدتني معاها البيت.

- وهي ليه محاولتش ترجعك لأهلك؟!

- لما كبرت فهمت، طلعت أرملة ومكانتش بتخلف وخدتني ربتني وطلعتلي شهادة ميلاد جديدة باسمي وكل حاجة بدأت من جديد لحد ما نسيت كل حاجة عدت.

- ربنا يرحمها ويجعله في ميزان حسناتها.

انهمرت دموعه من جديد، ووضع جمال يده على يد عمر كي يخفف عنه الألم. فسأله جمال:

- محاولتش تدور على عيلتك لما كبرت؟

- بصراحة محاولتش، عشان مكنتش هقدر أسيبها لوحدها، اتعلقت بيها أوي وكأنها عوض ربنا ليا بس للأسف سابتني ومشيت.

مسح دموعه بالمنديل وقال:

- نفسي ألاقي عمي، لأني مبقاش ليا حد دلوقتي وبقيت لوحدي، بس يا ترى لو شافني هيسامحني ولا لا!

ابتسم جمال وقال بنبرة ثقة:

- هيسامحك، أنت شاب محترم يا عمر ومفيش في أخلاقك.

- عمي ميعرفش عمر، أنا اسمي الحقيقي كريم بس أمي كانت بتقولي إنها كان نفسها تجيب ولد وتسميه عمر ومن ساعتها قررت تناديني بعمر.

- الاسمين حلوين، وأنت طيب وابن حلال وتستاهل كل خير.. خليك مرتاح وأنا هخلص شهادة الوفاة وتصريح الدفن.. بس الأول في حاجة لازم تقبلها مني قبل ما أتحرك..

نظر عمر إليه بفضول فوضع جمال مفتاح أمامه وقال:

- ده مفتاح شقة عنوانها قريب من الكافيه اللي بتشتغل فيه، دي كنت بخلص شغل فيها بس هي حاليًا مقفولة تقدر تعيش فيها لحد ما تدبر أمورك.

ابتسم عمر وقال بنبرة أسف:

- أنا مش عارف أشكر حضرتك ازاي على شهامتك وجدعنتك معايا، بس أنا آسف مش هقدر أقبل حاجة زي كده.

- أومال هتعيش فين!

- هحاول أدبر أموري، وهبدأ أدور على عمي، جايز يفتكر إن احتياجي له في الوقت ده مصلحة بس يمكن لما يعرف الحقيقة كاملة يغيّر نظرته.

- إن شاء الله كله هيبقى تمام وربنا هيلم شملكم، بس ياريت تقبل دي حاجة بسيطة.. وكده كده الشقة مقفولة ومبقتش محتاجها في الوقت الحالي.

- لو فعلًا عايز تساعدني.. دوّر معايا على عمي..

ظل جمال صامتًا، لا يعرف ماذا سيفعل، فأخبره عمر أنه سيبحث معه وحتمًا سيعثر عليه، لكن هذا سيكون مقابل أن يقبل بالعيش في شقته. وبعد إلحاح طويل من جمال، وافق عمر أخيرًا، ولم يأب هذه المرة.

وبعد مرور ساعات، بزغ الفجر وأشرقت الشمس، وكل هذا الوقت لم يعد جمال إلى منزله. كانت أسماء في انتظاره، لم تنم الليل، واستيقظت نور واستعدت للذهاب إلى عملها. عندما رأت والدتها تجلس في غرفة المعيشة شاردة، والإجهاد يأكل ملامح وجهها، شعرت ببعض القلق وقالت:

- صباح الخير يا ماما، حضرتك بخير؟!

نظرت لها أسماء وابتسمت بعيون ذابلة ثم قالت:

- صباح الخير يا حبيبتي، أنا كويسة بس مجهدة شوية.

- خير في إيه؟

- لا أبدًا مفيش حاجة، مستنية أبوكِ.

- ليه، هو في حاجة حصلت؟

- أصله خرج امبارح على غفلة وقال إنه عنده شغل مهم ولسه مرجعش لحد دلوقتي فقاعدة قلقانة عليه ومعرفتش أنام.

- طب أنتِ كلمتيه؟

- أيوة كلمته وقالي إنه كويس..

- طب الحمدلله أومال في إيه بقى؟ روحي نامي طالما اطمنتي عليه ومتضغطيش على نفسك.. ولا في حاجة تانية مخبياها عليَّ!

ردت أسماء بتلعثم:

- حاجة إيه بس اللي هخبيها عليكِ!

- مش عارفة، بس حاسة إن في حاجة أنتوا مخبينها ومسيري هعرفها.. أنا هروح الشغل وإن شاء الله أرجع من بره أعرف فيكوا ايه بالظبط.

خرجت من المنزل وظلت أسماء كما هي تجلس حائرة، كانت تود أن تذهب إلى عمر بنفسها ولكن كان هناك من يمنعها عن فعل ذلك فأمسكت بهاتفها وهاتفت زوجها مرة أخرى.

بعد مرور فترة قليلة من الزمن وصلت نور إلى الجريدة ودلفت إلى غرفة مكتبها دون أن تمر على مريم كعادتها، فتعجبت مريم وذهبت إليها وسألتها:

- مش من عادتك يعني تعدي كده من غير ما تكلميني.

فنظرت إليها نور وزفرت بضيق:

- سوري يا مريم، أصلي متلخبطة ومش مركزة.

- ليه هو في حاجة حصلت؟!

- الشخص اللي اتخانقت معاه في الكافيه.

- ماله؟

- طلع ابن عمي.

قالت مريم بصدمة:

- إيه!!

***

انتهى تصريح الدفن، وبالفعل تم دفن والدة عمر، وعاد عمر إلى المنزل الذي تركه جمال له ليستريح من هذا اليوم الشاق. قبل أن يذهب إلى المنزل، أكد على جمال البحث عن عمه. كان جمال حائرًا لا يعرف ماذا عساه أن يفعل: هل سيخبره أم سيظل عالقًا في هذه اللعبة التي ورّط نفسه بها؟

عاد جمال إلى المنزل منهكًا من فرط تعبه، وقصّ على زوجته كل ما حدث، فدمعت عيناها حزنًا على حال عمر، وطلبت من زوجها أن يسرع في إخباره. لكن كان جمال يعلم أنه إذا أخبره، فلن يأتي للعيش معه، لأنه لا يصح ذلك، وكذلك كان يعلم أنه لن يستقر في شقته التي تركها له. فكان حائرًا وقرر أن تظل اللعبة كما هي حتى حين.

في تلك الأثناء، تفاجأت نور بدخول عادل إلى مكتبها، فنزلت مريم، التي كانت جالسة أمام نور فوق طاولة المكتب، وألقت السلام على عادل دون أن تنظر إليه، ثم خرجت من الغرفة. فنهضت نور وسألته:

- خير.. إيه اللي جابك؟

- أنا مش جاي عشان أضايقك زي ما أنتِ فاكرة، قولت أعدي أطمن عليكِ قبل ما أروح لرئيس التحرير.

عقدت نور حاجبيها بتعجب فأردفت متسائلة:

- وأنت عايز إيه من رئيس التحرير!

- قضية طاهر المنسي للأسف اتأيدت ضد مجهول وملفها اتقفل.

- معرفتوش توصلوا لـ أي حاجة؟!

- لا.. اللي احنا قدرنا نوصله هو إن القاتل محترف وكان مخطط وعارف كويس أوي هو بيعمل إيه.

- للدرجة دي!

- المشكلة دلوقتي إنه ممكن يكرر نفس الجريمة وبطرق أشنع.

- طب والحل إيه؟

- الحل إننا ننبه الناس إنهم ياخدوا بالهم كويس أوي، ده اللي في ايدينا دلوقتي.. وربنا يسلم.

- يا رب خير.. خلاص وأنا هحاول أشتغل أكتر في الموضوع ده.

- يا ريت، تبقي عملتِ خير.. على العموم أنا مش عايز أضيع وقتي ووقتك عشان عندي شغل، يا ريت تخلي بالك على نفسك.

- حاضر.

فخرج من المكتب والتقى بمريم التي رمقها بنظرة لم تفهم معناها وعادت إلى نور لتسألها:

- اتخانق معاكِ ولا إيه؟

- لا الحمدلله صابت المرة دي.

- طب الحمد لله، أومال كان جاي ليه؟

- عشان يقابل رئيس التحرير، عايز ينشر خبر عن القاتل.

- صحيح التحقيق وصل لفين؟

- اتأيدت ضد مجهول.

- إيه ده.. بالبساطة دي!

- شكل الموضوع كبير، ربنا يستر.

طرق باب المكتب، فالتفتت نور ونظرت إلى الطارق، لتجد شابًا في أواخر عقده الثالث، يرتدي بذلة أنيقة ويمسك بيده ملف. نظر إليهما وكأنه أخطأ، ثم قال:

- أنا آسف بس كنت عايز الآنسة نور..

فردّت عليه نور باستغراب وقالت:

- أنا نور.. مين حضرتك؟

- أنا النقيب سليم.. سيادة الرائد عادل باعتلك الملف ده، فيه كل اللي يخص القضية.

- قضية طاهر المنسي؟

- أيوة يا فندم، اتفضلي.

- شكرًا.

فخرج الشاب، ونزلت مريم من فوق الطاولة ودلفت إلى الخارج لكي تعود إلى مكتبها، لكنها تفاجأت بالمحفظة الخاصة بسليم قد سقطت منه. التقطتها وأخبرت نور، ثم فتحتها ورأت هويته لتجد محل سكنه في الإسكندرية. ثم قالت:

- مش معقول تكون صدفة عشان تشوفوا بعض تاني!

- وريني كده..

فأخذتها منها ورأت هويته ثم قالت:

- شكله كده منقول جديد..

- طب ما حلو ده.. أنتِ بقى تروحي تسألي مامتك لو في شخص اتقدملك من محافظة تانية هتوافقي عليه ولا لا.

رفعت حاجبيها وردّت بنبرة ساخرة:

- اتقدملي! ده أنتِ طموحاتك عالية أوي.. هو أنا أعرفه أصلًا ولا هو يعرفني عشان يتقدملي!

ضحكت مريم وقالت:

- ما أنتوا هتتعرفوا.. حركة المحفظة دي لا يمكن تكون صدفة.. اعملي بس زي ما بقولك روحي لمامتك واسأليها السؤال ده.

- مش هسألها على حاجة وبطلي هبل، أنا أصلًا متضايقة من عادل إنه خلاني اتعاملت مع واحد معرفوش، ربنا يسامحني بقى.

- متعقديهاش، هو اضطر يبعتلك حد هو واثق فيه ولو مكنش واثق فيه مكنش هيبعتهولك، وأنتِ مضطرة تردي عليه وبعدين أنتِ ملحقتيش تتكلمي معاه يعني عشان تحسسي نفسك بالذنب ده.

- ولو برضو.. كان ممكن يجي هو بنفسه زي ما جيه من شوية..

- على العموم شوفي الملف اللي معاكِ ولو الشغل كتير احنا ممكن نقسمه علينا احنا الاتنين عشان نخلصه بسرعة.

- أوكي ماشي..

***

عاد إلى عمله ودلف إلى مكتب الرائد عادل، وطرق على الباب. ثم دخل بعد أن أذن له عادل، فسأله في الحال:

- ها يا سليم اديتها الملف؟

- أيوة يا فندم.

- كويس.. أنت إجازتك امتى؟

- الجمعة الجاية بإذن الله.. يا دوب استعد.

- أقعد يا سليم..

فجلس سليم ونظر عادل إليه وسأله قائلًا:

- قولي يا سليم، أنت متجوز؟

ضحك سليم دون أن يصدر صوتًا، وأجاب قائلًا:

- لسه ملقتش بنت الحلال.

- طب وإيه رأيك لو لقيتها، تاخد الخطوة؟

- والله ياريت.. بس ألاقيها.

- طب ولو بتشتغل، هتسيبها تكمل شغل بعد الجواز؟

- أعتقد إنها مش هتبقى مضطرة للشغل لأني مش هخليها تحتاج لـ أي حاجة..

- طب ولو هي أصرّت إنها هتفضل في شغلها ومش هتسيبه.

- والله يا عادل باشا أنا مع حاجة وضد حاجة، أنا ضد إن الست تمشي بمبدأ المساواة وتبقى راس براس لأن ديننا مقالش كده.. لكن لو هتشتغل عشان اتعودت على شغلها ده ومش بتختلط بحد يبقى خلاص هبقى مطمن وواثق.

- تعرف إن أغلب مشاكلي مع مراتي بسبب الموضوع ده..

- ربنا يصلح حالك يا عادل بيه، حضرتك إنسان محترم وتستاهل كل خير..

- إيه رأيك تيجي تتعشى معانا النهاردة وأهو بالمرة أعرّفك على الأسرة الكريمة.

- مش هبقى عبء عليهم؟

- بالعكس، هيرحبوا بيك وأنا واثق إنهم هيحبوك.

- يبقى نتقابل بالليل على العشاء بإذن الله.

***

استغرق في نومٍ عميق، فلم يُغمض له جفن منذ الحادثة. عندما فتح عينيه بتأني، وجد نفسه في عالمٍ آخر، وكأنه كان غائبًا عن الوعي، غير مدركٍ لفراق من أحبه وتربى على يدها. كانت الدموع تنهمر من عينيه كلما تذكر رحيلها.

فجأة، سمع صوت الجرس فنهض ليفتح الباب، ليجد رامي أمامه. عندما نظر إليه، رأى عينيه قد ذبلتا من البكاء، ولم ينتظر لحظة أخرى حتى ارتمى في أحضانه. بدأ رامي يمسح على ظهره ويهدئ من روعه، ثم دخلا إلى الداخل وأغلق عمر الباب. جلس رامي بجوار عمر، الذي كان ينظر إليه شارد الذهن، وعينيه تحملان آثار الحزن. فربت رامي على كتفه وقال:

- أنا حاسس باللي أنت فيه ومقدّر، وده اللي دفعني أجيلك بعد ما كلمتك وادتني العنوان، بص يا عمر لازم تعرف إن والدتك في مكان أحسن من هنا بكتير، كفاية إنها هتحتسب من الشهداء يعني هتدخل الجنة من غير حساب، يعني ده لوحده كفيل إنه يخليك مبسوط ومطمن عليها.

نظر إليه باسمًا بحزن ثم أردف قائلًا:

- مبسوط!

- أنا عارف إن الفراق صعب، بس الدنيا ماشية وهي لو عايشة دلوقتي أكيد مكانتش هتحب تشوفك في الحال ده.. فوق يا عمر وارجع الشغل، أينعم أنت اشتغلت يومين بس، لكن والله من ساعة اللي حصل والكافيه بقى وحش من غيرك.. كلنا مستنيين رجوعك وأولنا أنت عارف مين طبعًا..

فضحك وهو يقول جملته الأخيرة، ثم نظر إليه عمر متمعنًا فقال:

- ياريت تتغير.. أنا ملاحظ إنك بتقول كلام كويس وفاهم الدنيا، إيه اللي يربطك بشرب السجاير ومصاحبة البنات والاختلاط والحياة دي؟

- ومين قالك إني راضي عن نفسي، مين قالك إني مش بحاول أغير من نفسي، متقلقش عليا يا عمر أنا منتظم في الصلاة وعلى قد ما بقدر بحاول أسيب العادات السيئة لأني فعلًا مش عاجبني أي حاجة أنا بعملها، ربنا يهدينا جميعًا..

فنهض عمر واقفًا فتعجب رامي وسأله قائلًا:

- رايح فين؟

- هدخل أغيّر هدومي وأقصّر دقني وهاجي معاك..

تهلل رامي من السعادة ثم قال وقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة عريضة:

- بجد يا عمر هترجع الشغل!

أومأ برأسه ثم قام رامي بمعانقته قائلًا:

- ده أحلى خبر سمعته والله.

- معنديش اختيار تاني، مش عايز أسلم دماغي للشيطان.

- عين العقل، نادر بيه هيفرح أوي.

- يا رب أكون عند حسن ظنه.

- يلا روح غيّر وأنا مستنيك..

***

قد وصلت لتوّها إلى المنزل وتركت حقيبتها، فالتقت بوالدها الذي كان يجلس متشبثًا بأحد الجرائد يتابع أخبار اليوم. على الرغم من التكنولوجيا الحديثة التي تسهل معرفة الأخبار، إلا أنه ما زال يفضل قراءة الجرائد الورقية. ألقت نور السلام عليه وجلست معه، وسألته عن حاله وعن عمله، وران عليهما الصمت قليلًا حتى خرجت والدتها من المطبخ. فلم يعتمدوا على الخدم، بل كانوا يفعلون كل شيء بأيديهم.

ترك جمال الجريدة ونظر إلى أسماء، وأخبرها قائلاً: "عادل كلمني وقالي إنه عازم واحد صاحبه على العشا النهاردة، فاعملي حسابك. وياريت تكلمي ندى هي كمان تيجي تتعشى معانا، يمكن نقدر نصلح بينهم."

توترت نور عندما ذكر والدها سيرة صديقه، فهو حتمًا يقصد سليم! طلبت منهما الإذن وغادرت إلى غرفتها، فجلست أسماء قائلة:

- وهو من امتى عادل بيعزم صحابه عندنا؟

- بيني وبينك كده.. شامم ريحة عريس.

- عريس! لمين؟!

- لنور..

- معقولة! طب وهي هتوافق؟!

- لما يشوفوا بعض الأول وهي ترتاحله وهو يرتاحلها.

- طب وكريم!

- ماله كريم؟

- ده أنا كان في بالي إنه هيرجع وهيتجوز بنت من بناتنا ويبقى اتلمينا كلنا من تاني.

- دي إيه الأحلام دي يا أسماء، كريم في عالم تاني دلوقتي معتقدش إنه هيفكر في الجواز وبعدين أنا عايز نور تتجوز يمكن تعقل شوية وملك كده كده مسيرها في يوم من الأيام تلاقي نصيبها هي كمان.

- طب والشخص صاحب عادل ده كويس؟

- أنتِ عارفة ابنك مش بيثق في أي حد ومش بيصاحب أي حد، معنى إنه عزمه هنا يبقى بيثق فيه ثقة عمياء.

- طب على خير، صحيح.. أنت كلمت كريم؟

- لا مكلمتوش، بس نادر كلمني وقالي إنه رجع الشغل.

قالت أسماء وقد بدا عليها الشعور بالراحة:

- طب الحمدلله ده خبر كويس أوي..

- إن شاء الله يفوق من اللي هو فيه ويجي الوقت المناسب اللي يعرف فيه كل حاجة ونرتاح بقى من الغمة دي.

- يا رب.. أنا هخلي نور تساعدني عشان ملك في المستشفى ومش هترجع غير بالليل.

- الأول كلمي ندى عشان متنسيش.

- حاضر..

كانت نور في غرفتها تمسك بمحفظة سليم، وكانت شاردة ومتوترة من مقابلة اليوم. نظرت إلى هويته وتذكرت حديث مريم معها، فابتسمت. ثم استعادت رباطة جأشها وحدّثت نفسها قائلة:

- فوقي يا نور.. أنتِ هتخيبي ولا إيه!

حل الليل وأصبح الطعام جاهزًا، وكان الجميع في انتظار الضيوف. رن جرس الباب، فخفق قلب نور من التوتر، دون أن تدري لماذا تشعر بهذا الشعور. أسرعت نحو الباب وفتحته لتجد زوجة أخيها، عانقتها بشدة وأخبرتها أنها اشتاقت إليها كثيرًا. دخلت الزوجة وألقت السلام على الجميع، وقبل أن تغلق الباب، دفعه عادل الذي دخل وهو يرمق نور بنظرة حادة. شعرت نور في داخلها أنه ليس شخصًا طبيعيًا، وتعجبت عندما رأته بمفرده. استدارت نحو الباب مرة أخرى لتتفاجأ بسليم واقفًا أمامها مبتسمًا بتباهٍ. أذنت له بالدخول فشكرها ودخل، وألقى السلام على جميع الحاضرين، مما أعجب جمال وأسماء.

جلس الجميع على المائدة، وكان سليم يتناول الطعام بخجل، يختلس النظر إلى نور من وقت لآخر، وشعر بجاذبية تجاهها. قرر أن يتحدث مع عادل عنها. بينما كانت ندى، زوجة عادل، لا تنظر إليه وكأنه شيئًا لم يكن.

بعد انتهاء الطعام، جلس الجميع في غرفة المعيشة، وكانت ندى تساعد أسماء في إعداد القهوة. خرجت أسماء من المطبخ، ودخل عادل ووقف خلف زوجته ثم قال:

- مستغرب إنك جيتِ.

استدارت وقالت:

- أنا جيت عشان مامتك صممت إني آجي، بس أحب أبشرك إني خلاص جبت أخري وهتطلق قريب.

- يعني إيه الكلام ده!

- يعني احنا مبقاش ينفع نعيش مع بعض تاني، يمكن لو أهلي كانوا عايشين مكنتش افتريت عليَّ بالطريقة دي، بس هو نصيبي كده.

- أنا مش بفتري عليكِ يا ندى.. أنتِ اللي مش بتسمعي الكلام وبتفضلي مصممة على رأيك.

- كل ده عشان إيه؟ عشان عايزني أسيب وظيفتي اللي كنت بحلم بيها طول العمر!

- لا يا دكتورة، عشان أنتِ مش ناقصك أي حاجة عشان تشتغلي.

- ومين قالك إني بشتغل عشان خاطر الفلوس، أنت بتقول شغل الست في الضرورة بس، وأعتقد إن مفيش ضرورة أكتر من شغل الدكاترة.

- الكلام ده لو مفيش بديل، لكن أنتِ هيلاقوا غيرك ألف بديل.

- قد إيه أنت إنسان رجعي ومش هتتغير، طلقني يا عادل.. طلقني.

فخرجت ندى من المطبخ لتجلس بالخارج بمفردها. بينما خرج سليم إلى الحديقة ليجيب على هاتفه، جاءت نور ووقفت خلفه. وعندما انتهت مكالمته واستدار، فوجئ بها أمامه، فقالت:

- اتفضل محفظتك.. وقعت منك وأنت في الجريدة.

- يااااه.. ده أنا قلبت عليها الدنيا، وآخر حاجة كنت أتوقعها إنها تضيع في الجريدة.

- الحمدلله إنك لقيتها..

- شكرًا يا آنسة نور.

- على إيه يا سيادة النقيب، العفو.

ومضت نور من أمامه، وكان سليم ينظر إليها وهي تغادر بابتسامة خفيفة تعكس براءته. لقد تأكد من إعجابه بها، فخرج هو الآخر وجلس مع الجميع. عادت نور إلى غرفتها وهي تشعر براحة غريبة، فقررت أن تهاتف صديقتها مريم وتروي لها ما حدث.

بعد انتهاء جلستهم، قرر سليم أن يرحل، وذهب عادل معه بعد أن أصر جمال على أن تبقى ندى، مؤكدًا أنها لن ترحل بمفردها في هذا الوقت

المتأخر. جلس عادل مع سليم في أحد المقاهي، وأخبره بقصته مع ندى، فحاول سليم أن يهدئ من روعه، ثم قال:

- قرار الطلاق قرار صعب خاصةً إن مفيش سبب قوي للانفصال، طالما مراتك طبيبة وبتشتغل وفي حالها يبقى إيه المشكلة؟

- المشكلة إني بحبها وبغيير عليها، بتضطر إنها تتعامل مع دكاترة رجالة وأنا مش حابب ده يحصل.

- هي بتتعامل معاهم فين؟ مش في غرفة العمليات وأثناء شغلهم بس!

- أيوة..

- وده في أضيق الحدود.. لأنها معندهاش اختيار تاني..

- لا عندها.. تسيب الشغل ده وبلاه خالص.

- برضو يا سيادة الرائد مصمم على اللي في دماغك.. طب هتقبل نصيحة أخوك؟

- آه طبعًا.. قول..

- مدام ندى باين عليها إنها في قمة الأخلاق والاحترام وده صعب تلاقيه دلوقتي في أي واحدة، بلاش تفتري يا عادل بيه عشان ربنا ممكن يبتليك بحاجة أنت مش هتقدر عليها..

- يعني أنت عايزني أعمل إيه!

- في حاجات بنضطر نتأقلم معاها حتى لو مش هتبقى على هوانا عشان نقدر نعيش، وطالما الحاجات دي لا هتأذينا ولا هتخسرنا حاجة ولا هتشيلنا ذنوب يبقى ليه منعديهاش!

ظل عادل ينظر إلى سليم، يفكر في كلامه وقد بدا عليه الاقتناع. أومأ برأسه وقال:

- أنت عندك حق..

- على العموم أنا مش عايزك تفكر كتير، أنت تقوم دلوقتي ترجع البيت وتصالحها وياريت ترجع بيتك وتحاول تغير من نفسك وتحسسها باهتمامك، وربنا يصلحلك الحال.

ابتسم عادل وقال وقد بدا عليه الراحة:

- أنا مش عارف أقولك إيه والله يا سليم، ريحتني واقنعتني.

- طب بمناسبة إنك مرتاح والغمة اللي على قلبك اتشالت، كنت حابب أتكلم معاك في موضوع إذا أمكن..

- آه طبعًا اتفضل.

- بصراحة كنت حابب أطلب منك إيد الآنسة نور..

(4)

"فِصام"

تفاجأ عادل بطلب سليم، فحدق فيه بعمق قبل أن يرد بنبرة حادة، وكأنه يواجه طلبًا لا يمكن تنفيذه:

- الآنسة نور مين!

- أخت سيادتك..

- جرا إيه يا سيادة النقيب.. أنت شوفتها كام مرّة عشان تتقدملها؟!

- بصراحة كل الحكاية إني ارتحت وشوفت إنها محترمة وكفاية إنها أخت حضرتك.

فابتسم عادل ثم قال:

- على العموم فاتح أهلك في الموضوع وشوف حابّين تشرفونا امتى.

تهلل سليم من السعادة وهو يقول وقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة عريضة:

- بجد والله؟ قول إنك بتتكلم جد!

ضحك عادل ثم قال وقد بدا عليه الشعور بالراحة:

- آه والله بتكلم جد.. يلا نتحرك بقى عشان أنت تلحق إجازتك وابقى بلّغني في التليفون بالميعاد.

- بإذن الله أنا متشكر جدًا جدًا يا عادل بيه.. وبجد ده هيكون شرف عظيم ليَّا.

- استنى بس بلاش الحماس ياخدك كده، مش لما أفاتح نور في الموضوع الأول وأشوف رأيها إيه..

- إن شاء الله توافق.

- بإذن الله ربنا يقدم اللي فيه الخير..

انتهى عمر من عمله وبدأ يشعر ببعض الراحة، فتوجه إلى غرفة تغيير الملابس، وجمع أغراضه مستعدًا للمغادرة. لكنه قبل أن يصل إلى الباب، أوقفه المدير. توقف عمر واستدار ناظرًا إليه، وقال:

- أيوة يا نادر بيه اتفضل.

- أنت بخير صح؟

فابتسم عمر بحزن وأجاب قائلًا:

- زي ما حضرتك شايف بالضبط، بحاول أتصرف عكس طبيعتي يمكن ده يجيب نتيجة وأرتاح.

- متقلقش يا عمر، هي مسألة وقت وكل شيء هيبقى تمام.. ربنا يصبرك ويشيل عنك وياريت لو احتجت أي حاجة تكلمني على طول، اوعى تتردد لحظة.

فقال عمر والامتنان يغلّف كلماته:

- شكرًا يا نادر بيه على اهتمام حضرتك، وأنا أوعدك إني لو احتجت أي حاجة هجيلك على طول.

نادر وربت على كتف عمر قبل أن يتركه وينصرف. توجه عمر إلى الخارج وسار نحو منزله سيرًا على الأقدام. وعندما وصل، أعد لنفسه بعض الطعام وجلس يتناوله بهدوء، ثم شرب مشروبًا باردًا. فجأة، تذكر حلمه بنور، الأمر الذي أثار دهشته؛ فقد كان قد نسيه تمامًا ولم يتطرق له مع جمال، أو كما يزعم مراد. قرر أن يتصل بجمال بحجة الشكر، ليجيب جمال قائلًا:

- أهلًا أهلًا يا عمر، طمني عليك أخبارك إيه!

- الحمدلله يا مراد بيه.. أخبار حضرتك إيه؟

- أنا بخير طول ما أنا سامع صوتك بخير، إيه عملت إيه..

- رجعت الشغل النهاردة، فرق معايا شوية.

- طب ده خبر هايل، أيوة كده عايزك تفوق وتنتبه لحياتك يابني.

- ده اللي بحاول أعمله والله.

ران عليهما الصمت قليلًا ثم قال عمر وكأنه قد تذكر شيءٌ آخر:

- إلا قولي صحيح يا مراد بيه، عملتلي إيه في موضوع عمي!

- والله يابني أديني بدور وبإذن الله ربنا يقدم اللي فيه الخير.

- تعرف إني مش فاكر ملامحه خالص، ولا حتى معايا أي صورة له.

- مع إنك كنت قايلي إن وقتها كان عندك ٦ سنين.

عاد بظهره إلى الوراء ثم قال وهو يضع المشروب على الطاولة:

- دي حقيقة، ومع ذلك حاسس إن فيه حاجة محت ذاكرتي من اللحظة دي وكأني اتولدت من جديد لما تُهت زمان.

- عمومًا مش عايزك تفكر كتير، أنا هبذل قصارى جهدي وهعمل اللي هقدر عليه لحد ما ألاقيه.

- يا رب بس ميكنش سافر بره مصر.

- إن شاء الله مش هيبقى مسافر..

- أنا عايز احكي لحضرتك حاجة غريبة حصلت معايا في اليوم اللي والدتي توفّت فيه.

- احكي..

- كنت قاعد قدام المستشفى لحد ما نمت من غير ما أحس، حلمت حلم غريب أوي..

- حلم إيه؟

- فاكر البنت الصحفية اللي كانت موجودة في المستشفى يوم الحادثة؟

تفاجأ جمال بسؤاله وازدرد ريقه فقال بتلعثم:

- أيوة.. مالها!

- حلمت بيها في اليوم ده.. الحلم كان غريب ومش فاهم معناه لحد دلوقتي.

- قولي.

- حلمت اني اتجوزتها.

فضحك جمال وهو يقول:

- للدرجة دي عقلك الباطن مسيطر عليك!

- لو عقل باطن زي ما حضرتك بتقول كنت حلمت بيها وأنا بتخانق معاها إنما الحلم ده كان غريب أوي..

قص عليه عمر ما رآه في منامه، بينما ظل جمال صامتًا يحاول استيعاب ما سمع. شعر جمال أن هذا الحلم قد يحمل معنى أكبر من كونه مجرد حلم عادي؛ بل ربما يكون رؤية. وبعد لحظات من التأمل واستجماع قواه، قال:

- جايز تكون أضغاث أحلام وجايز يكون فيه تفسير للحلم ده بس مش زي ما أنت فاكر، وجايز يكون عقلك الباطن حب يشكّل حاجة على مزاجه، المهم أنت لما صحيت حسيت بـ إيه؟

ضحك عمر وقال بنبرة ساخرة:

- هو أنا كان عندي وقت أحس بحاجة ما حضرتك كنت معايا وحضرت كل حاجة بنفسك..

- أيوة صح عندك حق، طب ودلوقتي لما افتكرت حسيت بـ إيه؟

- لا ولا أي حاجة، أنا بس كان عندي فضول أعرف إيه معنى الحلم ده، أكيد مشاعري مش هتتحرك ناحية واحدة مشوفتهاش غير كام مرة في نفس اليوم وكانت هتخسرني شغلي.

- مش رؤيتك ليها في الواقع هي اللي هتحرّكلك مشاعرك، الحلم نفسه كفيل إنه يحرّكها يإما يبقى شعور مؤقت وهيروح مع مرور الأيام يإما هيفضل لازق في دماغك.

- يمكن لو كان في وقت تاني غير الوقت، والحمدلله إنه حصل في وقت مكنش عندي فيه وقت للتفكير.

زفر جمال وهو يقول:

- على العموم أنا مش عايزك تفكر في أي حاجة، فكر في شغلك ومستقبلك وبإذن الله حياتك الجاية هتبقى أفضل.

- بإذن الله.. أتمنى مكنش أزعجت حضرتك في الوقت المتأخر ده.

- لا متقولش كده، مفيش أي إزعاج، اتصل بيا في أي وقت هتلاقيني موجود.

- مش عارف أشكر حضرتك ازاي يا مراد بيه.

- شكر على واجب.. تصبح على خير.

في صباح اليوم التالي، كانت نور تتابع بعض الأعمال على جهاز الآيباد، لكن سرعان ما تركته عندما رأت عادل وزوجته يغمران بالسعادة، فابتسمت وأكملت ما كانت تفعله. بعد قليل، انضم إليهم عادل وجلس بجانبهم، وكانت السعادة تملأ المكان. عندها قال عادل:

- بالمناسبة الحلوة دي بقى أنا كنت حابب أقول حاجة.

توجهت أنظار الجميع نحو عادل بفضول، فابتسم ابتسامة عريضة وهو ينظر إلى نور، ثم قال بحماس:

- النقيب سليم اللي اتعشى معانا امبارح.

شعرت نور بتوتر حين ذكر عادل اسمه، لكن عادل أكمل حديثه قائلاً:

- عايز يتجوز نور.

نظرت نور إليه بتفاجؤ، وشعر الأب بسعادة غامرة لم يشعر بها من قبل. ثم قالت أسماء:

- أنا كنت حاسة إن ده هيحصل.

ظلت نور صامتة لا تعرف ماذا ستقول هي الأخرى، فسألها الأب بتعجب:

- إيه يا حبيبتي مش هتقولي رأيك؟

قالت نور بتلعثم:

- رأيي فِ إيه يا بابا؟ أنا متفاجئة.. بس يمكن عشان مشوفتوش غير مرة واحدة بس فمعنديش حاجة أقولها دلوقتي.

فرد عادل وقال:

- بصي يا نور.. أنا عارف سليم كويس وعارف أخلاقه وعارف إنه هيصونك، الفكرة كلها إنه شافك وعجبتيه وفاتحني في الموضوع وهو دلوقتي زمانه سافر وهيفاتح أهله في الموضوع.

توترت أكثر ثم قالت:

- ادوني فرصة أفكر..

نور وذهبت إلى غرفتها على الفور، بينما كان عادل يجلس مرتاحًا لأنه كان يشعر أن نظرات عينيها وتوترها تعني أنها قد وافقت. أغلقَت الباب ودخلت تطبيق "فيسبوك" لتتفقد حساب عادل، ثم بحثت عن حساب سليم. عندما وجدته، ابتسمت لرؤية صورته، وبدأت تفكر في عرض الزواج الذي دارت حوله أفكارها.

***

حل الوقت الذي سيأتي فيه سليم لطلب يد نور، وكانت تشعر بتوتر كبير. كانت أختها ملك معها في الغرفة، تساعدها وتخفف من قلقها، فهي طبيبة نفسية وتعرف كيف تدعمها في مثل هذه المواقف.

سمعت نور صوت الجرس، فاجتاحها التوتر مرة أخرى. خرجت من الغرفة برفقة أختها، ونزلت إلى الأسفل حيث كان سليم يتبادل أطراف الحديث مع جمال وعادل وباقي أفراد العائلة. وعندما لمح نور، تلاشت ابتسامته تدريجيًا بسبب توتره، ونهض واقفًا.

ألقت نور السلام عليه دون أن تصافحه، ثم ألقت التحية على بقية الحاضرين وجلست بجوار والدتها. بعد قليل من الحديث والاتفاق، تمت خطبة نور على سليم، وبدأت قصتهما معًا.

خرج من عمله متجهًا إلى منزله كعادته اليومية، حيث لم يعتد الذهاب إلى أي مكان آخر بعد انتهاء ساعات العمل. لكن شعورًا غريبًا انتابه دفعه

للسير في أحد الشوارع الجانبية، رغم أنها لن توصله إلى منزله، وكأن هناك شيء ما يجذبه لذلك الطريق.

وقف للحظة عندما شعر بصداع شديد يسيطر على رأسه، وضغط يديه عليه. حينها، سقطت حقيبته على الأرض، وشعر بدوار كاد أن يفقده وعيه. لكنه تمالك نفسه، وأغمض عينيه لفترة لم تتجاوز الثواني. بعد أن استجمع قواه، جلب حقيبته وواصل السير وكأنه لم يشعر بأي شيء قبيل هذه اللحظة.

تلاشت ملامح القلق من وجهه وظهرت شبح ابتسامة قبل أن يمضي في طريقه متجهًا إلى منزله. وعندما وصل، أسرع في استبدال ملابسه، مرتديًا سترة سوداء من الجلد. وضع قفازًا أسود في حقيبته وقبعة سوداء، ثم بدأ يجمع بعض الأسلحة البيضاء، داسها في حقيبته. أما السلاح الناري، فقد وضعه في بنطاله بجانبه الأيمن مع كاتم الصوت، وكأنه يستعد لمجزرة وليست مجرد جريمة!

خرج من منزله على الفور، وركب سيارته المجهولة، منطلقًا بسرعة إلى حيث يدري.

في صباح اليوم التالي، استيقظت نور وهي تنظر إلى يدها وتبتسم بسعادة. نهضت واستعدت للذهاب إلى العمل، لكن تذكرت أن صديقتها الوحيدة لم تحضر خطبتها. وعندما وصلت إلى الجريدة، دلفت إلى المكتب دون أن تعير مريم أي اهتمام.

شعرت مريم بالإحراج، فقامت وذهبت وراءها. دخلت مكتب نور ببطء، تنظر إلى الأسفل، وكانت نور منهمكة في تفحص بعض الملفات أمامها. تنهدت مريم وقالت:

- أنا عارفة إنك زعلانة وعندك حق مش هقولك متزعليش، بس صديقني أنا قولت إن دي مناسبة عائلية ومفيش حد معزوم، فوجودي مكنش هينفع.

تركت نور ما كانت تفعله ورفعت رأسها، تنظر إلى مريم بنظرات تحمل الكثير من المشاعر. ثم قالت:

- أنتِ مجيتيش عشان مناسبة عائلية زي ما أنتِ ما بتقولي، أنا وأنتِ عارفين سبب عدم مجيّك كويس أوي.

- لا أنا معرفش! ومش فاهمة أنتِ تقصدي إيه..

- لا يا مريم أنتِ فاهمة، وعلى العموم لو مش فاهمة هفهمك.. أنتِ مجيتيش بسبب وجود عادل ومراته وخاصةً بعد ما اتصالحوا.

ردت مريم بانفعال ثم قالت:

- لا يا نور أنتِ فاهماني غلط، أنا مفيش في دماغي أي حاجة من ناحية عادل في الوقت الحالي ومش هيبقى فيه، ومتنسيش إني كنت بدعيله بصلاح الحال وعمري ما اتمنيت خراب بيته.. أنا فعلًا مجتش عشان مكنتش هبقى مستريحة خاصةً إنها خطوبة عائلية..

- خلاص يا مريم قفلي على الموضوع ده مش عايزة أتكلم فيه.

- عمومًا يا نور ألف مبروك وربنا يسعدك ويوفقك في اللي جاي بإذن الله.

فانصرفت دون أن تضيف كلمة أخرى وكانت نور تنظر إليها وهي تغادر، كانت تحاول أن تصفى لها ولكنها فشلت فأرادت بعض الوقت لكي يهدأ داخلها تجاه مريم.

***

أصوات سيارات الشرطة والإسعاف كانت تعلو في أحد شوارع حي المعادي، وكأن المشهد يتكرر مرة أخرى، حيث تتكرر حادثة رجل الأعمال الراحل "طاهر المنسي"، ولكن هذه المرة مع مجني عليه آخر. كان عادل وحسن وسليم هم المحققين كالمرة السابقة، لكن هذه المرة كان القتيل في منزله وليس في مكان غامض.

لم يصل معمل التحليل الجنائي إلى أي بصمات في المنزل سوى بصمات المجني عليه وبصمات شخص آخر، وتوقعوا أن تكون بصمات زوجته، ولكن أين هي الآن؟

استمر التحقيق مع بواب العمارة والسكان، لكنهم لم يشهدوا شيئًا. أخبرهم البواب أن العمارة تحتوي على عيادة خاصة لطبيب أسنان، حيث يأتي الكثير من المرضى ويذهبون حتى الساعة الثانية عشرة مساءً. لم يكن هناك ما يمنع القاتل من الادعاء بأنه مريض والدخول إلى منزل المجني عليه. كما كانت كاميرات المراقبة معطلة كالعادة، وكأنه قد خطط لذلك مثل المرة السابقة. كاد عادل أن يفقد صوابه، لكنه أصر على أنه سيجد القاتل مهما كلفه الأمر.

اتضح أن الرصاص الذي اخترق جسد المجني عليه هو نفس الرصاص الذي وجد في جسد طاهر المنسي، مما أكد لهم أن القاتل هو نفسه.

ابتعد سليم قليلًا واتصل بنور، التي ردت قائلة:

- أهلًا يا سليم صباح الخير..

- صباح الخير يا نور، بقولك في حاجة حصلت وعايزين خبر ينزل عنها.

- خير.. إيه اللي حصل؟

- مدير كافيه *....* اتقتل.

قالت نور بصدمة:

- إيه! أنت بتتكلم جد!

- أنتِ تعرفيه ولّا إيه؟

- معرفوش شخصيًا بس ده صاحب بابا.

- أيوة ما عادل قالّي، المهم دلوقتي إننا موصلناش غير لحاجة واحدة بس وهي إن الجريمة اللي فاتت تعتبر اتكررت تاني والقاتل واحد والسبب مجهول.

- أوكي ماشي يا سليم فورًا هروح أعرّف رئيس التحرير والخبر هينزل خلال ربع ساعة.

- ماشي، خلي بالك على نفسك.

- وأنت كمان خلي بالك على نفسك، وإن شاء توصلوا للحقيقة.

- بإذن الله.

فغلقت نور المكالمة، وظلت تفكر في الأمر. تذكرت أن عمر يعمل في نفس المقهى، فقررت أن تذهب إلى رئيس التحرير. بعد أن أخبرته بنبأ القتل، تم نشر الخبر.

ثم توجهت إلى البنك الذي يعمل فيه والدها، وعزمت على إبلاغه بكل ما تعلمه. بعد أن شرحت له كل التفاصيل، ظل والدها صامتًا، مما جعلها تشعر بالقلق. اعتذرت له قائلة إنها استمعت لما كان يُقال من باب القلق فقط. فرد والدها بهدوء:

- كريم ميعرفش أي حاجة لحد دلوقتي، أنا بتعامل معاه على إني واحد غريب اسمه مراد السويفي، وهو مش فاكر شكلي والمفروض إني مفهمه إني بدورله على عمه.

- طب حضرتك عرفت إن نادر بيه اتقتل!

حدّق جمال بعينيه صامتًا من فرط صدمته، فقالت نور وقد بدا عليها القلق:

- بابا.. حضرتك كويس!

قال جمال بنبرة خوف:

- مدير كريم!

- أيوة للأسف.. لقوه مقتول في شقته، شكل الموضوع وراه لغز كبير.. الشرطة نفسها مش عارفة تحله.

- شقته دي فين؟

- مش عارفة.. لحظة هتصل بعادل وهسأله..

وبعد معرفة العنوان قال جمال:

- بس نادر عايش في ٦ أكتوبر مش في المعادي!

تعجبت نور وردّت قائلة:

- ما يمكن واخد شقة هنا..

- لا.. هو قايلي إنه عايش في اكتوبر ودي معلومة أنا متأكد منها لأن كل التحويلات البنكية كانت بتوصله على هناك.

- هو متجوز؟

- أيوة متجوز..

- الله يكون في عون مراته بصراحة، أنا مضطرة أرجع الجريدة عشان شكل الموضوع كبير والشغل هيكتر.

- ماشي يا حبيبتي خلي بالك من نفسك وأنا هقوم دلوقتي أروح الكافيه اللي كريم بيشتغل فيه.

***

كان الجميع في المقهى قد أعلنوا الحداد على فراق مديرهم، والحزن ينهش قلوبهم. كان رامي في انتظار كريم الذي لم يصل بعد، فقرر أن يهاتفه، ولكن هاتفه كان مغلقًا، مما زاد من قلقه.

استفاق كريم من نومه وصداعه شديد، وكأنه قد نائم كأهل الكهف. نهض وهو يمسك برأسه من شدة الألم، وأمسك بهاتفه ليكتشف أنه مغلق. تذكر متى ذهب إلى النوم، لكنه شعر أن الوقت قد توقف عند خروجه من العمل؛ لا يتذكر كيف عاد إلى المنزل أو متى حدث ذلك، وكأنه فقد جزءًا من ذاكرته.

نهض وفتح هاتفه ليجد أن الساعة أصبحت الحادية عشر صباحًا، بينما عمله يبدأ من التاسعة. قال لنفسه:

- نادر بيه هيطردني النهاردة...

أسرع في الذهاب إلى العمل، وهو يهاتف رامي في الطريق، لكنه لم يخبره بما حدث. وعندما وصل، وجد الجميع في حالة فوضى، فتعجب وسأل رامي عن وجود المدير. كان مستعدًا للطرد، لكن رامي أخبره في الحال أن نادر قد قُتل في ظروف غامضة.

جلس عمر فجأة، وفي شدة صدمته، رفع رأسه ونظر إلى رامي قائلًا:

- ازاي ده حصل.. وامتى حصل!

- الشرطة جت هنا من ساعتين وفتشت المكان وحققت معانا، مكناش فاهمين حاجة لحد ما قالوا سبب التحقيق.

- قدروا يوصلوا للقاتل!

- لا.. لسه التحقيق شغال، بس اللي كلنا نعرفه إن نادر بيه من أكتوبر، ولقوه مقتول في شقة هنا قريبة في المعادي.. في حاجة مش مفهومة!

- إنّا لله وإنّا إليه راجعون! أنا مش قادر أصدق اللي قتله ده كان عايز منه إيه!

- إن شاء الله يلاقوه في أقرب وقت.

- يا رب.

- صحيح أنت اتأخرت كده ليه، وليه موبايلك مقفول؟

- والله يا رامي أنا صحيت لقتني مصدع ولقيت الموبايل مقفول كان فاصل شحن فالمنبه مرنش.

- أنا قلقت عليك بعد اللي حصل والله، على العموم احنا مرضناش نقول للشرطة إنك بتشتغل معانا عشان متتبهدلش في التحقيق.

- أنا لازم ألاقي عمي وفي أسرع وقت!

دخل عمر إلى غرفة تغيير الملابس، وغارق في التفكير فيما حدث مساء البارحة. لم يتذكر كيف وصل إلى منزله أو ما الذي جرى له، وكاد جنونه أن يتفاقم لولا الظروف القاسية التي يمر بها. قرر أن ينسى تلك الليلة ولن يفكر فيها مرة أخرى.

تذكر كلمات جمال عن مراد ومكان عمله. قد أخبره أنه مدير بنك، لكنه لم يوضح له حقيقة المكان الذي يعمل فيه. قرر أن يذهب إلى هناك، لكن شعورًا غريبًا أوقفه وأعاد إليه صداعه مرة أخرى، فذهب إلى دورة المياه ليغسل وجهه.

نظرت عينيه إلى المرآة، حيث بدا له شبح ابتسامة غريبة تلوح على وجهه، كانت تحمل في طياتها معنى الانتقام والانتصار. دخل رامي عليه، فوجده واقفًا أمام المرآة. فسأله:

- إيه يا عمر.. كل ده بتغير؟

كان عمر يحدّثه وهو ينظر أمام المرآة بتلك النظرة، وتلك الابتسامة لم تفارق وجهه. فقال بنبرة غريبة:

- أحلى حاجة في الدنيا إنك تنتقم من اللي بيأذوك واللي بيأذوا اللي حواليك.

تعجب رامي من لهجته فردّ عليه قائلًا:

- مش دايمًا الانتقام بيكون الحل المناسب في حين إن ممكن يكون فيه حلول تانية ترجعلك حقك وبطريقة محترفة كمان.. مش بيقولولك أخد الحق حرفة!

استدار عمر وهو ينظر إلى رامي بنفس الابتسامة الغريبة، ثم قال بلهجة تباهٍ:

- ما هو ده بالضبط اللي أنا أقصده.. وأكيد مديركم العزيز أذى حد وتم الانتقام بنجاح.

عقد رامي حاجبيه بتعجب، وكان يشعر أن الشخص الذي يقف أمامه ليس عمر، بل كأنه قد أتى من عالمٍ آخر. ما هذه اللهجة الجديدة التي يتحدث بها؟ ولماذا تظهر عليه الشماتة في موت نادر بهذه الطريقة؟

وضع عمر يديه على رأسه مرة أخرى، متألمًا بشكل مروع، كاد الألم أن يفتك به. ظل يصرخ من شدة الألم، فقال رامي بنبرة خوف:

- فيه إيه يا عمر مالك!

كاد عمر أن يسقط مغشيًا عليه، لولا أن رامي أسرع لإسناده واصطحبه إلى غرفة نادر، حيث وضعه على الأريكة. استلقى عمر سريعًا في نوم عميق. في تلك اللحظة، حاول رامي أن يقنع نفسه بأن ما قاله عمر سابقًا كان

مجرد هلاوس ناتجة عن تعبٍ شديد، فقرر أن يلتمس له بعض الأعذار. تركه نائمًا وخرج من الغرفة.

بعد مرور ساعة، استيقظ عمر ليجد رامي جالسًا أمامه، وبجانبه منى التي كانت تنظر إليه بقلق. شعر بالفزع حين رأى رامي يقترب منه بهذا الشكل، فنهض ببطء وسأله عما حدث. أجاب رامي، ثم قال عمر في دهشة واضحة:

- أنا اللي فاكره إني كنت بغيّر هدومي وكنت خارجلكم، إيه اللي ودّاني الحمام!

- عمر فوق يا عمر.. أنا وأنت وقفنا في الحمام واتكلمنا لمدة ٥ دقايق تقريبًا!

- لا.. في حاجة غريبة بتحصلي وأنا مش فاهم إيه هي..

- حاجة إيه؟!

نهض عمر على قدميه وقال:

- أنا لازم أروح لمراد بيه..

- مراد بيه مين!

(5)

"صِدام"

خرج عمر دون أن ينطق بكلمة، متجهًا إلى الخارج حيث استقل سيارة أجرة وتوجه إلى البنك الذي يعمل فيه جمال. وعندما وصل، سأل عنه، وكانت المفاجأة عندما أخبروه أنه لا يوجد شخص بهذا الاسم. أصر عمر على مقابلة مدير البنك، وبالفعل تمت المقابلة، لكنه تفاجأ عندما وجد شخصًا آخر. اعتذر له وأوضح له الوضع، ثم انصرف إلى الخارج محاولًا الاتصال بجمال، لكنه فشل في ذلك.

شعر بالغضب، فقد اعتقد أن جمال مجرد نصاب يحاول استغلاله، ولم يعد يثق بأنه سيبحث له عن عمه كما وعد. عاد إلى المقهى وواصل عمله، حيث أخبره رامي أنهم سيعملون الآن بدون مدير حتى تأتي زوجته أو أحد أبنائه.

في الأثناء، كان التحقيق مستمرًا في مكان الجريمة. جاءت زوجة نادر، إلهام، في حالة انهيار شديد، وكان عادل يحاول تهدئتها، فقرر ألا يحقق معها في تلك الحالة. لكن اتضح أن هناك بصمات لامرأة أخرى، وهذه المرأة لم تكن زوجته. همس حسن إلى عادل ليخبره بأن نادر كان يأتي إلى هذه الشقة لخيانة زوجته، وقد تكون تلك المرأة هي المسؤولة عن الجريمة.

كان عادل في حيرة من أمره بشأن كيفية إخبار إلهام بهذا الأمر، لكنه أدرك أنه لا مفر من مواجهة الحقيقة. بعد فترة، تجمع الجميع في مركز

الشرطة، ومعهم إلهام التي بدأت تهدأ قليلاً بعد أن احتست كوبًا من الليمون. سألها عادل:

- هديتِ شوية يا مدام إلهام؟

أومأت برأسها والدموع تنهمر على خديها، ثم مسحت دموعها بصعوبة وقالت:

- أنا أول مرّة أعرف إنه واخد شقة هنا.. عمره ما جابلي سيرة عنها.

كانت نبرة صوتها مرتعشة، كما لو كانت تحاول التماسك وسط الفوضى التي تحيط بها، توقفت لتلتقط أنفاسها، ثم قال عادل:

- صاحب العمارة بيقول إنه بيأجر الشقة دي مفروشة لرجال الأعمال.. وإن نادر بيه واخدها بقاله أكتر من سنة.. ازاي متعرفيش حاجة زي كده!

مسحت دموعها وقالت بخفوت:

- أنا فعلًا مكنتش أعرف.. وحتى أنا مستغربة ليه مكان شغله بعيد أوي كده عن مكان السكن بتاعنا، مع إني عرضت عليه إننا نشتري أرض قريبة مننا ونعمل عليها المشروع اللي هو عايزه!

- طب مكنش بيتغيب عن بيته مثلًا بالأيام؟ يعني مكنتيش بتلاحظي ده؟

- كنت بلاحظ.. ساعتها كان بيقولي إنه هيقعد في فندق لحد ما يخلص شغله، وأنا كنت بصدّقه.

- مفيش مرة شكيتِ فيها إنه ممكن يكون بيتغيب لأسباب تانية؟

ردّت إلهام وقد بدا عليها الخوف والتوتر، فقالت بتلعثم:

- أسباب تانية زي إيه!

- حضرتك بتشتغلي إيه يا مدام إلهام؟

- أنا بشتغل في شركة طيران.

- عندك أولاد؟

- للأسف ربنا مرزقناش بأولاد.

- طب ما يمكن ده يكون السبب..

- سبب إيه! أنا مش فاهمة حضرتك عمال بتلمح لـ إيه بالضبط!

- تحليل المعمل الجنائي أثبت إن كان في بصمات واحدة ست في الشقة، في الأول افتكرناها حضرتك بس اتضح إنه لا، في واحدة تانية كانت بتيجي لنادر بيه.

قالت إلهام وهي تبكي بصدمة:

- قصدك إيه! قصدك إن نادر كان بيخونّي؟!

- لحد دلوقتي منعرفش إذا كان متجوز ولا في علاقة غير شرعية مع الست دي.

وضعت يديها على وجهها وكانت تبكي بانهيار. نهض عادل وجلس على الكرسي الذي كان أمامها، وناولها بعض المناديل الورقية، محاولًا تهدئة روعها. ثم قال:

- أنا عارف إن الصدمة بقت صدمتين وربنا يكون في عونك.. بس للأسف هي دي الحقيقة.

رفعت رأسها ونظرت إليه قائلة:

- هي اللي قتلته!

- لحد دلوقتي احنا منعرفش.. بس الشقة مقلوبة وبنحاول نوصل لـ دليل لحد ما تليفون نادر بيه يتفتح.

دخل سليم بعد أن أذن له عادل، وناوله هاتف نادر، ثم قال:

- تمام يا فندم.. الموبايل اتفتح وكل الأرقام متسجلة عليه.

- تمام يا سيادة النقيب، اتفضل أنت.

أخذ عادل الهاتف ورأى أن المكالمة الأخيرة كانت لإلهام، فأخبرها بذلك. ثم دخل على الرسائل، ووجد محادثة مثبّتة باسم "حبيبتي". قرأ محتويات الرسائل، وتأكد أن المقابلة الأخيرة كانت في مساء البارحة، مما جعله يستنتج أنها هي من قامت بذلك. أخذ الرقم وأرسله إلى الجهات المختصة لكي يعثروا على مكانها. ثم نظر إلى إلهام وطمأنها قائلًا:

- حضرتك تقدري تتفضلي وتقريبًا احنا شِبه وصلنا للقاتل.

نهضت إلهام وقالت بنبرة ثقة:

- مبقاش يفرق معايا أعرف الحقيقة فين، ده إنسان خاين ويستاهل أكتر من الموت.

فانصرفت إلهام، وعادل ينظر إليها وهي تغادر متعجّبًا من تحولها؛ فقد كانت منهارة منذ قليل، فما الذي حل بها فجأة؟ نهض وذهب إلى المقدم حسن في مكتبه، وأخبره بما حدث. اتفقا على أن القاتل هي تلك المرأة، فلا يوجد سوى بصماتها.

بعد جهدٍ دام لمدة ست ساعات متواصلة، تم إلقاء القبض على السيدة، التي اعترفت بعلاقتها غير الشرعية مع نادر، لكنها أنكرت قتلَه. أوضحت أنها كانت مغرمة به وكانت تطلب منه دائمًا أن يتزوجها. كما اعترفت بأنهما كانا في علاقة منذ ثلاث سنوات، وأن نادر لم يكن يتزوجها لأنه كان يخشى أن تطلب حقوقها إذا انفصلت عنه، كما أخبرها في بداية علاقتهما. وأكدت أنها حاولت الابتعاد عنه، لكن حبها له كان يدفعها نحو اللقاء به بإرادتها.

لم يكن هناك دليل قاطع على أن هذه السيدة لم ترتكب الجريمة، لذا قرروا الاحتفاظ بها في مركز الشرطة حتى ظهور نتيجة الطب الشرعي. قال عادل، وهو يتنهد موجهًا كلامه لحسن:

- أنت إيه رأيك في الكلام ده؟

- والله يا سيادة الرائد أنا عند رأيي من البداية، اللي قتل طاهر المنسي هو اللي قتل نادر عبد الخالق.

- أشك لأن المجني عليهم ملهمش علاقة ببعض.. وبعدين مكنش فيه أي بصمات غير بصمات الست دي.

- مظنش إن هي اللي قتلته لأن مفيش أي أثر للسرقة، ده حتى موبايله فضل زي ماهو.. على العموم هي هتتعرض على النيابة لحد ما نشوف

الطب الشرعي هيقول إيه.. اتفضل أنت يا سيادة الرائد روّح ارتاح عشان بكرة إن شاء الله عندنا شغل كتير.

نهض عادل ووجّه التحية ثم خرج من المكتب، ومرّ على سليم وطلب منه أن يأتي معه ليأخذ نور وزوجته إلى الخارج، ليبتعدوا قليلاً عن واقعهم المحاط بالتحقيقات والجرائم. استعدت نور هي وندى، وكانوا في انتظارهما. طلب عادل أن يذهبوا إلى المقهى الذي يعمل فيه عمر، علّهم يتمكنون من الوصول إلى أي معلومات جديدة. كانت نور معترضة على الفكرة، لكنها لم تتفوّه بكلمة حتى وصل الجميع ودخلوا إلى المقهى.

كانت نور في غاية توترها، وعندما لمحت عمر، نظر إليها هو الآخر. تقدم إليهم ووقف أمامهم، مستقبلاً إياهم بنظرة جعلت سليم يلتفت إليه، فدخلوا دون أن يعيروا الأمر أي اهتمام.

جلسوا جميعًا على طاولة واحدة، وكانت نور تختلس النظر إلى عمر بين الحين والآخر، وهو كذلك. أتى إليهم وعرض عليهم القائمة، ولاحظ خاتم الخطبة الذي كانت ترتديه، فعلم الآن أن الشخص الذي يجلس أمامها هو خطيبها. لم يكن يدري ما هذا الشعور الذي تملكه عندما رأى خاتم خطبتها، لكنه انصرف بسرعة. نظر سليم إلى نور، التي وجدها شاردة، ثم قال:

- مالك يا نور، أنتِ كويسة؟

ابتسمت وقالت:

- أنا بخير.. مش كنا روحنا اتعشينا ولّا أنتوا جايين هنا في تحقيق!

ضحك عادل وقال:

- يعني حاجة زي كده..

نفخت نور في الهواء وقد بدا عليها الضيق ثم قالت:

- أنا اتخنقت من التحقيقات والجرايم والحياة المملة اللي الواحد عايشها دي.

- والله محدش قالك تشتغلي في قسم التحقيقات.. أنتِ اللي أصرّيتِ، وبعدين احنا لسه فيها اشتغلي في أخبار الفن والثقافة طالما أنتِ عايزة حاجة مفيهاش كآبة.

- لا ما أنا بصراحة بحس إني بعمل حاجة مهمة لما بنشر أخبار عن الجرايم.

ضحك عادل ونظر إلى سليم وقال له بنبرة ساخرة:

- الله يكون في عونك بصراحة هتتجوز واحدة مجنونة.

- كده يا عادل! الله يسامحك.. متصدقهوش يا سليم ده بيقول كده بس عشان نفسه أسيب الشغل.

وأخذوا يتبادلون الضحك وأطراف الحديث فذهب رامي إلى عمر ولاحظ أن تركيزه كله معهم، فقال له:

- إيه مالك.. أنت لسه متضايق من البنت دي!

- لا، بس في احتمال إنها هي الوحيدة اللي تقدر توصلني لمراد بيه.

- أنا عايز أعرف إيه حكاية مراد ده اللي أنت عمال بتجيب سيرته من الصبح!

- يوم الحادثة لما روحت المستشفى اتعرفت على راجل هناك اسمه مراد وقالي إنه جاري في المنطقة اللي كنت ساكن فيها، ووقف معايا وقفة شهامة وجدعنة، ومسبنيش لحظة لدرجة إني حسيت بحنية محسيتهاش من أي حد وحسيت إنه مكان أبويا.. بس معرفش اختفى فجأة ليه وروحت سألت عليه في مكان شغله اسمه مطلعش موجود هناك أصلًا.

- طب ما يمكن نصاب وبيشتغلك!

- ما أنا لازم أعرف ده عشان مظلموش ده غير إنه وعدني إنه هيلاقيلي عمي.

- طب إيه الحل دلوقتي!

- الأستاذة اللي قاعدة هناك دي تبقى صحفية وكانت موجودة في المستشفى، لحد دلوقتي مش فاهم ليه، وحتى مراد بيه وقتها قالي إنها صحفية فيمكن تكون على معرفة بيه.

- طب خلاص روح اسألها..

- أسألها ازاي بس، أديك شايف إنها قاعدة مع ناس..

- استنى كده..

التفت رامي لعادل وسليم فتذكر بعض الأشياء ثم قال:

- اللي قاعدين معاها دول الضباط اللي كانوا بيحققوا معانا الصبح قبل ما أنت تيجي..

- في واحد منهم خطيبها على ما أظن أعتقد اللي لابس أسود لأن التاني لابس الدبلة في ايده الشمال.

- حاجة غريبة! طب هتعمل إيه دلوقتي؟

- مش عارف.

نظر رامي إلى نور وهي تتجه نحو دورة المياه، مرّت من أمامهم ورمقت عمر بنظرة سريعة قبل أن تدخل الحمام. فقال رامي:

- أعتقد إن دي فرصتك الوحيدة.

- عايزني أعمل إيه؟ أقفلها قدام الحمام!

- أظن إن مهمتك هتكون صعبة لو روحت اتكلمت معاها قدام خطيبها خاصةً إن مفيش علاقة تربطك بيها عشان تروح تكلمها، فأنت هتكلمها بصفتك مين؟

- أنا مضطر فعلًا أتكلم معاها لولا كده أنت عارفني.

- آه طبعًا عارفك، أنت هتقولي.. عمومًا متضيعش وقت وروح استناها قدام الحمام.

تحرّك عمر إلى الداخل، وظل ينتظر أمام باب الحمام حتى خرجت نور، لتتفاجأ برؤيته أمامها. حدّقت إليه بصدمة، وفتحت عينيها على اتساعهما. تحوّلت نظرته دون أن ينتبه، وتلاقت أعينهما للحظات. ثم نظر إلى الأسفل معتذرًا إليها قائلاً:

- أنا آسف بجد مش عارف أقولّك إيه، لولا إني مضطر مكنتش هقف الوقفة دي.

- خير في حاجة؟!

- تعرفي واحد اسمه مراد السويفي؟!

تعجّبت نور من الاسم وكانت تشعر أنها سمعته من قبل فسألته:

- مين مراد السويفي؟

- فاكرة يوم الحادثة اللي والدتي اتعرضت ليها؟

- أيوة.. الله يرحمها.

- لو تفتكري وقتها أنتِ كنتِ هناك مع صاحبتك، كنت أنا قاعد مع واحد مفارقنيش اسمه مراد السويفي بيشتغل مدير بنك "....".

قد أدركت في الحال أنه يتحدث عن والدها الذي يخدعه ويسمي نفسه بهذا الاسم. توترت وتلعثمت، ونظرت إليه بشفقة، وكادت أن تتحدث لكن قاطعها قدوم سليم الذي تفاجأ بما رآه. ظن أن عمر يضايق نور، فهجم عليه وسدد له لكمة على وجهه جعلته يسقط أرضًا. حاولت نور أن تفصل بينهما ووقفت أمام سليم، قائلةً بانفعال:

- إيه اللي أنت عملته ده يا مجنون!

- قوليلي الحقير ده كان بيضايقك ازاي وعملك إيه!

وضع عمر يده على أنفه وكان يتألم، فأسره رامي وأخذه بعيدًا. فقالت نور:

- أولًا هو مكنش بيضايقني فِ أي حاجة، أنا مش أول مرة آجي هنا والأستاذ شغال هنا وكان بيسألني عن أخبار مديره اللي اتقتل النهاردة عشان عارف إني صحفية.. إيه المشكلة فِ كده!

- إيه المشكلة في كده! لا مفيش أي مشكلة.. هو أنتِ فاكرة إني مش واخد بالي من نظراته ليكِ من ساعة ما وصلنا هنا!

قالت نور بصدمة:

- إيه اللي أنت بتقوله ده!

فقال عادل وهو يفصل بينهما:

- خلاص يا سليم.. خلاص يا نور يلا بينا نمشي من هنا..

أخذت نور حقيبتها وخرجت من المكان غاضبة، وركبت السيارة بجوار ندى. تحرّك عادل تجاه كورنيش المعادي، وعندما وصل أخذ زوجته بعيدًا وترك نور مع سليم، علّهما يحلان المشكلة معًا. نزلت نور ووقفت تنظر إلى النيل، بينما وقف سليم بجوارها وقال بنبرة هادئة:

- أنا عارف إني غلطان ومكنش ينفع أتصرف بالطريقة دي.. بس أنا متحملتش لما لقيتك واقفة مع واحد غريب وبيتكلم معاكِ بالجراءة دي!

- أولًا أنا مكنتش فِ موضع شبهة عشان تهجم عليه وتضربه.. أنا عارفة إني غلطت لما اديته فرصة للكلام بس هو سألني سؤال وكان لازم أرد عليه لأن مفيش سبب للتجاهل.. ثانيًا ده اسمه شك مسمهوش غيرة.

- لا يا نور أنتِ فاهمة غلط.. أنا استحالة أشك فيكِ، بس وقفتك معاه قصاد الحمام كانت غلط.. يمكن لو كان جيه سألك قدامنا مكنش هيبقى ده رد فعلي لكن الطريقة اللي اتكلم معاكِ بيها حسستني إن نيته مش تمام خالص.. مفيش مبرر واحد يخليه يقف يكلمك قدام الحمام ولوحدكم يا نور.

- أنت عندك حق.. أنا فعلًا غلطت وعارفة إنه حرام ومش صح، أنا آسفة.

- ولا يهمك خلاص محصلش حاجة.. أنا بس مش عايزك تزعلي مني.

- خلاص حصل خير.

- أنا هتصل بسيادة الرائد أطمنه إننا اتصالحنا..

كان رامي يجلس بجوار عمر يمسح الدماء التي تنزف من أنفه وكان عمر في قمة غضبه من رد فعل سليم، ودفع يد رامي وطلب منه أن يكف، وظل ينظر إليه شاردًا فنهض رامي وقال:

- اهدا يا عمر.. بصراحة رد فعل الراجل كان طبيعي..

رمقه عمر بنظرة اشمئزاز وقال بنبرة حادة:

- مش دي كانت فكرتك أنت من الأول وأنا كنت رافضها؟!

- مكنش قدامك غيرها وبعدين مكنتش متوقع إنه هيهجم عليك فجأة كده..

- أنا اللي غلطان إني طاوعت واحد غبي زيك.

- الله يسامحك.. المهم دلوقتي عرفت حاجة!

- هو أنا لحقت.. ده أنا يا دوب بفكّرها لقيت الحيوان ده هجم عليا من حيث لا أحتسب.

- خلاص اللي حصل حصل.. أنت ممكن تعرف ده من صاحبتها اللي كانت معاها، بتيجي هنا كل يوم.

- جت النهاردة؟!

- جت الصبح قبل ما أنت تيجي.. هتلاقيها بكرة الصبح ابقى اسألها.

- بإذن الله ربنا يسهل.. أنا هقوم امشي عشان تعبان.

- ماشي واعمل حسابك ان مرات نادر بيه جاية بكرة بإذن الله عشان تحل مسألة الكافيه.

- ربنا يستر وميتقفلش.

- لا معتقدش.. إن شاء الله خير.

- يلا أشوفك بكرة الصبح بإذن الله.

- اوعى تقفل تليفونك..

- لا لا متخافش.. يلا سلام.

وخرج من المقهى متجهًا إلى منزله وكان شاردًا في جمال الذي اختفى فجأة وقرر أن يبحث عن منزل آخر لنفسه ويعيد هذا المنزل لصاحبه.. فتح الباب ودخل وتناول الطعام وأثناء ما كان يشاهد التليفزيون رنّ هاتفه بنغمة لم يسمعها من قبل فتعجّب وأمسك برأسه فجأة عندما عاد إليه الصداع مرة أخرى، كان يتأذى من شدة الألم وعاد برأسه إلى الوراء وحرّك رأسه بحركات متكررة يمينًا ويسارًا حتى حضرت الشخصية الأخرى.. فأمسك بهاتفه وردّ على المكالمة الواردة قائلًا:

- أيوة يا سعيد.. خلصت العربية؟

- العربية خلصت وكله تمام التمام.. تقدر تيجي تستلمها من الورشة.

- لا خليها عندك وأنا هبقى أكلمك..

غلق المكالمة ووضع يديه الإثنين على مؤخرة رأسه ولاح على وجهه شبح ابتسامة وعاد برأسه إلى الوراء وتذكر ليلة البارحة قائلًا إلى نفسه:

- أنت غبي أوي يا عمر.. مكنش ينفع توصل الشغل متأخر..

ظلت تلك الابتسامة المخيفة على وجهه وعاد بذاكرته إلى الوراء..

"قبل مرور يوم".

بعد خروجه من العمل مضي طريقه متجهًا إلى منزله حتى وصل وعلى الفور أسرع في استبدال ملابسه وارتدى سترة سوداء مصنوعة من الجلد ووضع قفازًا أسود في حقيبته وقبعة سوداء، شرع في أخذ بعض الأسلحة البيضاء ودسّها في حقيبته، وسلاح ناري آخر وضعه في بنطاله في جانبه الأيمن ومعه كاتم الصوت وكأنه كان يستعد لمجزرة وليست جريمة! خرج من منزله على الفور وركب سيارته المجهولة وانصرف مسرعًا إلى المكان الذي يسكن فيه نادر..

قد درس المكان جيدًا وعرف كل من كان يسكن في العمارة وعندما علم أنه يوجد في هذه العمارة عيادة طبيب في الطابق الرابع قد اطمئن وذلك سيسهل عليه تنفيذ الجريمة، كان يرتدي قبعة سوداء واقترب من البواب وادعى أنه مريض ويريد عيادة الطبيب، وكان يضع يده على وجنته من شدة الألم ويتحدث بتلعثم حتى شفق عليه البواب فأعطى له عمر بعض المال ودخل ببطء شديد من فرط ألمه كما يدّعي.. فتح له البواب المصعد وضغط على زر رقم أربعة فشكره عمر وأخذه المصعد إلى الطابق الرابع وعندما خرج أكمل صعوده على الدَرَج لأن شقة نادر كانت

بالطابق السابع، وعندما وصل إليها فتح عمر الباب من خلال آلة معه ودلف إلى الداخل بعد أن غلق الباب.. دلف إلى غرفة النوم وداهمها بسلاحه الناري.. حينها كان نادر غارقًا في نومه فصوّب عمر سلاحه تجاه رأسه حينها فتح نادر عينيه وتفاجأ بوجوده ولكنه كان يرتدي قناعًا على وجهه.

نهض نادر بفزع وقال:

- أنت مين وعايز إيه؟

- أنا عزرائيل اللي هقبض روحك دلوقتي.

- أنت حرامي صح؟ طب خُد اللي أنت عايزه وسيبني في حالي.

قال وهو يضحك بنبرة ساخرة:

- أسيبك فِ حالك؟.. طب وأنت ليه مسيبتش الست اللي صانتك فِ حالها، ليه مسيبتش الست اللي حبتك واتقت الله فيك فِ حالها، عملتلك إيه عشان تخونها بالطريقة دي، وياريتك حتى متجوزها.. وعامل فيها محترم قدام كل الناس ومحدش يعرفك على حقيقتك.

شعر نادر وكأنه قد سمع هذا الصوت من قبل فسأله:

- أنت مين؟!

خلع عمر القناع ونظر إليه ليتفاجأ نادر قائلًا:

- عمر! أنت.... أنت عايز مني إيه! والكلام ده أنت عرفته ازاي، ومين أنت عشان تاخد حق مراتي من خيانتي ليها!

نظر إليه محدّقًا بنظراتٍ مرعبة، فاقترب منه قائلًا بخفوت:

- هو أنت متعرفش إن أنا مش عمر؟ أنا كريم.. أنا دلوقتي كريم..

فعاد إلى الوراء وهو يبتسم ببرود، شعر نادر أن هذا الشخص ليس عمر الذي يعمل معه بالمقهى، فقال:

- ما أنا عارف إن اسمك الحقيقي كريم..

- لا يا نادر بيه.. المسألة مش مسألة اسم حقيقي واسم مش حقيقي، أنا دلوقتي كريم..

لاح على وجهه شبح ابتسامة واقترب منه مرة أخرى وهو يصوّب سلاحه أمامه ثم قال:

- فهمت ولا تحب تفهم قبل ما تروح تقابل وجه كريم؟

- أنت مريض.. أنت لا يمكن تكون طبيعي..

- قول اللي أنت عايزه.. هتتقتل برضو زي ما قتلت طاهر المنسي.

نظر نادر إليه بصدمة وكان من فرط صدمته لم يستطع التحدث وكأن لسانه قد شُلّ، فأومأ عمر برأسه مؤكدًا حديثه قائلًا:

- أيوة... أنا القاتل اللي قالبين الدنيا عليه وفي الآخر القضية اتأيدت ضد مجهول.. وأحب اطمنك وأقولك إن برضو قضيتك هتتأيد ضد مجهول، عايز تعرف ليه قتلت طاهر؟

- ليه!

- عشان كان خاين زيك.. كان متجوز واحدة مش مقصرة معاه فِ أي حاجة.. وراح خانها والمصيبة إنه كان مفهم بنته إنه استحالة يتجوز بعد موت أمها.. وهو اتجوز عادي جدًا لا ومكفهوش كذبه على بنته، ده كمان راح خان الست اللي اتجوزها..

- وأنت إيه داخلك بالمواضيع دي كلها.. حد منهم كان معينك المحامي بتاعهم!

- أنت متعرفش إن طاهر كان متجوز أمي؟ أمي اللي قعدت عاجزة بسببه.. بسبب خيانته وبسبب إنها كانت بتحبه.. وفي الآخر ماتت هي كمان بسبب حريق أنا متأكد إنه بفعل فاعل، وهعرف وهيتجاب وبرضو هيتقتل.. الحقوق هترجع لأصحابها قريب.

- طب أنت انتقمت لوالدتك.. عايز مني أنا إيه دلوقتي!

- أنت واللي زيك عقابه الموت.. اتشاهد على روحك يا نادر يا عبد الخالق.

حاول نادر أن يهاجمه ولكنه فشل عندما رفع عليه السكين فأطلق عمر النار دون تفكير.. ولم يكتف بفعل ذلك، أخذ السكين وظل يطعنه في كامل جسده حتى خرجت أشلائه.. حينها شعر بلذة الانتقام وشعر أن الحقوق رُدّت لأصحابها.

وبعد أن تمت جريمته أخذ أسلحته ووضعهم في حقيبته وخرج من الشقة كما دخل إليها وعاد إلى الطابق الرابع حيث الطبيب وكشف على أسنانه ووضع بعض القطن وخرج من العمارة فقال البواب:

- ألف سلامة عليك يا باشا.. يارب تكون اتحسنت.

شكره كريم وعاد إلى سيارته التي ركنها بعيدًا آخذًا إياها إلى ورشة التصليح.. عاد إلى منزله وهو منهك القوى ونام من فرط تعبه بعد أن خبأ كل شيء كي لا يكشفه عمر..

كان كما هو كلما تذكر ما فعله بنادر وطاهر كان يتنفس فرحًا وراحة، قرر الذهاب إلى النوم وعلى الجانب الآخر كانت نور جالسة مع والدها في غرفة المعيشة وقصّت عليه كل ما حدث بالمقهى، وشعر بقمة الحزن عندما أخبرته أن سليم لكمه.. فقال:

- أنا فعلًا اتلهيت طول النهار ونسيت أشحن التليفون.

- بابا.. كريم راح سأل عليك في البنك..

قال جمال بتوتر:

- أي بنك؟

- بنك "...." اللي حضرتك ضحكت عليه وقولتله إنك مديره..

- يادي المصيبة.. أكيد دلوقتي افتكر اني نصاب وبخدعه!

- أنا من رأيي تروحله بكرة إن شاء الله مكان شغله وتقوله الحقيقة..

- أنا مكسوف من نفسي والله يا بنتي.. ازاي أظهر قدامه بعد السنين دي كلها وأطلب منه عادي إننا نتلم من تاني وكأن السنين اللي فاتت دي كلها مجرد ساعات من يومنا عدت بلا هدف!

- طب وبعدين يا بابا، آخرة كل ده إيه.. أنا بقيت مكسوفة من نفسي وأنا واقفة في نفس المكان اللي فيه ابن عمي وبتعامل معاه معاملة الأغراب!

- مش عارف والله يا نور.. هتكلم مع والدتك وهاخد رأيها وهشوف هعمل إيه..

نهضت نور وقالت:

- على العموم أنا هحاول أتجنب مكان شغله مع إنه هو المكان الوحيد اللي عدل هنا في المعادي، بس عشان سليم ميعملش معاه مشكلة تانية.. وأتمنى إن ربنا ينور بصيرة حضرتك وتاخد القرار الصحيح في أقرب وقت.

فخرجت كي تذهب إلى النوم بعد أن استأذنت وذهبت إلى غرفتها وظلت تفكر في عمر ومصيره وحده.. كانت تشفق عليه وعلى حالته كثيرًا، فكيف يكون لديه عائلة ويعيش بمفرده في آنٍ واحد.. كانت تود أن تذهب إليه بنفسها وتخبره بأنه ابن عمها ولكن كانت تخشى غضب والدها فقررت أن تصمت وألا تتحدث في هذا الموضوع مرة أخرى حتى يحين الوقت..

صباح اليوم التالي قررت نور أن تهاتف سليم وتخبره بأن عملها سيطول اليوم فطلب منها أن يذهبا إلى نفس المقهى لتناول طعام الإفطار فكانت لا تعرف كيف سترفض طلبه ولكنها تذكرت أنهما لا يمكنهما الذهاب إلى أي مكان وحدهما في فترة الخطوبة، فاحترم سليم رغبتها حينها شعرت ببعض الراحة وذهبت إلى عملها دون أن تحادث مريم، فما زال غضبها تجاهها مشتعلًا.. كانت مريم في مكتبها ورأت نور وهي تمر من أمامها دون أن تتحدث إليها فنهضت ورائها ونادت عليها ثم وقفت نور ونظرت إليها قائلة بنبرة حادة:

- نعم!

- هتفضلي زعلانة وواخدة موقف مني كده كتير؟

- أنا لا زعلانة ولا واخدة موقف.. كل الحكاية إني محتاجة وقت لحد ما أهدا من ناحيتك.

- خلاص أنا هحلهالك.. يوم ما اتخطب متبقيش تيجي خطوبتي.

- ما أنا عارفة إن دي نيتك من البداية إنك متجيش عشان أنا كمان مجيش.

- أنتِ دايمًا ظالماني كده وبتتهميني بالباطل.. عمري ما هبطل أحتاجلك.. ما أنتِ عارفة إني وحيدة ومليش غيرك..

شعرت نور بأن غضبها بدأ أن يزال تدريجيًا فقامت بمعانقة مريم ثم قالت:

- هسامحك المرة دي بس إن شاء الله ساعة الفرح لو سبتيني لحظة اعرفي إني هقطع علاقتي بيكِ ساعتها وبتكلم بجد مش بهزر..

- أكيد مش هسيبك وعد مني بجد.. حقك عليا يا نور، سامحيني.

- خلاص مسامحاكي.. تعالي بقى عشان عايزة أحكيلك حاجات كتير أوي.

***

كان جمال يتناول طعام الإفطار في منزله مع زوجته قبل الذهاب إلى عمله، وقص عليها ما روته نور فقالت أسماء:

- نور عندها حق يا جمال.. سواء دلوقتي أو بعدين كده كده كريم هيعرف الحقيقة وبدل ما الأيام عمالة بتعدي وهو لوحده وبعيد عننا أنا من رأيي يعرف من دلوقتي أحسن وأهو يبقى وسطنا ويبقى له عيلة جنبه وبتحبه..

- عندك حق.. قبل ما أطلع على البنك أنا هروحله شغله وهعترفله بكل حاجة.

- ياريت.. ومستنية أشوفه ولو كده هاته معاك نتعشى سوا.

- خلاص ماشي اتفقنا..

***

(6)

"حقيقة مُرَّة"

استيقظ من نومه على صوت المنبه، واستعد للذهاب إلى العمل، لكن فجأة تذكر جمال واختفاءه المفاجئ. لم يكن يعرف كيف سيبحث عنه، فقد كان الأمل الوحيد الذي سيوصله إلى عمه، لكنه أدرك أنه لا مفر من القدر. خرج من المنزل وقرر أنه بمجرد أن يعثر على جمال أو مراد كما يدّعي، سيترك له الشقة التي أعطاها إليه.

توجه إلى مكتب سمسار عقارات للإيجار عله يجد شيئًا مناسبًا، لكن كانت المفاجأة عندما وجد أن الإيجارات بأسعار مرتفعة لن يستطيع تحملها في هذا الوقت. فوّض أمره إلى الله وذهب إلى عمله. وعندما وصل، وجد امرأة غريبة الأطوار تنظر إليه باستغراب. فاقترب منه رامي وهمس إليه قائلاً:

- مدام إلهام زوجة نادر بيه الله يرحمه.

اقترب منها وقال:

- أهلًا وسهلًا يا فندم..

فقال رامي:

- ده عمر مدير العلاقات العامة اللي كلمتك حضرتك عنه من شوية.

مدت يدها لتصافحه فقال بنبرة خجل:

- آسف مش بسلم.

عادت إلى مقعدها وقالت:

- ولا يهمك.. اتفضل يا عمر أقعد.

- شكرًا..

فجلس وظلت تنظر إليه قائلة:

- تعرف إني حلمت بيك النهاردة!

نظر عمر وراءه يمينًا ويسارًا فابتسم رامي ثم أعاد النظر إلى إلهام التي ابتسمت وقالت:

- إيه مش مصدقني!

رد عمر بتعجب قائلًا:

- لحظة واحدة بس.. هو حضرتك شوفتيني قبل كده؟

- لا بس نادر كلمني عنك وعن أخلاقك.. وجيه وصاني عليك في الحلم.. وأنا بصراحة مش فاضية أدير المكان هنا ولو حبيت أبيعه وأنا مبرجّحش ده برضو مش هيبقى عندي وقت.

- يعني!

- يعني أنت اللي هتبقى مدير المكان.. وأنا من فترة للتانية هاجي هنا تعملي كشف حساب، ممكن كل آخر شهر.

- حضرتك بتتكلمي جد!

- أيوة بتكلم جد.. طبعًا أنا مش هوصيك على الإدارة وإنك تفضل محافظ على المكان بل وتخليه أحسن كمان..

- طب وبالنسبة للعلاقات العامة؟

- وظّف حد تاني..

فنهضت واستطردت قائلة:

- المكان أمانة يا عمر.. ولو في أي حاجة اتصل بيا على طول، أنا لازم أمشي عشان عندي شغل ولازم ألحقه.. يلا سلام عليكم.

وخرجت من المقهى فنظر رامي إلى عمر وقال بسعادة:

- مبروك يا عمر ألف مليون مبروك.

ضحك عمر وهو ليس مدركًا الذي يحدث، ثم قال:

- أنا مش مستوعب، أبقى مدير المكان مرة واحدة! وبعدين الست دي باين عليها غريبة جدًا، دي شكلها ميبانش عليه الحزن أو الزعل.. دي حتى مش لابسة أسود!

- يا عم ملناش دعوة.. المهم إن شغلنا هيفضل زي ما هو..

- قولي يا رامي.. إيه رأيك لو بقيت مكاني!

- مدير علاقات عامة! لا يا عم أنا مليش في الشغل ده..

عقد عمر حاجبيه وقال باندهاش:

- يعني إيه! هتفضل جرسون طول عمرك!

- الشغلانة الوحيدة اللي مرتاح فيها.

- خلاص نزل إعلان إننا عايزين مدير علاقات عامة.

- حالًا..

***

في مكتبها المتميز والهادئ، جلست تحمل دفترًا لتدوين الملحوظات التي تتلقاها من المريضة. كانت تعالج فتاة في منتصف العشرينات من عمرها، التي بدأت تروي لها ما مرت به من آلام في منزلها، خاصة فيما يتعلق بعائلتها. قصّت عليها العلاقات العاطفية التي خاضتها هربًا من معاناتها مع أهلها، موضحة أنها كانت تبحث عن الحب والاهتمام في العالم الخارجي، عسى أن تجد ما تفتقده. كانت تعتقد أن هذه العلاقات ستساعدها على النجاة من مشاكلها، لكن ما حدث كان عكس ذلك تمامًا. بدأت حكايتها الأولى قائلة:

- كنت طفلة صغيرة عمرها ٥ سنين.. المفروض إن ده أحسن سن الأطفال ممكن يمرّوا بيه بس للأسف العكس اللي حصل، بابا وماما انفصلوا في أكتر وقت كنت محتاجالهم فيه.. ماما كانت بتشتغل مُدرسة وكان كل وقتها تقريبًا في الدروس الخصوصية، عندي أختي أصغر مني بسنتين، طبعًا بابا مكنش عاجبه الحال بالرغم من إنه هو كمان كان بيسافر وبيسبنا بالشهور، لكن لما كان بيرجع مكنش بيلاقي ماما مستنياه.. أغلب وقتنا كان في الحضانات الخصوصية لحد ما أنا دخلت المدرسة..

أمي مكنش عندها وقت تودِيني المدرسة فيه ولا كانت حتى بتيجي تطمن عليا.

ردَّت ملك وهي ترفع رأسها وتنظر إليها:

- بس هي كانت مضطرة لـ ده وإلا مكانتش سابتك..

- ظروفنا المادية كانت كويسة، بابا شغله كان موفرلنا حياة كريمة بس ماما اللي أصرّت متسبش شغلها.

- أنتِ خريجة إيه يا منة؟

- ألسن.

- ما شاء الله.. طب دي حاجة كويسة أوي، معنى كده إنك اجتهدتِ لحد ما وصلتِ لهدفك.

- بس اتبهدلت أوي يا دكتورة..

تنهدت ملك ثم قالت:

- طب كملي..

- مشاكلهم وخناقتهم مكانتش بتخلص، بابا مكنش عاجبه بُعد ماما عننا..

فأطلقت ضحكة ساخرة وأكملت قائلة:

- مع إنه هو كمان أغلب الوقت كان سايبنا.

- بس ده بحُكم شغله، أظن إن هو كمان مكنش في إيديه حاجة يعملها!

- مكنتش فاهمة وأنا صغيرة بس لما كبرت فهمت، اتضح إن بابا كان بيخونها عشان كده كان بيغيب عن البيت بالشهور بحجة الشغل.. ماما طلبت الطلاق لما كشفت خيانته وهو بمجرد طلاقها راح اتجوز.. سابنا معاها ومفكرش يسأل فينا بعد كده.. وماما فضلت على وضعها، كانت بتسبنا لجدتي لحد ما بابا قرر إنه ياخد أختي تعيش معاه.

- ومامتك وافقت!

- بعد مشدّة كبيرة حصلت ما بينهم وافقت لأنها كده كده مكنش عندها وقت لينا، فإيه اللي يخليها متوافقش..

- وبعدين كملي..

- بدأت أكبر واحدة واحدة لحد ما وصلت لأصعب سن وهو المراهقة.. أكتر سن البنت بتبقى محتاجة فيه لحنية أهلها واهتمامهم بيها بس للأسف ملقتش أي حاجة من دي.. اضطريت ألجأ للعالم الخارجي وهو إني أدخل في علاقات عاطفية.

- وقتها محدش وجهك إن ده حرام وعيب.. وإن دينّا ومجتمعنا بيرفض علاقة البنت بالشاب تحت مسمى الارتباط الغير رسمي!

ابتسمت بألم وقالت:

- لا يا دكتورة محدش وجّهني لأن ببساطة مكنش حد شايفني ولا مهتم بوجودي.. طول عمري وأنا حاسة إن وجودي غير مرغوب فيه..

- بس أنا شايفة في ايدك دبلة.. معنى كده إنك مخطوبة!

- اتخطبت بعد ما كل مشاعري استنزفت على ناس متستاهلش..

- أنتِ ارتبطتِ كام مرة يا منة؟

- اتعرفت على ناس كتير تحت مسمى الصداقة.. في منهم اللي ارتبطت بيهم وفي منهم اللي حبيتهم من طرف واحد.

- أكيد في حد معين اتعلقتِ بيه أوي عشان كده مشاعرك وطاقتك خلصوا زي ما قولتِ من شوية..

- فعلًا.. في شخص واحد اتعرفت عليه وأنا عندي ١٨ سنة، فضلنا صحاب لمدة سنتين.. خلال الفترة دي لقيت نفسي بدأت اتعلق بيه تدريجيًا لحد ما حسيت إن يومي مش بيكمل من غيره، ولما كان بيطلب نتقابل أنا كنت برفض.

- معنى كده إنك كنتِ عارفة إن اللي أنتِ بتعمليه ده حرام!

- كنت عارفة بس مكنش قدامي حل تاني.. المهم كنت طول الوقت حاسة إن هو كمان بيحبني، وف نفس الوقت لما كنت بلمحله كان بيتهرب..

اعتدلت ملك في جلستها وقالت:

- يعني كان بيتسلى!

- ده اللي اكتشفته قدام..

- هو كان قدك في السن؟

- كان أكبر مني بـ ٣ سنين.

- تمام..

- دخلت الجامعة وكان أول يوم جامعة.. اعترفتله بحبي..

نزلت دموعها وقالت بخفوت:

- ورفضني..

مسحت دموعها وابتسمت قائلة:

- لجأت لواحدة صاحبتي مكنتش أعرف إنها بتضلني أكتر وقالتلي أتكلم معاه تاني وأطلب منه أقابله.. هو كان في كلية طب، كنت أنا في أولى وهو في رابعة.. كنت متابعة جدوله وصادفت يوم إننا هنخلص سوا في نفس التوقيت، كلمته زي ما صاحبتي قالتلي واتفقنا نتقابل ووافق.. استنيته في نفس المكان اللي اتقابلنا فيه أول مرة لما دخلت الجامعة..

- لحظة واحدة.. أنتِ قابلتيه لما دخلتِ الجامعة!

- أيوة.

- هو اللي عرض عليكِ ولا أنتِ؟

- هو..

- كملي طيب.

- فضلت مستنية كتير أوي وفضلت أتصل بيه وابعتله في رسايل لدرجة إني كنت مرعوبة ليكون حصله حاجة.. مشيت لما حسيت إن الوقت بدأ يتأخر بس مرجعتش البيت على طول..

- أومال روحتي فين؟

- مشيت في مكان بيطل على كورنيش النيل بس كان ضلمة ومكنش فيه حد ماشي عليه.. فضلت أصرخ وأعيط بحرقة لحد ما فكرت في الانتحار..

ران عليهما الصمت قليلًا فاستطردت منة قائلة:

- رجعت عشان أركب وأرجع البيت وفعلًا جت عربية وكانت هتخبطني لولا ستر ربنا، رجعت البيت في اليوم ده منمتش من كتر العياط.

- وهو.. مردش عليكي لحد الوقت ده!

- رد عليا بكل برود وقالي إنه رجع البيت عشان مكنش عنده وقت.. بعد ما سابني كل ده لوحدي مستنياه.. رغم إنه كان ممكن يرفض من الأول وأنا كنت هحترم ده بس هو تعمد يعذبني.

- بصي يا منة.. أنا فهمتك وفهمت قصتك.. وشكلك كده مرّيتِ بنفس التجربة أكتر من مرة من النوع ده سواء كان حب متبادل أو حب من طرف واحد.. أنتِ محتاجة تهدي نفسيًا.. محتاجة تحبي نفسك وتراجعي نفسك، محتاجة تقنعي نفسك إن كل اللي أنتِ مريتِ بيه حتى لو زي ما بتقولي إنه كان غصب عنك لازم تقتنعي إنه حرام وميرضيش ربنا، كان ممكن تشغلي وقتك بحاجة بتحبيها، موهبة معينة ربنا رزقك بيها، هواية معينة بتحبي تمارسيها.. أضعف الإيمان كنتِ تمارسي تمارين رياضية.. ده كان هيشيل عنك كتير بس نرجع ونقول إنك ملقيتيش اللي يوجّهك..

- أنا اتخطبت من ست شهور لشاب كويس جدًا، بيحبني ومحافظ عليا، ميعرفش أي حاجة عن الماضي بتاعي بس حاسة طول الوقت إن ضميري مأنبني إنه ميعرفش وحاسة إني مبقاش عندي مشاعر عشان أديهاله..

- متقبلة وجوده في حياتك ولا لا؟

- متقبلاه جدًا بس حاسة إن مشاعري من ناحيته مرة تبقى متوهجة ومرة تبقى مطفية خالص، مش عارفة إذا كنت بحبه فعلًا ولا لا.

- ده بس عشان في لخبطة جواكي، عشان كده بقولك لازم تنسي كل اللي فات عشان ميفضلش مأثر عليكي بالسلب، وزي ما قولتلك العبي رياضة ومارسي هواية بتحبيها اقري في علم النفس كتير.. أنتِ مش محتاجة علاج نفسي، كل اللي أنتِ محتاجاه إنك تحبي نفسك وبس وتؤمني بكل القناعات اللي توصلك لبر الأمان.. هرشحلك كتب كويسة جدًا في علم النفس هتفيدك وهتغير فيكي كتير وهكتبلك دوا ملوش آثار جانبية كل ما تحسي إنك هتبدئي تفكري في الماضي خدي منه قرص واحد.. وممكن برضو تمشي عليه لمدة شهر.. وهستناكِ الأسبوع الجاي بإذن الله تقوليلي عملتِ إيه..

***

كان يجلس في مكتبه يقرأ ملف القضية جيدًا، يخبر نفسه بأن قضية طاهر المنسي وقضية نادر يربطهما الكثير من الأحداث. كان يتساءل عن قلة الأقارب والأصدقاء، والزوجة البعيدة أو التي توفيت منذ زمن بعيد. لماذا لا يوجد أي طرف خيط في هذه القضية؟ أثبت تقرير الطب الشرعي أن تلك السيدة، عشيقة نادر، ليست لها علاقة بقتله، ولا بأي صلة بارتكاب الجريمة من قريب أو بعيد. بعد أن أخذت النيابة منها المعلومات الكافية، تم الإفراج عنها. كان عادل على وشك أن يجن جنونه، حين دخل حسن وسليم. رأوه يجلس شاردًا، يغلق عينيه وهو منهمك في تفكيره، فقعد سليم أمامه، بينما نظر حسن إلى عادل وقال:

- القضية اتأيدت ضد مجهول..

نظر عادل إليه بصدمة وخبط بقبضتيه على المكتب قائلًا بصوتٍ جهوري:

- يعني إيه الكلام ده! أنا عايز أفهم يعني إيه؟!

فقال سليم وهو يحاول أن يهدأ من روعه:

- اهدا يا سيادة الرائد أعصابك مش كده..

- أهدا ازاي يا سيادة النقيب! لو أنت هادي والموضوع بالنسبالك عادي يبقى متستحقش النجوم اللي على أكتافك..

- أكيد مش عادي بس احنا حققنا ومفيش دليل يثبت إن عشيقته هي اللي قتلته، وخلاص النيابة أفرجت عنها..

- يعني إيه يا حضرة الضابط أنت وهو قضيتين في شهر واحد يتأيدوا ضد مجهول! يعني إيه جريمتين قتل بالبشاعة دي ملفهم يتقفل كده بكل بساطة!

تنهد حسن وقال:

- لا مش بكل بساطة بس احنا في انتظار جريمة جديدة يا سيادة الرائد.. القاتل عارف شغله واحنا مش عارفين إيه هو هدفه.. ومسيره هيتجاب هيتجاب.. أنا بلغت الجهات المختصة إن أي حد يشك إن في حاجة غريبة حواليه يبلغنا على طول..

تحرّك عادل ذهابًا وإيابًا:

- اممم يعني احنا هنفضل قاعدين حاطين ايدينا على خدّنا ونستنى جريمة جديدة عشان هي كمان تتأيد ضد مجهول.. وأرواح الناس دي لعبة في إيد واحد لو شوفته مش هسيبه غير جثة...

نهض حسن هو الآخر وقال بانفعال:

- لا لا مش معقول كده يا سيادة الرائد.. شغلنا عمره ما كان بالطريقة دي، أنت دخلت شرطة وأنت عارف إن لازم يكون عندك صبر وطولة بال لحد ما الحقيقة تظهر بس الظاهر كده أنت لما جيت تدخل كلية الشرطة دخلتها بالغلط..

- لا يا حسن باشا.. أنا صبور فوق ما تتخيل، وعندي طولة بال تتعدى الحدود.. وياما اشتغلنا في قضايا أصعب من دي ألف مرّة بس على الأقل كنا بندور على طرف خيط يوصلنا للحقيقة، أنا اللي هيجنني إن النيابة كأنها متعاطفة مع القاتل أو القاتل دافعلها رشوة عشان القضية تتقفل!

عاد حسن إلى مجلسه وقال سليم:

- أنت دلوقتي يا سيادة الرائد بتفكر بعاطفتك.. متعاطف مع الضحايا خاصةً إن سُمعتهم كانت كويسة وإن مفيش حد اشتكى منهم، بس ياريت تحاول تميّز بين عاطفتك وشغلك عشان نفسيتك متتعبش.

عاد عادل إلى كرسيه وجلس عليه، مضمومًا أطراف أنامله إلى بعضهم البعض، ثم قال:

- أنت عندك حق.

رد عليه حسن قائلًا:

- عمومًا متقلقش، أنا كلمت سيادة النائب وقال إن ملفات القضايا مقفولة مؤقتًا لحد ما الحقيقة تبان..

- لعله خير.. لعله خير إن شاء الله.

نهض حسن وقال:

- أستأذن أنا..

وخرج من المكتب ونظر سليم إلى عادل ثم قال:

- أنا قدمت على شقة وإن شاء الله هستلمها قريب وساعتها نبقى نحدد ميعاد كتب الكتاب إن شاء الله.

ابتسم عادل وقال:

- طب كويس والله.. وبالنسبة لشقتك اللي في إسكندرية؟

- ما هي دي اتباعت ودفعت فلوسها مقدم لشقة قريبة هنا من كورنيش المعادي.

- والله أنا كان من رأيي إنك تفضل في اسكندرية على الأقل نور تسيب الشغل خالص.

- هيبقى صعب يا عادل بيه خصوصًا إن شغلي كله مرتبط بالقاهرة.

- عادي.. نقدم على نقل وترجع إسكندرية تاني!

- محبتش الخدمة هناك بصراحة.. حاسس إن هنا أحسن بكتير.

- أحسن بكتير! بأمارة إننا مش قادرين نشوف شغلنا!

- متقلقش.. الحقيقة مسيرها هتبان والمستخبي مسيره هينكشف، هي مسألة وقت.

- أتمنى الحقيقة تبان في أسرع وقت لأني فعلًا قربت أتجنن.

ضحك سليم وقال:

- طوّل بالك يا سيادة الرائد احنا لسه ياما هنشوف..

- على رأيك.. صحيح ياما هنشوف.

في عيادة طبيبة النساء، كانت ندى برفقة أسماء، حيث ذهبت للكشف بسبب بعض الآلام التي كانت تعاني منها في الفترة الأخيرة. أخبرتها الطبيبة بخبر رائع أسعدها كثيرًا: ندى حامل! عانقتها أسماء بشغف عندما علمت بالخبر، وشعرت بسعادة غامرة لأنها ستصبح جدة. طلبت ندى من أسماء ألا تخبر أحدًا قبل أن تخبر زوجها أولاً، فوافقت أسماء بحماس، وأخبرتها أنها ستنتظر بفارغ الصبر ردّها.

عادت ندى إلى المنزل، وأعدت مفاجأة لزوجها لتعلن له عن حملها بطريقة غير متوقعة. في الجهة الأخرى، كانت نور تتصفح الصفحة الرئيسية للنيابة العامة في الجريدة، حيث أظهرت أن قضية نادر تأيّدت ضد مجهول. شعرت بخيبة أمل عميقة لأنهم لم يتوصلوا إلى الحقيقة. وفجأة، دخلت مريم وهي تحمل جهاز الحاسوب، وعبّرت عن غضبها.

- شوفتِ! تاني جريمة تحصل في نفس الشهر والاتنين اتأيدوا ضد مجهول..

- ده زمان عادل دلوقتي قرب يتجنن، أنا نفسي اتحرق دمي!

- حقوق الناس بتروح هدر ودمهم بيروح غدر!

- أنا مش فاهمة مين اللي عمل فيهم كده، وليه.. إيه هدفه وإيه السبب اللي يدفعه للقتل!

- أيًا كان السبب.. مفيش مبرر للقتل!

طُرق الباب فالتفتت نور وتفاجئت بوجود سليم وهو يقول:

- السلام عليكم..

ابتسمت نور وقالت:

- أهلًا يا سليم.. تعالى اتفضل.

وأكملت قائلة:

- مريم أعز صديقة ليا..

فابتسم سليم وقال:

- أهلًا وسهلًا آنسة مريم..

- أهلًا بحضرتك يا سيادة النقيب..

جلس سليم وكادت مريم أن تخرج ولكن منعتها نور فعادت وجلست، وسألته نور قائلة:

- تحب تشرب إيه؟

- ولا أي حاجة.. لسه شارب قهوة من شوية، اليوم كان صعب أوي..

ضحكت نور بسخرية وقالت:

- من صعوبته القضية اتأيدت ضد مجهول..

ضحك سليم هو الآخر وقال:

- شوفتِ اللي بيحصلنا.. أخوكِ النهاردة كان هيجراله حاجة لما عرف الخبر..

نظرت نور إلى مريم وقالت:

- مش قولتلك زمان عادل اتجنن!

أعادت النظر إلى سليم وقالت:

- طب وبعدين.. خلاص كده؟ مفيش حل تاني؟!

- والله احنا عملنا اللي علينا وده قرار النيابة.. بس أنا متأكد إن الموضوع منتهاش لحد هنا.. جايز تكون الحقيقة قريبة مننا جدًا واحنا مش شايفينها، ومش بعيد تكون قصاد عينينا بس احنا اللي معميين عنها!

ظلت صامتة فأكمل قائلًا:

- أرجوكِ يا نور ياريت تاخدي بالك من نفسك، وعلى فكرة أنا متابع كل مقالاتك..

- إيه رأيك!

- عايزة رأيي بصراحة؟

- ياريت..

- أنا خايف عليكِ.. ومش حابب تكوني مهتمة بالجرايم أوي كده.. من رأيي تنقلي قسم تاني..

- أعتقد إننا اتفقنا على كل حاجة.. أرجوك مش عايزاك تبقى زي عادل متشدد زيه!

- أنا مش متشدد ولا حاجة، ولو على عادل فهو خايف عليكِ زي ما أنا خايف عليكِ بالضبط.. كل مقالاتك عن القاتل اللي مش لاقيينه، والقاتل نفسه بيعمل كل حاجة في الخفاء عشان ميسبش أي دليل وراه، وأكيد هو متابع الأخبار دي.. مش عايزك تتأذي يا نور..

- متخفش عليا يا سليم.. أنا عارفة دوري كويس أوي وأكيد في لغز كبير ومسيره هيتحل في يوم من الأيام!

***

وصل جمال إلى المقهى بعد أن قرر أن ينتظر حتى ينتهي من عمله قبل أن يذهب. جلس في إحدى الطاولات وكأنه زبون عادي، ثم جاء رامي ليقدم له الخدمة. سأل رامي جمال عن عمر، فأجابه بأنه أصبح مدير المقهى. في تلك اللحظة، امتلأ جمال بالسعادة وشعر براحة لم يختبرها من قبل. طلب من رامي أن يحضر عمر ليهنئه، وبالفعل نفذ رامي طلبه وذهب إلى عمر ليخبره بذلك. خرج عمر مندهشًا، قائلاً:

- مراد بيه!

عقد رامي حاجبيه بذهول وقال:

- هو كده يا جمال بيه.. بقاله فترة بيدور على واحد اسمه مراد وشكله طلع راجل نصاب..

نظر رامي إلى عمر واستطرد قائلًا:

- ده جمال بيه صقر مدير بنك "....".

كان جمال ينظر إلى الأرض خجلاً، بينما نظر عمر إلى رامي بصدمة، فهو لم يكن يتوقع تلك الإجابة بهذا السرعة. فقال بتلعثم:

- أنت.... أنت قولت مين؟

تعجب رامي وقال:

- جمال بيه صقر كان صديق نادر بيه الله يرحمه.. وهو اللي طلب مني أناديلك..

نظر جمال إلى رامي ونهض ووقف أمام عمر قائلًا:

- ازيك يا كريم..

نظر عمر في عينيه والدموع قد ملأت مقلتيه، ثم قال:

- كل ده كنت بتضحك عليا وأنت في الحقيقة عمي اللي كنت بدور عليه!

ازداد تعجب رامي بشدة، فمضى مبتعدًا عنهما قبل أن يفقد أعصابه. بعدها طلب جمال من عمر أن يتحدثا في مكتبه، فسار معه إلى هناك وأغلق الباب خلفه، ثم وقف جمال أمامه مباشرة وقال دون أي مقدمات:

- أيوة يا ابني.. أنا عمك جمال بشحمه ولحمه.. طبعًا أنت في دماغك تساؤلات كتير دلوقتي، أوعدك إني هجاوبك على كل حاجة وهنتكلم في كل حاجة.. بس مش هنا.

ابتسم عمر وقال بنبرة ساخرة:

- إيه... إيه الخدعة الجديدة اللي مدبرهالي المرة دي.... يا مراد بيه.

نطق بتلك الجملة الأخيرة وهو يضغط على أسنانه ويرمقه بنظرات حادة، فرد عليه جمال قائلًا:

- متقلقش.. أوعدك بعد النهاردة مش هيبقى فيه غير كل صراحة ووضوح، مش هيبقى فيه كذب وخداع.. كل اللي طالبه منك إنك تيجي معايا دلوقتي وهنقعد وهنتكلم في كل حاجة.

- آجي معاك فين؟

- بيتك الجديد.. مرات عمك قاعدة مستنياك على نار، زمانها دلوقتي واقفة بتحضرلك العشا بإيديها..

سرح عمر وابتسم بلطف عندما تذكر حنان زوجة عمه عليه، فقرر الذهاب معه. وبالفعل وصلا أمام المنزل، فنزل عمر من السيارة وأخذ يتأمل المنزل من الخارج. عندها سأله جمال، وقد بدت على وجهه علامات التعجب والدهشة:

- حضرتك سيبت البيت القديم!

- هنتكلم في كل حاجة.. بس الأول ادخل..

دخل معه ونادى على أسماء التي خرجت دخل معه ونادى على أسماء، التي خرجت لتتفاجأ بوجوده أمامها. ارتجفت الدموع في عينيها، وتمنت لو تعانقه، لكنها التزمت بأدبها ودينها لأنه ليس من محارمها. اقتربت منه، ومدت يدها لتصافحه بابتسامة، وقالت:

- وذلك أضعف الإيمان.. ربنا يسامحنا بقى..

ضحك عمر وصافحها بحرارة، ثم دخلا معًا إلى الصالون. جلست أسماء بجواره، وأخذت تتأمله قائلة:

- ما شاء الله عليك.. عمري ما كنت أتخيل إنك لما تكبر هتتغير أوي كده..

- ربنا يبارك في عمر حضرتك..

نظر إلى جمال وقال:

- إيه حكاية مراد السويفي ده!

- أنا هقولك وأقولك إيه اللي دفعني لكده، أقسم بالله يابني أنا بكره الكذب كره العمى بس فعلًا اضطريت..

كان عمر ينصت إليه باهتمام، فتابع جمال حديثه قائلًا:

- أول يوم أنت اشتغلت فيه في الكافيه.. صدفت وقتها إنك اشتغلت في المكان اللي بيديره صديق ليا، الله يرحمه ويغفر له.. المهم كلمني وقتها وسألني عنك حتى قالي إنه ممكن يكون تشابه أسماء..

- وبعدين؟

- حبيت أتأكد رغم إني كنت متأكد.. أصل مستحيل يكون تشابه أسماء وتشابه تاريخ ميلاد! المهم خدت عنوان بيتك من نادر وبمجرد وصولي كان حصل اللي حصل بقى.. طبعًا سألت عليك وقتها وقالولي إنك طلعت على المستشفى، وأنت عارف الباقي بقى.. حسيت إن مكنش وقته أعترفلك بحاجة كبيرة زي كده في الظروف اللي أنت كنت فيها..

- بالعكس.. يمكن معرفتي للحقيقة كانت غيرت كتير في اليوم ده وكانت صبرتني على اللي أنا فيه.. تعرف.. حزني مكنش على الفراق بس، حزني كان أكبر بكتير من حزن الفراق، كنت حزين عشان هبقى لوحدي.. لأني مكنش ليا غيرها وكنت فقدت الأمل إني ألاقيك تاني.

- بس أنا على قد ما قدرت وقفت جنبك ومقصرتش.. يمكن اختفيت اليومين اللي فاتوا عشان قضية نادر الله يرحمه.. وطول الوقت كنت عايز أجي وأقولك الحقيقة بس خفت متسامحنيش..

اقترب عمر منه وعانقه بشدة، ففهم جمال حينها أنه قد سامحه. ابتعد عمر ومسح دموعه، فابتسم جمال وقال:

- خلاص أنت من النهاردة مش هتفارقنا تاني أبدًا..

انفتح الباب بدخول نور وسليم، فتقدما نحوهم وقالت نور:

- مساء الخي.....

صمتت نور حين تفاجأت بوجود عمر، بينما شعر سليم أيضًا بالدهشة لأنه تذكره، مما جعله يغضب. فنهض عمر وقال بنبرة حادة:

- إيه ده كمان.. خدعة جديدة دي كمان ولا إيه!

قال سليم:

- هو إيه اللي بيحصل هنا ممكن حد يفهمني، وإيه اللي جاب الحيوان ده هنا!

صمت عمر احترامًا لعمه، فقال جمال:

- نور.. بنتي.. وده النقيب سليم، خطيبها.

نظر عمر إلى جمال بصدمة عندما أخبره أن نور ابنته، فقال سليم:

- ممكن حد يجاوبني!

تنهدت نور ووضعت حقيبتها جانبًا، ثم نظرت إلى سليم وأخبرته قائلة:

- عمر يا سليم.. يبقى ابن عمي..

(7)

"اللقاء"

نظر إليها متفاجئًا ثم قال:

- ابن عمك!

- أيوة.. واسمه الحقيقي كريم، وأنا كنت عارفة من فترة بس مكنش حد يعرف إن أنا عارفة..

- طب واللي حصل في الكافيه ده كان إيه؟

- كان مجرد صدفة.. لأني مكنتش بتعامل معاه عشان ببساطة كده هو مكنش يعرف أي حاجة وفعلًا كان بيسألني على اللي قولتلك عليه وقتها..

ظل سليم ينظر إليه وكان يرمقه بنظراتٍ مليئة بالغضب والحقد، فقال جمال:

- أقعدوا يا ولاد.. أقعدوا مالكم واقفين ليه؟

تقدّم سليم إلى الأمام وجلس بجوار جمال، وجلست نور بجوار والدتها فنظر جمال إلى سليم ثم قال:

- ده يبقى كريم ابن أخويا.. حكايته طويلة شوية، مش حابب أتكلم فيها عشان مش عايز أقلب علينا المواجع.. المهم إنه رجعلنا بألف سلامة.

- ليه.. هو كان تايه ولّا حاجة؟

ردّ جمال وقال:

- يعني تقدر تقول حاجة زي كده..

ضحك سليم وقال بنبرة ساخرة:

- مع إني شايفه شاب طويل عريض، يعني مش صغير عشان يتوه..

شعر جمال ببعض الضيق وكذلك عمر الذي كان يريد أن ينفر من هذا الحوار اللعين، فأردف جمال قائلًا:

- تاه وهو صغير يا سليم.. وبقالنا أكتر من عشرين سنة بندور عليه..

- اااااه..

فابتسم رغمًا عنه وأكمل قائلًا:

- الحمدلله على السلامة..

فنهض ونظر إلى نور:

- بعد إذنك يا نور.. عايزك لو سمحتِ.. بعد إذن حضرتك طبعًا يا عمي.

- اتفضل يابني.

نهضت وذهبت معه إلى الحديقة فنظر جمال إلى عمر وقال:

- إنما إيه حكاية الكافيه دي؟

خرجت نور مع سليم ووقفت أمامه فقالت:

- إيه يا سليم.. خير، سحبتني من قدامهم كده ليه؟

- نور.. احنا لازم نتجوز وفي أقرب وقت ممكن..

ضحكت نور وقالت باندهاش:

- جواز إيه يا سليم، ده احنا يا دوب لسه مخطوبين وكمان صالونات!

- يعني إيه صالونات؟ أومال كنتِ عايزة تتجوزي ازاي!

- أنا أقصد إننا ملحقناش نتعرف على بعض، أنا وافقت على الخطوبة بالسرعة دي عشان نتعرف في إطار رسمي، لكن خطوة الجواز المفاجئ ده هتبقى صعبة جدًا في الوقت الحالي..

أمسك بيدها دون أن يتعمد، ولكنه فعل ذلك من فرط توتره، ثم قال:

- أنا خايف تضيعي مني، ظهور ابن عمك المفاجئ ده لخبطلي كل حساباتي!

سحبت يدها بغضب وقالت بانفعال:

- إيه اللي أنت بتقوله ده! ومين اللي سمحلك تمسك إيدي!

وضع يديه أمام وجهها وهو يعتذر قائلًا:

- أنا آسف.. أنا بجد آسف حقيقي مكنش قصدي، من توتري عملت كده..

- طب ممكن تهدا ونقعد نتكلم بهدوء، كريم ابن عمي وكنا متربيين سوا واحنا صغيرين وللأسف يتيم الأب والأم ومن زمان..

- حاضر أنا هقعد واحكيلي..

جلس على الأريكة وجلست هي الأخري على الكرسي المجاور للأريكة بعيدة عنه، فقالت:

- كريم حياته اتدمرت من قبل ما يفتح عينه على الدنيا، يقال إن مامته هربت وسابته ويقال إنها ماتت لأنها اختفت وقتها ومحدش قدر يلاقيلها أي أثر، وبالنسبة لعمي نبيل فهو قرر إنه يسيب كريم بعد ما مراته سابته ويسافر، بس المصيبة الأكبر إنه كان عايز يوديه دار أيتام.. طبعًا بابا رفض واتخانق معاه فعمي قاله خلاص اتكفل برعايته أنت وربيه وسط عيالك.. ماما وافقت وخدته في حضنها وقررت تربيه وسطنا، وعمي سافر على طول واتقطعت أخباره..

- هو في أب وأم بالقسوة والبشاعة دي!

- المهم إن كريم كان فاقد النطق وقتها ومحدش كان عارف ماله.. عرضناه على دكاترة ووقتها قالوا إنه اتعرض لصدمة عصبية أفقدته النطق، طبعًا هو مكنش بيتكلم ولا كان في حد موجود وقتها من باباه ومامته عشان نسأله، الدكاترة قالوا إنها مسألة وقت ومسيره يرجع لطبيعته بس لازم جلسات نفسية عشان العلاج يبقى أسرع.. بعد ست شهور صحينا من النوم اتفاجئنا باختفاؤه.. وقتها الدنيا اتقلبت وعرفنا عمي، ساعتها قالنا إنه كان بيتمنى يمشي زي ما أمه مشيت وغيّر رقم تليفونه واختفى هو كمان..

- أنا مش قادر أستوعب كل ده.. ودلوقتي!

- بالصدفة بابا عرف من مدير الكافيه اللي اتقتل إن كريم راح اتوظف عنده، ولما بابا راح عنوانه عرف إن في ست اتكفلت بيه وإن هي اللي ربته من صُغره بس للأسف ماتت قبل ما نعرف الحقيقة، وبابا اضطر إنه يمثل عليه شخصية تانية لما اتأكد إن كريم متعرّفش عليه عشان كان

خايف يواجهه بالحقيقة.. في اليوم اللي حصلت فيه حادثة والدته اللي تبنته كانت حادثة حريق.. أنا اتعرفت عليه في الكافيه وحصل سوء تفاهم بيني وبينه وكنت على وشك أخسّره شغله، روحت المستشفى عشان أشوف حاجة أنشرها في الجريدة لحد ما اتفاجئت بوجود بابا هناك، وحتى هو مقاليش الحقيقة، أنا اللي سمعته بيقول لماما.. واليوم اللي أنت ضربته فيه في الكافيه كان بيسألني على بابا لأنه عارف إني شوفته معاه في المستشفى يوم الحادثة..

دخل جمال ومعه عمر لينادي على سليم بنبرة حادة:

- سليم.... تعالى هنا..

نهض سليم ووقف أمام جمال، فسأله جمال وقد بدا عليه الغضب:

- أنا عديت كلمتك من شوية لما غلطت في ابن اخويا وقولت عليه حيوان، أنت فعلًا ضربته في مكان شغله!

نظر سليم إلى الأرض وقال بنبرة خجل:

- كان سوء تفاهم.. كنت وقتها فاكر إنه بيضايق نور..

فقال عمر:

- خلاص يا عمي مفيش حاجة.. أي حد مكانه كان هيتصرف بنفس الطريقة عشان خايف على خطيبته..

ابتسمت نور برقة وهي تشعر براحة، فقال سليم:

- أنا مكنتش أعرف أي حاجة.. واللي حصل كان فعلًا سوء تفاهم خاصةً إني في الفترة الأخيرة متلخبط وعندي مشاكل كتير في الشغل..

سحب جمال نفسًا عميقًا وقال بنبرة هادئة:

- أرجو إن ده ميتكررش تاني.. ولازم تعرف إن كريم في مقام ابني وأنت برضو في مقام ابني، كريم يخاف على نور ويحميها.. اوعى تتخيل إنه ممكن يأذيها في يوم من الأيام..

ردّ سليم معتذرًا:

- أنا بعتذر عن اللي حصل، وأوعدك إنها مش هتتكرر تاني، أنا مضطر أستأذن.. بعد إذنكم..

- تستأذن إيه.. أنت هتتعشى معانا..

- مرة تانية يا عمي، عشان لازم أوصل النيابة بكرة الصبح بإذن الله..

- ماشي يا ابني اللي تشوفه، ربنا معاك ويقويك..

- تصبحوا على خير..

أوصلته نور إلى الباب، وقبل أن يذهب نظر إليها وقال:

- أنا مقدّر كل اللي أنتِ قولتيه من شوية، ويمكن أكون متعاطف معاه.. بس ده ميمنعش إني خدت انطباع عنه وانطباعي عنه لا يمكن يتغيّر..

- يعني إيه؟؟

- يعني مش هقدر أتعامل معاه زي ما بتعامل مع عادل، في الأول والآخر ده ابن عمك يعني مش من محارمك.. ومن حقي أغيير عليكي من أي حد.. أتمنى تكوني حدودية معاه أو مع غيره في التعامل لأني مش هتحمل أي غدر..

وذهب دون أن يستمع إليها وكانت في كامل دهشتها، فدخلت وغلقت الباب وجلست معهم على العشاء فوصلت ملك ودخلت وهي تقول:

- مساء الخير..

نظرت إلى عمر وهي تبتسم بتعجب فقالت:

- احنا عندنا ضيوف؟ أهلًا وسهلًا..

خرجت أسماء من المطبخ وكانت تضع الطعام على المائدة فقالت:

- تعالي يا ملك.. ده كريم ابن عمك نبيل..

قالت ملك باندهاش:

- احلفي!

ضحك عمر وكذلك نور، فقالت مرّة أخرى:

- احلفي إن ده كريم...

قال عمر:

- أنا برضو متفاجئ زيك كده بالضبط.. بس هي دي الحقيقة اللي لازم كلنا نتقبلها..

اقتربت منه ملك وجلست بجواره بعد أن تركت مساحة صغيرة تفصل بينهما، فقالت بتفاجؤ:

- لا أنا مش قادرة أصدق إنك بعد السنين دي كلها ممكن ترجع تاني!

نزل جمال وردّ عليها قائلًا:

- وإيه لزومه الكلام ده يا دكتورة.. ده بدل ما تقوليله الحمدلله على سلامتك!

ضحكت ملك ووضعت يديها على وجهها من فرط خجلها، فقالت:

- سوري.. بجد أنا آسفة بس من المفاجأة مقدرتش أسيطر على انفعالاتي.. الحمدلله على سلامتك يا سيد كريم.. أنا ملك بنت عمك، الابنة الوسطى لو تفتكرني..

- فاكرك طبعًا.. أخبارك إيه..

- أنت اللي أخبارك إيه وسبتنا وروحت فين وإيه اللي حصلك السنين اللي فاتت دي كلها؟!

خرجت أسماء وردّت عليها قائلة:

- بعدين يا ملك.. نبقى نتكلم في الموضوع ده بعدين، المهم دلوقتي إنه رجع بالسلامة..

جلس الجميع على المائدة وبدئوا في تناول الطعام وأخذوا يتبادلون أطراف الحديث فقال عمر:

- طب دلوقتي أنا عرفت قصة مراد السويفي، إيه بقى حكاية الصحفية نور اللي جت ورايا المستشفى..

ضحكت نور ثم قالت بأسف:

- بصراحة كده أنا حسيت بندم بعد اللي عملته فيك في الكافيه وبرضو عشان مبقاش كذابة أنا لما سمعت بالحادثة قررت أروح وأشوف يمكن أقدر آخد صورتين وأنشر خبر ولا حاجة، جايز تقول عليا إني معنديش

دم بس هو ده اللي حصل، لحد ما اتفاجئت بوجود بابا هناك وروحنا المستشفى سوا، وقتها أنا مكنتش فاهمة أي حاجة لما لقيت بابا قريب منك..

فأكمل عمر مقاطعًا:

- وباباكِ فهمني إنه ميعرفكيش..

ضحك الجميع فقال جمال:

- خلاص بقى ميبقاش قلبك أسود كده..

قالت ملك:

- بصراحة أنا مش فاهمة أي حاجة..

ردّ جمال قائلًا:

- مش مهم تعرفي.. المهم دلوقتي إن كريم رجعلنا بالسلامة.. ولا تحب نقولك يا عمر؟

ابتسم عمر وقال:

- للأسف اسم كريم محدش بيناديني بيه.. هو مجرد اسم في البطاقة.

- خلاص يا جماعة كلنا هنّاديه بعمر طالما هو حابب كده..

كانت نور شاردة تفكر في سليم وما قاله لها، فالتفتت أسماء إليها وقالت:

- مالك يا نور يا حبيبتي مبتاكليش ليه؟

نظرت نور إليها وقالت بخفوت:

- لا أبدًا يا ماما مفيش حاجة.. باكل أهو.

شعر عمر أنه تسبب في اضطراب قد حدث فيما بينهم، فسألته ملك قائلة:

- قولي يا عمر أنت بتشتغل إيه؟

- أنا اتخرجت من كلية حقوق، واشتغلت في كافيه "....." علاقات عامة لحد ما المدير مات ومراته قررت تمسّكني الإدارة مكانه..

- طب دي حاجة كويسة جدًا ألف مبروك وربنا يوفقك دايمًا...

ابتسم جمال وقال:

- ملك تبقى طبيبة نفسية وشاطرة جدًا في شغلها..

تدخّلت نور في الحديث وقالت:

- وأنا أبقى صحفية متطفلة..

ضحك الجميع فقال عمر:

- وأكيد أخوكِ الرائد اللي كان معاكم في الكافيه..

- أيوة واللي كانت معاه تبقى ندى مراته..

- إن شاء الله نتعرّف في أقرب وقت.

قال جمال بحماس:

- من بكرة الصبح إن شاء الله، صحيح.. أنت هتنام في أوضته.

تفاجأ عمر وقال:

- أنام في أوضة مين؟

- أوضة عادل يا ابني..

- هنا!

- أومال هناك! كده كده عادل متجوز وله بيته، أينعم كان فيه مشاكل بينه وبين مراته الفترة اللي فاتت بس الحمد لله اتحلت..

- لا لا يا عمي.. أنا مستحيل أعيش هنا..

نظر جمال إلى أسماء وقال:

- شوفتِ! جالك كلامي؟ قولتلك إنه هيرفض..

فنظر إليه وسأله:

- ليه يا ابني مش عايز تعيش معانا.. ده احنا ما صدقنا إن ربنا لم شملنا من تاني..

- هيبقى صعب عليّا أعيش هنا خاصةً في وجودك الآنسة نور والدكتورة، عشان كل واحد يكون على راحته..

نظرت ملك إليه نظرة احترام، فقالت أسماء:

- ودول مش زي إخواتك؟!

- الكلام ده ممكن نقوله بينّا وبين بعض، أو العادات والتقاليد هي اللي فرضت علينا المسمى ده، لكن الشرع والدين بيقولوا عكس كده، بيقولوا

إنهم مش من محارمي عشان أقول إنهم إخواتي، فأنا آسف اعفوني عن بياتي هنا.. أنا أصلًا هبدأ أدور على بيت من بكرة الصبح بإذن الله..

قال جمال بحزن:

- تدوّر على بيت وأنا موجود! حتى الشقة اللي سيبتهالك مش عايز تعيش فيها؟

- مش حابب أكون حِمل تقيل وسخيف على حضرتك أو عليكم كلكم..

- طب على الأقل بات هنا النهاردة وأكلم عادل ييجي الصبح عشان تتعرفوا على بعض!

ظل عمر صامتًا فقالت ملك:

- بات يا عمر الليلة ومن بكرة باذن الله اعمل اللي أنت عايزه.. وعلى فكرة أنا احترمت كلامك جدًا وفعلًا أخلاقك ودينك باينين على كلامك..

نهضت نور واستأذنت، وكان سليم يراقبها وهي تغادر، فشعر بأنها تشعر بالضيق من وجوده. عادت إلى غرفتها واتفقت مع صديقتها عبر الهاتف، حيث قصّت عليها ما حدث وأعربت عن مخاوفها من سليم. أخبرتها عن حديثه عن عمر وافتقاده لصبره على بقائه هنا. شعرت أن المشاكل لم تنته بعد، بل إنها ستبدأ من هذه اللحظة.

تلقى سليم اتصالاً من نور، فاضطرت لإنهاء المكالمة مع مريم والرد عليه. اعتذر لها عن انفعاله قبل مغادرته، واعترف لها بحبه، مما أثار غضبها؛ إذ كانت لا ترغب في سماع مثل هذه الكلمات قبل الزواج، وكانت تشعر أن الوقت غير مناسب. أخبرته بأن عمر سيبقى هنا الليلة. لكن سرعان ما

استشاط غضبًا من هذا الخبر، إذ كان يتمنى أن يعود عمر من حيث أتى، لكنه تمالك نفسه من أجل نور ووالدها.

حل الصباح واستيقظت نور على صوت جرس المنزل. فتحت أسماء الباب، لتجد عادل وندى، زوجته، وقد دخلا معًا. سأل عادل بحماس عن عمر، وعندما رآه، وقف أمامه محدقًا بنظرات حادة، ثم ابتسم، ليظهر أنه كان يمزح. اقترب منه وعانقه بشدة، ثم وضع ذراعه على كتفه وأخذه للجلوس بجوار بعضهما البعض، بينما ذهبت ندى إلى المطبخ برفقة أسماء بعد أن ألقت السلام على عمر. نظر عادل إلى عمر وقال:

- من لما شوفتك في الكافيه وأنا حسيت بحاجة غريبة.. كنت حاسس إني أعرفك عشان كده مرضتش أتدخل في الخناقة اللي حصلت.. في حاجة منعتني إني أتدخل.

- أنا اللي مكنتش متخيل إن أنت تطلع ابن عمي..

- صحيح أنا إزاي مشوفتكش لما روحنا حققنا في المكان؟!

- مكنتش موجود وقتها وكان عندي استعداد يتحقق معايا عادي بس الفكرة إني محبتش أبادر بـ ده..

- ولا يهمك، اللُقا نصيب.. المهم إنك موجود دلوقتي..

- مكنتش متخيل إني هشوفكوا تاني.

- أنت إيه اللي حصلك ومشيت وسيبتنا على فين!

- طفولتي كانت صعبة، أنا فاكر تفاصيلها بس مش فاكر الوشوش.. اليوم اللي خرجت فيه من عندكم شوفت كابوس مزعج لأمي ولقيتني خارج بدور عليها في كل مكان لحد ما بعدت وتُهت، ساعتها لقيتني واحدة هي اللي تكفلت برعياتي..

- طب وهي ازاي مودتكش مركز الشرطة ساعتها!

- اللي فهمته لما كبرت إنها حبت وجودي ومقدرتش تتخلى عني، خاصةً إنها كانت أرملة وعايشة لوحدها ومكنش عندها ولاد، وبصراحة هي مقصرتش معايا في أي حاجة.. الله يرحمها.

- الله يرحمها.. أنت خريج إيه؟

- حقوق وكنت هشتغل في الشئون القانونية بس محصلش نصيب..

ضحك عادل وقال:

- وأنت هتحتاج الشئون القانونية في إيه بقى، ما أنت خلاص ربنا كرمك وبقيت مدير مكانك.

ابتسم عمر وقال:

- أنا فعلًا ربنا كرمني، بس مش عشان اترقيت بالسرعة دي لا.. عشان قدرت أوصلكم بعد ما كنت فاقد الأمل..

ربت عادل على كتف عمر ليطمئنه بأنهم لن يتركوه بعد الآن، بينما كانت ندى في المطبخ تساعد أسماء في إعداد الطعام. خرجت ندى تحمل الصحون ووضعتهن على المائدة، بينما كانت نور تستعد للذهاب إلى عملها في غرفتها. نزلت لتلقي التحية على عادل وعمر، لكن تحيتها كانت رسمية بشكل مبالغ فيه، ثم مرت بجانبهما. كان عمر شارد الذهن، يفكر

في نور وما إذا كان قد تسبب في مشكلة بينها وبين سليم أم أنه يبالغ في تخيلاته.

جلس الجميع على مائدة الطعام، وكان عادل وعمر يتبادلان الحديث بينما ظلت نور شاردة الذهن كعادتها، تشعر باضطراب وضيق لا تعرف مصدره. كانت تفكر كثيرًا وتتساءل عن سبب مشاعرها، وتختلس النظر إلى عمر بين الحين والآخر، حتى لمح خاتم الخطبة في إصبعها. أخذت نفسًا عميقًا، محاولًة طرد هذه الأفكار من ذهنها، لكن فجأة تذكرت حلمها به، مما جعلها تشعر بشيء غريب لا تعرف سببه.

نهضت نور واعتذرت عن الذهاب إلى عملها، كذلك فعل عمر، حيث أخبر عمه بأنه سيبقى في الشقة التي تركها له، وأنه سيزورهم بين الحين والآخر. وافق عمه رغم عدم ارتياحه، إذ كان يتمنى أن يعيش معهم، لكنه احترم رغبة عمر.

وصلت نور إلى عملها ودلفت مباشرة إلى غرفتها، وتبعتها مريم كعادتها. قصّت نور على مريم تفاصيل مكالمة سليم، فسألتها مريم إذا كانت تبادله نفس المشاعر. صمتت نور للحظات، غير قادرة على تحديد مشاعرها، ثم أجابت بأنها لا تعرف حتى الآن حقيقة مشاعرها تجاه سليم، ولذلك ترغب في تأجيل الزواج، فهي لا تعرفه جيدًا.

ربتت مريم على كتف نور وضمتها إليها، وحاولت مواساتها، وسألتها عن عمر. أخبرتها نور بما حدث، وأنه رفض العيش معهم، فاحترمت مريم قراره، وأخبرتها أنه لم يعد هناك شاب يتمتع بأخلاق حسنة سوى القليل.

في الجانب الآخر، وصل عمر إلى عمله، وأخبره رامي أن موظف العلاقات العامة سيأتي لإجراء مقابلة اليوم، وأوضح له أنها امرأة تبلغ من العمر أربعة وعشرين عامًا. شعر عمر بالضيق ورفض ذلك قبل أن يراها، لكن

رامي اعترض ونصحه بالتحلي بالصبر ورؤيتها أولًا، وقد وافق عمر بعد إلحاح رامي.

بعد نصف ساعة، جاءت الفتاة التي تدعى "سلمى"، وألقت التحية على عمر بشكل رسمي دون مصافحة. طلب منها الجلوس دون أن ينظر إلى وجهها، وطرح عليها بعض الأسئلة، ليكتشف لاحقًا أنه ليس لديه سبب لرفضها، خاصة بعدما شعر أنها مضطرة للعمل وأنها تتحلى بالأخلاق. فوافق عمر وطلب منها أن تبدأ العمل صباح الغد، فشكرته وانصرفت، وعندما دخل رامي مكتبه، قال:

- إيه.. وافقت ولّا أشوفلك حد تاني؟

- هي بصراحة مناسبة وقالت إنها مضطرة للشغل، وشكلها دارسة الموضوع كويس، فملقتش سبب للرفض..

- لا وزي القمر كمان..

قال عمر بغضب:

- رامي.. أنا مش عايز أسمع الكلام ده هنا ومش عايز أي تعامل برة حدود الشغل وده في أضيق الحدود، يعني تعامل في الرايحة والجاية أنا رافض المبدأ ده.. ولو عليّا عايز أطرد كل البنات اللي شغالين هنا..

- لا الله يخليك بلاش تقطع عيش حد.. ويا سيدي ليك عليّا هبقى في حالي.. بس برضو البنت زي القمر..

وخرج مسرعًا وهو يضحك وكان عمر شاردًا قليلًا ولكنه كان يشعر بالراحة لأنه أصبح لديه عائلة جديدة، رفع رأسه ناحية الباب ليتفاجأ بدخول سليم فوقف عمر وقال:

- أهلًا وسهلًا يا سيادة النقيب اتفضل..

صافحه سليم وجلس، ثم قال دون تمهيد:

- أنا طبعًا بعتذر إني جيت من غير ميعاد لأني مش جاي كزبون، أنا جاي أتكلم معاك كابن عم خطيبتي واللي هتكون مراتي في المستقبل..

- المكان مكانك يا سليم بيه، تقدر تيجي في أي وقت..

- بص يا كريم.. أو يا عمر زي ما بتحب ينادولك، أنا بحب نور.. ومش مستعد أتخلى عنها أو أخسرها لمجرد ظهورك في حياتها وحياة أسرتها..

كاد عمر أن يتحدث ولكن قاطعه سليم:

- اسمعني للآخر وبعد كده قول اللي أنت عايزه.. أنا جيتلك هنا في مكان شغلك عشان أبقى بعيد البعد التام عن مكان الأسرة الكريمة وإني متسببش في أي مشكلة، أنا جاي أكلمك بالعقل.. اوعى تكون فاكر إني مخدتش بالي من نظراتك لنور سواء امبارح أو يوم ما جينا هنا كلنا.. لا أنا واخد بالي وفاهمك كويس أوي، واوعى تفكر إنها ممكن تبقى ليك في يوم من الأيام، اعرف إنك بتحلم ونجوم السما أقربلك من إنك تقرّبلها..

ابتسم عمر ببرود وقال بنبرة هادئة:

- خلصت كلامك؟

- أيوة خلصت..

تنهد عمر وقال:

- أنا مش هدافع عن نفسي ولا هقولك أنت فاهم غلط.. بس كل اللي عايزك تعرفه إني لا باصص لنور ولا لغيرها، وعايز أوضّحلك نقطتين مهمين، النقطة الأولى إن يوم ما جيتوا هنا أنا كنت قالب الدنيا على واحد اسمه مراد واللي هو طلع عمي في الآخر وإن الآنسة نور هي الوحيدة اللي كانت ممكن تدلّني عليه عشان كده كنت محتار أسألها ولّا لا.. لأنها هي الوحيدة اللي شهدت وجودي معاه، ثانيًا امبارح كنت متفاجئ لأن آخر حاجة كنت ممكن أتخيلها إن الصحفية اللي جت هنا وبهدلتني وكان عندها استعداد تخسرني شغلي اللي اتمرمط عشان أوصله تطلع بنت عمي، فأنت اللي اوعى تفتكر إن ممكن يكون جوايا ذرّة تفكير من ناحيتها، كل الحكاية إني مكنتش قادر أستوعب الكذب والخداع اللي كنت فيه.. ولحد دلوقتي فعلًا مش قادر أستوعب، حط نفسك في مكاني يمكن تحس بذرة من اللي بقولهولك..

ظل سليم صامتًا لا يعرف ماذا سيقول، فاستطرد عمر قائلًا:

- بالمناسبة.. أنا راجل ملتزم وعارف ديني، ومعرفش الآنسة نور قالتلك ولّا لا، إن عمي أصر عليّا إني أعيش معاهم في نفس البيت وأنا اللي رفضت، عارف ليه؟ عشان مينفعش أعيش في مكان فيه بنات متحرّمين عليّا.. حتى مرات عمي نفسها مش من محارمي.. فمن رابع المستحيلات إني أعيش معاهم أو جنبهم حتى..

وقف سليم وقرر أن ينصرف دون أن يضيف كلمة أخرى وبمجرد تقدمه خطوتين إلى الأمام أوقفه عمر قائلًا:

- متقلقش يا سيادة النقيب.. عايزك ترتاح وتكون على ثقة تامة إني هكون بعيد.

ذهب سليم بعد لحظات وكان عمر يبتسم بسخرية وبدأ العمل.. وكان سليم في طريقه إلى عمله يفكر في حديث عمر حتى وصل إلى النيابة لتخليص بعض الملفات.. وكانت ملك في العيادة وقد أتت تلك المريضة دون ميعاد وطلبت من مساعدة ملك أن تدخلها على الفور لأنها في أمس الحاجة إليها وأخبرت ملك التي وافقت في الحال، حينها دخلت المريضة وألقت السلام على ملك واعتذرت لها لأنها جاءت قبل ميعادها، فقالت ملك:

- ولا يهمك.. حظك إن الميعاد ده فاضي، قوليلي بقيتِ أحسن شوية؟

- والله يا دكتورة أنا بدأت أعمل كل اللي حضرتك قولتيلي عليه.. بس حاسة إني بنفر تدريجيًا من خطيبي..

- ليه.. هو في حاجة جديدة حصلت؟

- حلمت بالشخص اللي كنت بحبه في الماضي.. ودي مش أول مرة يجيلي في الحلم، والمشكلة إني بصحى من النوم ببقى متأثرة جدًا وبحس باكتئاب ولما خطيبي بيحاول يتواصل معايا أنا برفض المكالمة.. ومش قادرة أبطل تفكير..

- طب بصي يا منة.. قبل أي دوا وأي شيء تاني، أنتِ محتاجة تقرّبي من ربنا الأول، قرّبي منه على قد ما تقدري وادعي كتير واذكري الله كتير.. وقبل ما تنامي حاولي تقري قرآن وافتحي الإنترنت وشوفي أدعية قبل النوم اللي مضادة للكوابيس، وتقدري تاخدي الدوا اللي كتبتلك عليه قبل ما تنامي.. هتحسي بفرق وتغيير رهيب والأحلام دي هتقل..

- طب هي سببها إيه يا دكتورة، وليه أتأثر بالشكل ده؟

- بسبب إنك معلّقة نفسك بأحداث الماضي وإنك خلاص ضِيعتِ وقلبك مات، وده إحساسك اللي عايزة توهمي نفسك بيه والواقع بيقول عكس كده وفسّرتلك كل ده المرة اللي فاتت، أنتِ محتاجة تحبّي نفسك يا منة، الأحلام دي أصلًا بتبقى من كتر تفكيرك وتعلّقك بالماضي، انسي الماضي وعيشي الحاضر وتفائلي للمستقبل.. هستناكِ المرّة الجاية تيجي وأنتِ في حال أفضل بإذن الله.

***

(8)

"اضطراب"

توالت الأيام والأسابيع والشهور، وتحسنت العلاقة بين عمر وعمه بشكل ملحوظ، حتى شعرا وكأنهما عاشا معًا كل السنوات التي غاب فيها عمر عنهم. بدأ يشعر بأنه جزء لا يتجزأ من حياتهم، وكان يزورهم بين الحين والآخر. في تلك الأثناء، كان سليم يتابع تجهيز شقته الجديدة استعدادًا لزفافه، حتى جاء وقت استلامها. بعد أن أتم كل شيء، أخبر نور بأنهما سيبدآن الاستعداد لحفل زفافهما.

ذات مرة، أثناء تسوقه لشراء بعض الأغراض لمنزله الجديد، التقى سليم بامرأة تصغره بعامين. عندما رآها، تفاجأ وتوقف للحظة، وكأن ذكرياته عادت به لسنوات مضت. نظرت إليه الفتاة وابتسمت، فألقت عليه التحية برقة، لكنه تركها وذهب دون أن يرد عليها. وأثناء رحيله، سقط منه بطاقة العمل الخاصة به، مما جعلها تبتسم بسعادة. لم تلحظ خاتم الخطبة الذي كان في خنصره الأيمن.

تبيّن أن هذه الفتاة هي خطيبته السابقة، مرام، التي تركها قبل ثلاث سنوات عندما قرر الانتقال إلى الإسكندرية لأداء خدمته. كانت مرام الابنة الوحيدة لوالديها، ورفضت أن تتركهما وتعيش معه في الإسكندرية. كان سليم يحبها حبًا عميقًا، لكنه كان مضطرًا للاختيار بين عمله وبينها. بعد ذلك، عاد إلى عمله وهو مشغول بالتفكير في مرام، التي سرقت عقله منذ أن رآها، ولم يتخيل يومًا أنه سيراها بالصدفة.

بينما كان يفكر فيها وفي نور في الوقت ذاته، قرر الاتصال بنور ليخبرها بأنه لم يجد الأغراض التي طلبتها في المتجر، فأخبرته بأنها ستذهب إلى متجر آخر بعد انتهاء عملها. أنهى المكالمة، لكنه كان لا يزال غارقًا في أفكاره حول مرام.

كان عمر في عمله الذي أصبح أفضل بكثير بفضل الله وبفضل اجتهاده هو وفريق العمل. وبدأ يشعر بالارتياح تجاه موظفة العلاقات العامة، سلمى، التي بدأ يتعلق بها يومًا بعد يوم. قرر أن يستدعيها إلى مكتبه، وعندما دخلت، نظر إلى وجهها للمرة الأولى وسألها عن رقم هاتف والدها. تفاجأت وسلمت، وعندما سألته عن السبب، أجاب بأنه يريد التقدم لخطبتها.

كانت سلمى معجبة بعمر أيضًا، لكنها كانت تخفي مشاعرها، فهي أرادت أن تحافظ على قلبها نقيًا حتى يأتيها الحب الحلال. في اليوم التالي، تفاجأ سليم بدخول مرام، فنهض بتؤدة ليجدها أمامه تبتسم بتلك الابتسامة البريئة التي كان يعشقها. فسألها في الحال:

- أنتِ بتعملي إيه هنا!

- مقدرتش أنام طول الليل، لحد ما أخدت قرار وقُلت إني لازم أجيلك.

- عرفتِ مكان شغلي منين؟!

جلست مرام ونظرت له وقالت بثقة:

- لما شوفتك هنا في القاهرة توقعت إنهم نقلوك هنا.. وطبعًا أنا كنت بتابع أخبارك لحد ما عرفت إنك اترقيت وبقيت نقيب.. ألف مبروك يا سيادة النقيب.

تحرّك نحوها ووقف بجوارها ثم قال:

- وجودك هنا غلط وكلامك معايا غلط ورؤيتي ليكِ غلط.. أنتِ عايزة إيه؟!

نهضت ووقفت أمامه، ثم قالت بخفوت:

- عايزة أقولك إنك مغبتش عن بالي ولا لحظة من اللحظة اللي قررت فيها إنك تتخلى عني عشان متجيش القاهرة، وأهو في الآخر خسرتك وخسرتني وبرضو جيت القاهرة! طب ليه مفكرتش تسأل عني.. إيه.. بطلت تحبني؟

- احنا حكايتنا انتهت من زمان وزي ما قولتلك من شوية أنتِ مكنتيش ينفع تيجي هنا.. اللي بتعمليه ده ميرضيش ربنا!

- واللي أنت عملته فيا هو اللي يرضي ربنا؟!

وضع يده على وجهه من فرط غضبه فلاحظت خاتمه أخيرًا ثم قالت بصدمة:

- إيه ده يا سليم! إيه اللي في إيدك دي؟!

ابتسم وقال باستنكار:

- آه صحيح.. أنا نسيت أقولك إني خطبت وفرحي قرّب.

نزلت تلك الكلمات عليها كالصاعقة فشعرت بالدوار من فرط صدمتها.. كادت تسقط أرضًا لولا أنه أمسك بها وأسندها، فقال:

- أنتِ مجنونة.. جاية لحد هنا عشان يغمى عليكي!! أنا أخو خطيبتي رائد هنا ولو شافك معايا هتبقى مصيبة!

نظرت إليه بدموعٍ منهمرة، ثم قالت:

- للدرجة دي بتحبها!

ظل صامتًا لم يجيبها على سؤالها فابتسمت بسخرية ونهضت واقفة، ثم قالت:

- أنا همشي يا سليم بس اعمل حسابك إن كلامنا لسه مخلصش..

- مبقاش فيه كلام بيني وبينك.. وياريت تكون دي آخر مرة أشوفك فيها..

ابتسمت بسخرية ومضت من أمامه وعندما فتحت الباب تفاجأ سليم بدخول عادل الذي نظر إليها بتعجب وعندما دخل سأل سليم عنها فأجابه أنها قريبته من الإسكندرية كانت تريد مساعدته في قضية ما.. ليسأله عادل في الحال:

- هتحددوا الفرح امتى؟

- الأول هننزل نشوف العفش والفرش وبمجرّد ما كل حاجة تجهز نحدد على طول..

- على خير إن شاء الله..

كان عمر يجلس في منزل عمه يحتسي القهوة ويتحدث إليه عن الفتاة التي ينوي التقدم لخطبتها. فرح جمال بهذه الأخبار وأخبره أنه سيأتي معه ولن يتركه بمفرده. شعر عمر بالسعادة أيضًا، وعندما وصلت نور،

ألقت التحية وذهبت إلى غرفتها، تفكر في اقتراب زواجها، ثم استسلمت للنوم من شدة التعب.

مع حلول موعد زفاف سليم ونور، ارتدت نور أجمل فستان أبيض واستعدت للخروج. كانت تتواجد في حديقة منزلها، التي زُينت بشكل رائع، بينما كان سليم ينتظرها في نهاية الحديقة. حملت باقة من الزهور البيضاء وتوجهت نحوه، لكنه كان واقفًا إلى ظهره. وضعت يدها على كتفه، وعندما استدار، تلاشت ابتسامتها شيئًا فشيئًا لتكتشف أنه عمر وليس سليم. ابتسم عمر وأخبرها أنه قد رأى هذا اليوم في حلمه من قبل وكان ينتظر حدوثه، فردت عليه بابتسامة وأخبرته بحبها المتجدد في قلبها منذ أن رأته. ثم أخذ بيدها وانطلقا معًا إلى ساحة الاحتفال.

استفاقت نور على صوت منبهها وكأنها كانت تعيش كابوسًا مزعجًا. كانت تفكر في ذلك الحلم العجيب، فنهضت من سريرها وذهبت للاستحمام، استعدادًا للذهاب إلى العمل. وعندما كانت ترتدي حذائها، نظرت إلى خاتم خطبتها وشعرت بالضيق. حاولت أن تهدئ نفسها، مبررة الأمر بأنه مجرد حلم لا أكثر.

ذهبت إلى العمل، لكن تفكيرها انصب على عمر والحلم الغريب. تلقت رنين هاتفها، وكان سليم يخبرها بأنهم سيتوجهون إلى معرض الأثاث لشراء المستلزمات. كلما اقترب موعد زفافها، كانت تشعر بالقلق أكثر. في المساء، جلست مع ملك وأخبرتها عن توترها من الزواج. حاولت ملك أن تهدئها، ثم ذهبت نور إلى النوم. لكن عندما جاء الصباح، لم يتلاش أثر الحلم بل زاد، رغم أنها لم ترَ عمر مرة أخرى، إلا أنها شعرت بأن مشاعرها تجاهه تتزايد. تمنت أن ينفجر رأسها من شدة التفكير.

نزلت إلى الأسفل قبل ارتداء ملابس العمل، فوجدتهم جميعًا يجلسون على مائدة الإفطار، فقالت بلا مقدمات:

- أنا هفسخ الخطوبة..

نظر إليها الجميع بدهشة، وبدأوا يطرحون عليها العديد من الأسئلة. أخبرتهم بأنها تشعر بالاستياء ولا تشعر بالراحة، كما تعاني من التعاسة والضيق طوال الوقت. وأوضحت أنها كانت تعتقد في البداية أنها ستغرم به، لكن تبين لها أن مشاعرها كانت مجرد إعجاب وقبول لا أكثر.

قال جمال:

- مش مبرر برضو.. وبعدين هو كل اللي بيتجوزوا لازم يكونوا بيحبوا بعض!

- لا مش لازم يكونوا بيحبوا بعض.. بس أنا رافضة فكرة إني أتجوز واحد حاولت أرتاح معاه ومقدرتش!

تدخلت ملك وقالت:

- أنا مش شايفة أي سبب منطقي يخليكِ تاخدي قرار مفاجئ زي ده.. سليم شخص كويس وبيحبك وشاريكِ، ليه تعملي فيه وفيكِ كده؟

- ده قراري أنا لوحدي وبعد إذنكم مش عايزة حد يتكلم مع سليم.. أنا هروحله وأرجعله كل حاجة وأقوله إن كل شيء قسمة ونصيب.

صمت الجميع وعادت نور إلى غرفتها فنهضت ملك وذهبت ورائها لتسألها ما الذي تغيّر، فاستدارت نور وقالت:

- مبقتش متقبلاه.. يكفي شعوري إني مش سعيدة يا ملك.

- خلاص يا نور براحتك.. أتمنى تكوني قد قرارك ده، أنا هروح ألبس وهاجي معاكِ..

- لا يا ملك.. أنا هروح لوحدي.

- هتروحيله البيت لوحدك!

- هكلمه من على الباب..

- هستناكِ تحت العمارة على الأقل..

ظلت نور صامتة، فذهبت ملك إلى غرفتها لاستعدادها. جلست نور على السرير، تشعر باضطراب شديد يكاد يفتك بقلبها وعقلها. بدأت بجمع كل الأغراض والهدايا المتعلقة بسليم، وضعتها في حقيبة كبيرة، ثم نزلت مع ملك.

في تلك الأثناء، كان سليم يتناول الطعام حين رن جرس الباب. نهض ليفتحه، ليتفاجأ بمرام أمامه. ازدرد ريقه بصعوبة، ثم قال:

- أنتِ!

دخلت مرام دون أن يأذن لها وظلت تشاهد المنزل، فابتسمت وقالت:

- أكيد مش ده البيت اللي هتتجوز فيه..

- أنا عايز أفهم.. أنتِ بتعرفي مكاني منين؟!

- سيادة الرائد اللي أنت فهمته إني أبقى قريبتك.. روحت وسألته عنك قالي إنك في إجازة وخدت منه العنوان..

- وهو اداكِ العنوان بالبساطة دي!

- فهمته إن بابا هو اللي عايزك ومنعرفلكش أي عنوان في القاهرة..

- أنتِ للدرجة دي بجحة!

كان سليم يسكن بالقرب من منزل نور، وعندما وصلت مع ملك أمام المنزل، طلبت منها أن تنتظرها في السيارة. أخذت الأغراض ودلفت إلى العمارة. في تلك الأثناء، استمرت مرام في أفعالها المريبة، ثم قالت:

- أنا لسه شايفة نفس نظرة الحب واللهفة اللي في عيونك.. نفس النظرة اللي كنت بشوفها زمان، هي هي متغيرتش.. أنت مبتحبش خطيبتك يا سليم، أنت عمرك ما نسيتني عشان تحب غيري..

سمعت نور تلك الكلمات، وشعرت بصدمة لم تختبرها من قبل. كان الباب مفتوحًا لأنه لم يغلقه بعد دخول مرام، كي لا ينفرد بها. نظرت إلى عينيه وقالت بكل جراءة:

- أنا بحبك يا سليم وأنت بتحبني.. سيبها لأنك هتسيبها وهترجعلي بس وقتها هيكون فات الأوان.

تلك الفتاة اللعينة التي لا تخشى الله في تصرفاتها وحديثها، وقد تملك منه الشيطان بعد التزامه. شعر بالضعف والفتنة أمامها. دخلت نور عليهما، وكانت تسفق وتضحك بهستيريا، ثم قالت:

- كملوا كملوا.. كأني مجتش.

قال سليم بصدمة:

- نور!

- أيوة نور يا حقير يا خاين.. كده كده أنا مكنتش مرتاحة وسبحان الله من قبل ما اكتشف خيانتك كنت جاية عشان أقولك إن كل شيء قسمة ونصيب، بس أنت حتى متستاهلش الكلمة الحلوة..

خرجت من المنزل مسرعة وركبت السيارة وهي تبكي، بينما طلب سليم من مرام أن تذهب. أخذ مفتاح سيارته وعندما نزل لم يجدها. طلبت نور من ملك أن توصلها إلى المقهى الذي يعمل فيه عمر، وطلبت منها أن تتركها بمفردها. وبعد إلحاح شديد، قررت ملك أن تتركها.

نزلت نور من السيارة ودلفت إلى المقهى، وجلست على إحدى الطاولات. فتحت حقيبتها وأخرجت علبة صغيرة لتضع فيها خاتم خطبتها. خرج عمر من المكتب بعد أن أخبره رامي بقدوم نور، فرأها من بعيد وهي تخلع خاتم الخطبة وتضعه في علبتها. لاحظت سلمى نظرات عمر لنور فسألته عنها، فأجابها أنها ابنة عمه. ثم ذهب إليها وسألها:

- أهلًا يا نور.. أنتِ كويسة؟

نظرت إليه بعينين حزينة، وترجرجت الدموع في مقلتيها. كانت تشعر باضطراب، لكن خفقات قلبها زادت عندما رأته أمامها. هدأت عندما نظرت إليه، وشعرت بسكون وراحة وأمان، وهو الشعور الذي لم تشعر به من قبل تجاه سليم. لم ينبض قلبها له مرة واحدة. كرر سؤاله مرة أخرى، فأجابت أنها على ما يرام.

تفاجأت بدخول سليم، وهو يطلب منها أن تذهب معه. لكن نور رفضت، فترجاها كثيرًا. طلب منه عمر أن يهدأ ويجلس ليتحدثا بهدوء. وعندما جلس، قررت نور أن تذهب، فأخذت سيارة أجرة وعادت إلى المنزل، حيث قصت ما حدث لوالدها. ذهب جمال بعيدًا ليهاتف سليم، وقد سمع كل شيء لكنه لم يصدقه، ولم يشعر بالشفقة تجاهه.

مرت الأيام، وكان سليم يتتبع نور في كل مكان حتى شعرت بالضيق. كانت تخبر والدها بكل شيء، لأن عادل كان في مأمورية في سيناء ولن يعود الآن. أخذ جمال يفكر في كيفية التخلص من سليم، حتى وجد الحل.

في نفس الليلة، كانت نور جالسة مع أختها ووالديها عندما رن الجرس. نهضت ملك لفتح الباب، فوجدت سليم يقف هناك. دخل دون أن يأذن له أحد، فنهضت نور عندما رأته، وقالت:

- أنت إيه اللي جابك هنا؟!

دخل عليهم عمر فابتسم جمال، وقف بجوار نور ونظر إلى عمه وقال:

- أنا عايز أتجوز نور..

تفاجأ الجميع، عدا جمال، ونظرت إليه نور بصدمة. كان عمر يتألم لأنه لا يبادلها نفس مشاعر الحب، بل يحب سلمى، لكن عمه طلب منه ذلك لفترة مؤقتة حتى يعود عادل ويختفي سليم من حياتهم. اقترب سليم من عمر وحدق في عينيه، وقال بغضب:

- أنا كنت متأكد من البداية إن ده كان هدفك.. أنت السبب!

لكمه في وجهه فسقط أرضًا، فاضطرب المكان. نزلت نور لمساعدة عمر وطردت سليم من المنزل، ثم قالت:

- أنا موافقة.. موافقة أتجوزك يا عمر..

كانت تشعر بسعادة كبيرة، بينما نظر سليم إليها بصدمة، فقد شعر بظلم لم يعرفه من قبل. فاقترب جمال منه وقال:

- اسمع يا ابني.. أنا لحد دلوقتي مش عايز أبعت لأهلك وأعرفهم تصرفاتك مع بنتي، ولولا سفر عادل أنا كان زماني شوفت شغلي معاك.. نور وعمر هيتجوزوا بكرة إن شاء الله ياريت تطلع من حياتها عشان مش هتبقى حلوة في حقك إنك تجري ورا واحدة متجوزة..

أومأ برأسه ونظر إلى نور بحسرة وندم شديد، ثم خرج من المنزل. كانت ملك تنظف الدماء التي سالت من أنفه، ثم قال عمر:

- إنسان غبي وغشيم..

فقال جمال:

- إن شاء الله نخلص إجراءات كتب الكتاب وشوفوا أنتوا حابين تعيشوا فين..

عادت نور إلى غرفتها وهي تشعر بسعادة مفرطة فجاءت ملك وراءها وغلقت الباب وقالت بنبرة حادة:

- إيه الحكاية يا نور! عمر السبب مش كده؟

- السبب في إيه؟

- إنك تاخدي قرار فسخ الخطوبة..

ظلت نور صامتة فعلمت ملك الإجابة ثم قالت بنبرة ساخرة:

- يعني أنا عندي حق! أنتِ خنتِ سليم زي ما هو خانك..

- لا لا يا ملك.. أنا مخُنتش سليم أقسم بالله ولا في أي حاجة بيني وبين عمر، أنا فعلًا كنت مضطربة من فترة كبيرة ومكنتش مرتاحة وتعبت أكتر لما حددوا ميعاد الفرح.. ملك أنا...

- أنتِ إيه؟

- أنا بحب عمر..

***

كان يجلس مع عمه وينفرد به في غرفة مكتبه، فقال جمال بأسف:

- أنت عارف هتعمل إيه..

- عارف يا عمي.. بس أنا خايف سلمى تعرف حاجة..

- أنت هتعرفها إنك هتسافر معايا عشان محتاجلك.. وطبعًا نور أنا مش هوصيك عليها.

- عادل هيرجع امتى؟

- للأسف مش بوصله كتير عشان المكان اللي موجود فيه مفهوش شبكة، بس بإذن الله قريب أوي.. ساعتها تبقوا تنفصلوا بالمعروف..

- وحضرتك هتقبل إن بنتك تعيش مع واحد مش بيحبها وتاخد لقب مطلقة وهي لسه عذراء؟

- معنديش حل تاني.. أنا مش هقدر أخليها تسيب شغلها وأسجنها هنا لحد ما الباشا يمل ويسبها في حالها.. هو ده الحل الوحيد عشان يفقد الأمل فيها.

- أنا مش عارف أقول ايه.. كل اللي خايف منه رد فعلها لما تعرف الحقيقة، ده غير خوفي من إن سلمى تعرف حاجة..

- فترة مؤقتة يا عمر.. فترة وهتعدي، وإذا كان على رد فعل نور ف ده هيكون أحسنلها من اللي الحيوان ده بيعمله..

- ربنا يستر..

مرّ اليوم كما هو وقضى عمر هذه الليلة في منزل عمه.. خرج إلى الحديقة بعد أن تأكد أن الجميع ذهب إلى نوم.. أخرج من جيبه عُلبة سجائر وأخذ واحدة وأشعلها..

دخلت نور إلى الشرفة بعد أن طار النوم من عينيها، فتفاجأت عندما رأته يشرب سجائر. وضعت شالها عليها ونزلت إليه، ووقفت بجواره ولكنه لم يحرّك له ساكنًا. كان صلبًا، صامدًا، قويًّا، ليس لديه شيء ليخبئه. قالت له بانزعاج:

- أنت بتشرب سجاير من امتى؟!

التفت إليها وأطفأ السيجارة ونظر في عينيها وقال بنبرة غريبة:

- ليه... خايفة عليّا؟

ابتسمت وقالت وقد بدا على وجهها التوتر من لهجته:

- السجاير مضرة بالصحة.. مينفعش تشربها يا عمر.

ضحك وسفق لها فتعجبت أكثر ثم اقترب إليها وقال:

- كريم.. كريم مش عمر.

عقدت حاجبيها فابتعد عنها وكاد أن ينصرف ولكنها أوقفته عندما سألته:

- رايح فين! الساعة ٣ الفجر!

- اطلعي نامي وسبيني في حالي..

تحرك وخرج من المنزل، متجهًا إلى المكان الذي يركن فيه سيارته سيرًا على الأقدام. وعندما وصل إلى سيارته، ركبها وانطلق نحو منزل سليم، لكنه ركن بعيدًا وبدأ في تتبعه. حتى وصل سليم ودلف إلى العمارة، فنزل كريم وراءه ورأى أن المصعد قد تحرك إلى الطابق الثامن. وكانت العمارة بلا بواب، مما سيسهّل عليه مهمته، لكنه تحلّى بالصبر هذه المرة ولم يكن في عجلة من أمره.

عاد إلى سيارته وركَنها في المكان المعتاد، ثم عاد إلى منزل عمه، حيث رأى أن نور ما زالت تنتظره. نظر إليها باشمئزاز وصعد إلى الأعلى، بينما كانت هي تشعر بالضيق من معاملته الجافة، فقررت أن تعود إلى غرفتها وتذهب إلى النوم.

في صباح اليوم التالي، استعد عمر للذهاب مع عمه لإتمام الإجراءات اللازمة لعقد القران. كانت نور في غرفتها بمصاحبة مريم التي جاءت إليها في الصباح الباكر، وكانت تواسيها لأنها كانت مضطربة. شعرت أن عمر سيتزوجها رغمًا عنه. وضعت مريم يدها على شعر نور ومسحت عليه، وأخبرتها أن ما فعلته ليلة البارحة ليس صحيحًا، فقالت نور:

- أنا قلقت لما لقيته سهران وحاولت فعلًا منزلش بس مقدرتش.

- أنتِ حبيتيه امتى يا نور.. وازاي خبيتِ عني حاجة زي دي؟

- اكتشفت إني حبيته لما جريت وراه على المستشفى، وقتها سألت نفسي إيه اللي يخليني أروح وراه وأقلق عليه بالطريقة دي وأنا معرفوش.. على الرغم إني كنت من قبلها متخانقة معاه.. بس ازداد تفكيري فيه مع مرور الوقت، كنت فاكرة إني هحب سليم.. طلع مجرد انبهار لأني كنت طول

الوقت بفكر في عمر وبعامله برسمية فوق الوصف، أتاريني بضحك على نفسي..

- يا ريتك كنتِ قولتيلي..

- إيه اللي كان هيتغير!

- أنتِ كتب كتابك النهاردة على اللي بتحبيه المفروض تفرحي مش تبقي قاعدة زعلانة كده..

التفتت نور إليها ونظرت بتمعن فسألتها قائلة:

- وهل هو كمان بيبادلني نفس الحب!

- نور أنتِ هتجنني! مش هو اللي جيه لحد عندك وقال إنه عايز يتجوزك!

- أيوة.. بس أنا مش قادرة أفسر اللي حصل امبارح بالليل!

- يمكن من إحراجه اتصرف كده.. هو عايز يبقى رسمي معاكِ لحد ما تبقوا في بيت واحد... صحيح، أنتوا هتعيشوا فين؟

- أكيد في شقته..

- معقول! هتسيبي أوضتك وبيتك بالبساطة دي؟

- ولما كنت هتجوز سليم كنت هاخد بيتي وأوضتي معايا يعني؟!

- مقصدش.. أصل عمر يبقى ابن عمك فإيه اللي هيخليكوا تعيشوا في بيت تاني؟

- مظنش هيرضى يعيش هنا.. خليه على راحته بقى.

- نور.. ده مش منظر عروسة خالص، افرحي يا بنتي مالك كده في إيه؟

- أنتِ شايفة إن في حاجة ماشية طبيعي عشان أفرح! ده كأنه عزا بجد..

- لا أنتِ هتقومي دلوقتي حالًا، هننزل سوا نشتري فستان ونروح بيوتي سنتر ونجهز كده.. وحالًا هتصل بشركة تنظيم تيجي تنظم ديكور هنا في الجنينة وأنا هكلم صحابنا اللي في الجريدة عشان يجوا، وهنروح الكافيه نبلغ صحاب عمر..

- لا لا يا مريم بالله عليكِ.. مش عايزة حد يعرف حاجة دلوقتي.. خليها تيجي بظروفها كده.

- طب أوكيه.. يلا قومي البسي عشان نروح نجيب الفستان.

طرق الباب فنهضت نور وفتحت لتتفاجأ بعمر الذي قال لها:

- جهزي نفسك عشان لازم نروح نعمل التحاليل المطلوبة لاجراءات كتب الكتاب..

نظرت نور إلى مريم ثم إلى عمر، وأومأت برأسها. مضى عمر من أمامها وعادت إلى الغرفة لتستبدل ملابسها، ثم خرجت وأخبرت مريم بأنها ستتصل بها بمجرد انتهاء التحليل. وافقت مريم وعادت إلى قراءة الجريدة، بينما ذهبت نور مع عمر ووالدها إلى أقرب مركز أشعة وتحاليل. أخذوا منهم العينات، وطلب جمال أن يسرعوا في الحصول على النتائج لأنهم في عجلة من أمرهم.

وبالفعل، استلموا النتائج وذهبوا لإتمام باقي الإجراءات. وعندما انتهوا، أخبرت نور والدها أنها ستذهب لشراء فستان جديد، وأن مريم على

وشك الوصول. وافق والدها وتركها، بينما كانت ترمق عمر بنظرات تكشف عن مشاعرها، فنظر إليها بألم ومضى مع عمه.

في طريقه، أرسل رسالة إلى سلمى يخبرها أنه سيتوجه مع عمه، وبمجرد وصوله سيتوجه إلى والدها لخطبتها. كتبت له أنها في انتظاره وأن عليه ألا يقلق بشأن المكان فهو في أمانتها. ابتسم بألم، وكان يريد أن يقبّل هاتفه لكنه استعاد رباطة جأشه وواصل طريقه مع عمه.

كانت نور في انتظار مريم حتى جاءت، وذهبت معها إلى أقرب متجر فساتين. اختارت فستانًا أبيض فضفاضًا وبسيطًا، وعندما دخلت لتجربته، تفاجأت برؤية مرام. نظرت مرام إليها وضحكت بسخرية، وقالت:

- هو أنتِ.. وإيه اللي في إيدك ده، مش سليم خلاص سابك!

قهقهت نور بصوتٍ مسموع وقالت بنبرة ساخرة:

- دمك خفيف أوي والله.. ومين بقى اللي قالك إن هو اللي سابني! أنا اللي سيبته يا حبيبتي وهو اللي لسه بيجري ورايا، وكده كده قبل ما اكتشف خيانته كنت ناوية أسيبه..

- لا يا حبيبتي أنتِ اللي فاهمة غلط، سليم سابك عشان يجيلي..

مضت مرام من أمامها بعد أن استشاطت غضبًا. ارتدت نور الفستان فوجدته مناسبًا، واشترته ومضت من المتجر. بعد ذلك، روت لمريم ما حدث، مما جعل مريم تضحك. ثم قالت:

- والله أنا لو مكانها كنت اتمنيت الأرض تنشق وتبلعني.

- دي واحدة مريضة، المهم.. أنا مش هروح بيوتي سنتر، مش مستاهلة.

- أوكي ماشي.. يلا بينا نرجع البيت ونكمل في البيت.

حل الليل وقد وصل المأذون، بينما ارتدى عمر بذلته التي اشتراها له عمه، كان يأمل أن يرتديها في عقد قرانه على سلمى. جلس على طاولة عقد القران، وجاءت نور، التي بدت كالملاك، برفقة أختها وصديقتها، وجلست بجوار والدها. بدأ المأذون بعقد القران، وعندما انتهى، نهض جمال وعانق عمر، واقترب عمر من نور وقبّل رأسها. في تلك الليلة، تناولوا العشاء معًا، وأخبرهم عمر أنه سيعيش في منزله ولا يريد أي اعتراض، فوافق الجميع. رحلت نور مع عمر إلى منزلهما الجديد، حيث بدأت معاناتها الجديدة التي لم تكن تتخيلها يومًا.

***

(9)

"زواج قسرًا"

وصلت نور مع عمر إلى المنزل الجديد، ودخلت إلى بيتها، حيث بدأت تتفقد المكان بنظراتها. ابتسمت وأخبرته أنه رائع ومريح للغاية، معربةً عن معرفتها الجيدة بذوق والدها. أومأ عمر برأسه مبتسمًا رغم أنه لم يكن مرتاحًا. كانت تشعر ببعض الخجل، وعندما دخل البواب مع الحقائب، أخبرتهم أنها ستذهب لتغيير ملابسها.

دخلت إلى الغرفة وارتدت ملابس مريحة وجديدة اشترتها مسبقًا، ثم فردت شعرها وخرجت لتجد عمر جالسًا شاردًا في همومه. نادت عليه وعندما نظر إليها، وجدها بشعرها المفرود، مما جعله يشعر بغرابة لأنه هذه هي المرة الأولى التي يرى فيها شعرها. ابتسمت وطلبت منه ألا يتعجب، فهي الآن أصبحت زوجته، وأخبرته أنها كانت تتمنى أن يتزوجا في ظروف أفضل، ولكن هذا هو القدر. رد عليها بأنه لا بأس وطلب منها أن تذهب إلى النوم.

سألته إذا كان سينام هو الآخر، ليجيبها باستنكار بأنه لن ينام الآن. شعرت بشيء غريب يسيطر عليه، فجلست بجواره وسألته عن ليلة البارحة والسجائر ومعاملته الجافة لها. تعجب من حديثها وسألها إذا كان يعتقد أنه يُدخن، ليؤكد لها أنه لا يُدخن ولا يطيق التدخين. زاد تعجبها وظنت أنه يخدعها، لكنه أقسم أنه لم يفعل ما ذكرته، ونهض متهمًا إياها بالجنون.

نهضت هي الأخرى وأصرت على إخباره بما رأته بالتفصيل، وشرحت له أنه كان يدخن وذهب إلى مكان غير معروف وعاد بعد ساعة. حاول أن يتذكر ما تخبره به ولكن بلا جدوى. انفعل عليها وطلب منها أن تذهب إلى الغرفة لأنه سيستريح في الصالون. دلف إلى الحمام ودفع الباب بغضب، مما أصدر صوتًا مزعجًا جعلها تشعر بالفزع. قررت أن تذهب إلى الغرفة، وجلست على السرير ضامة ركبتيها بذراعيها، تفكر فيما أصابه.

حل الصباح، ففتحت عينيها لتجد نفسها بمفردها في الغرفة. نهضت وخرجت لتجد عمر نائمًا في الصالون كما أخبرها. تفاجأت لأنه نفذ ما قاله، لأنها اعتقدت أنه يمزح. أخذت تسأل نفسها ما الذي يحدث، ثم قررت تركه نائمًا وذهبت إلى المطبخ لتشرب بعض المياه، ثم استبدلت ملابسها استعدادًا للخروج. نهض عمر عندما سمع صوت تحركاتها ونظر إليها متسائلًا:

- رايحة فين؟

- هكون رايحة فين يعني.. هروح الجريدة.

- والناس تقول عليكِ إيه لما يلاقوكِ نازلة الشغل وأنتِ لسه متجوزة امبارح؟

ضحكت وقالت بسخرية:

- ده على أساس إني عروسة بجد وقمت يوم صباحيتي من جنب جوزي وقررت إني أنزل الشغل!

- بالله عليكِ مش عايز تريقة على الصبح، مش هينفع تنزلي.

- مش لما تكون جوازة طبيعية الأول! أنا نازلة.

نهض واتجه إليها ليلحقها فأمسك بذراعها فشعرت بالألم ثم قالت:

- إيه في إيه.. سيب إيدي!

- قولتلك مش هتنزلي وكلمتي لازم تتسمع..

سحبت ذراعها بعنف ورمقته بنظرات حادة وسألته باستنكار:

- أنا مش فاهمة أنت اتجوزتني ليه وأنت مش طايق تبص في وشي.. أنا عايزة أفهم أنت بتحكم عليا مخرجش دلوقتي على أساس إيه؟

- على أساس إني جوزك ولازم تطيعي أوامري.

- مش لما تكون جوزي بجد!

- يعني إيه؟

- يعني أنت قررت إني أنام لوحدي وأنت تنام بره لوحدك.. ممكن أفهم ده معناه إيه؟

- اسمعي يا نور، أنا مش مضطر أبررلك أي حاجة.. هو ده اللي موجود إذا كان عاجبك.

- أنا كده فهمت..

قال بتوتر:

- فهمتِ إيه؟

- أنت بتعمل كده عشان أسيب الشغل صح؟؟

شعر بالارتياح عندما قالت تلك الكلمات، فقال ليخفي اتفاقه مع عمه:

- أيوة يا نور.. عايزك تسيبي الشغل.

ضحكت وتركت حقيبتها وسترتها على المائدة وقالت:

- قول كده بقى.. عشان كده عامل الشويتين دول؟

- أيوة يا نور.. كل ده عشان مش عايزك تشتغلي.

قالت وهي تقترب إليه ثم وقفت ونظرت في عينيه بتحدٍ:

- يعني لو قدمت استقالتي كل شيء هيتغير؟

- مش فاهم..

- لا أنت فاهم.. سألتك سؤال جاوبني عليه.

- أنا مش فايق للعب العيال بتاعك ده.. عايزة تنزلي انزلي، وسّعي بقى عشان أنا كمان عندي شغل.

تركت نور عمر وقررت الذهاب إلى عملها. عند وصولها، هنأها الجميع وأعربوا عن سعادتهم بعودتها بعد غيابها. شعرت بالتوتر عندما رأت مريم، التي نظرت إليها بتمعن دون أن تتحدث. انتبهت نور لقلق مريم، لكنها لم تكن مستعدة لمشاركة تفاصيل حياتها الشخصية.

توجهت نور إلى مكتبها، محملة بأفكار متضاربة، وقررت التركيز على العمل لتتخلص من مشاعر الاضطراب التي تسيطر عليها. فقالت:

- إيه.. في إيه!

- أنتِ هنا بتعملي إيه؟

- يعني إيه بعمل إيه.. ده مكان شغلي على فكرة..

- والله؟ تصدقي أول مرة أعرف إنه مكان شغلك، متستعبطيش يا نور، ازاي تسيبي بيتك وجوزك وتنزلي الشغل يوم.....

قاطعتها نور وقالت:

- صباحيتي.. صح؟ مش ده اللي عايزة تقوليه! أنا بقى مبعترفش بيوم الصباحية ده..

- ده اللي هو ازاي يعني؟ في عروسة تنزل الشغل تاني يوم جواز!

- على أساس إنه قانون يعني بينص على إن العروسة مينفعش تخطي باب بيتها يوم صباحيتها!

- أيوة مينفعش..

- ده جهل وتخلف..

- سيبنالك أنتِ العلام يا متعلمة..

ران عليهما الصمت قليلًا فأردفت مريم قائلة:

- طب وعمر، سابك تنزلي كده عادي؟

- الباشا عايزني أسيب الشغل..

ضحكت مريم وقالت:

- من أولها كده! خلصنا من عادل عشان يطلعلك عمر..

- شوفتِ بقى الحظ..

- طب وأنتِ كان إيه رد فعلك؟

تبدلت ملامحها عندما تذكرت ما فعله معها منذ البارحة، فهو شيء لم تستطع إخبار أحدٌ به حتى ولو كانت صديقتها المقرّبة، فأخبرتها أنها تشاجرت معه ونزلت وهو الآخر ذهب إلى عمله، فقالت مريم:

- والله أنتوا الاتنين مجانين.. ما جمّع إلا ما وفّق بصحيح..

ابتسمت نور رغم أنها كانت تشعر بالقلق والارتباك، لكنها قررت مواجهة الوضع. دخلت المنزل ورأت عمر جالسًا في الشرفة، يمسك هاتفه ويبدو سعيدًا. وضعت المفتاح في الحقيبة وسعلت لتنبهه لوجودها. نظر إليها بابتسامة، ولكنها شعرت بشيء غير مريح في قلبها.

قررت أن تسأله عن غيابه، ولكنها ترددت في البداية. شعرت بأنها بحاجة لمعرفة الحقيقة حول ما يجري. نظرت إليه مباشرة، وبدأت تسأله عن سبب تصرفاته الغامضة. في تلك اللحظة، أدركت أن هناك شيئًا ينقص في العلاقة، وأنها بحاجة لفهم ما يجري قبل أن تتخذ أي خطوات أخرى.

بدأت تفكر في كل ما حدث في الأيام الأخيرة، من كذبه حول السفر إلى مشاعره المتضاربة. كانت تشعر بأن هناك شيئًا غير واضح يجري بينهما، وأنها بحاجة لاكتشاف الحقيقة، حتى لو كان ذلك يعني مواجهة عمر بجرأتها.

- مساء الخير..

قال بنبرة باردة وهو ما زال يمسك بهاتفه دون أن ينظر إليها:

- أنتِ جيتِ؟

- أنت شايف إيه؟.. عديت عليك في الكافيه قالولي إنك مش موجود..

نهض على حين غفلة وترك هاتفه فتبدلت ملامحه واقترب منها وقال بانفعال:

- أنتِ روحتِ هناك!

- أيوة يا عمر روحت هناك.. وقالولي إنك مسافر.. ممكن أفهم إيه الحكاية بالظبط؟

استدار وجعل ظهره أمامها فقال بتلعثم:

- مش حابب حد يعرف دلوقتي إني اتجوزت.

- ممكن أفهم السبب!

- مش حابب حد يعرف وخلاص.. هو أنا هبررلك!

أمسكته من ذراعيه وجعلته يستدير إليها فقالت بغضب:

- أيوة تبررلي، لأنك مجبر إنك تبررلي.. جاوب على سؤالي، ليه كذبت عليا وعليهم هناك!

ابتعد عنها وقال:

- أنا مش مجبر أبررلك أي حاجة.. وأنا اللي دلوقتي بجبرك إني متعديش ناحية هناك..

اقتربت إليه وقالت:

- يا سلام! وده ليه بقى إن شاء الله!

- عشان أنا عايز كده..

كانت نور تشعر أنها بكابوس كبير فنظرت إليه بعيونٍ دامعة وقالت:

- أنا مش قادرة أستوعب اللي أنا فيه، أنت ازاي كده؟ ازاي كنت شايفاك ملاك طول الفترة اللي فاتت.. أتاريك كنت مستني الوقت المناسب اللي تبان فيه على حقيقتك!

مضت من أمامه ودلفت إلى الغرفة وغلقت الباب باندفاع، فظل عمر واثبًا بمكانه وهو يشعر بالضيق. عاد إلى الشرفة وقرر أن يهاتف رامي ليخبره بما حدث. تفاجأ رامي بخبر زواجه من نور، وطلب منه أن يعده ألا يخبر أحدًا، وخاصةً سلمى، وأن يمنع نور من الذهاب إلى المقهى. أخبره رامي أنه لن يستطيع فعل ذلك، مما جعل عمر يفكر في حل آخر، وهو أن يلهيها حتى يجد طريقة مناسبة تجعلها تخرج من حياته.

في تلك الأثناء، كانت نور في غرفتها تبكي بمفردها، تشعر بالضياع وعدم الفهم لما يحدث. لم تكن تريد أن تخبر أسرتها أو أي شخص بما يدور بينها وبين عمر، لكنها كانت ترغب في فهم سبب تصرفاته الجافة. قررت أن تخلد إلى النوم، لكن في منتصف الليل استيقظت من قلقها وشعرت بالعطش. ذهبت إلى المطبخ، وعندما خرجت لم تجد عمر، فتوجهت إلى الشرفة والحمام والغرفة المجاورة، لكن لم يكن هناك أي أثر له.

شعرت بالقلق وقررت أن تهاتفه، لكنها وجدت هاتفه مغلقًا. جلست في الصالون في انتظار عودته، وفي غفلة منها استغرقت في النوم على الأريكة.

عندما حل الفجر وشقشق النهار، وصل عمر ودخل المنزل، متوجهًا إلى الصالون. لاحظ نور نائمة على الأريكة، فظهرت على وجهه شبح ابتسامة، لكنه نظر إليها بشفقة، مُحدّثًا نفسه قائلًا:

- غبية وعمر أغبى منها عشان طاوع جمال في الهبل ده.. جواز إيه ولعب عيال إيه، لا ورايح يحب واحدة تانية وهو بيخونها.. طب أنتقملها منه ازاي دلوقتي وأنا وهو نفس الشخص!

استيقظت نور عندما شعرت بحركة فوجدته أمامها، فنهضت ووقفت أمامه وسألته. نظر إليها بتلك الابتسامة الغريبة التي رأتها على وجهه في الليلة التي رأته يدخن فيها. لم تسأله عن مكانه لأنها كانت تخشاه، لكنها أخبرته بأنها كانت قلقة عليه، ثم توجهت إلى غرفتها دون أن يرد عليها. شعرت نور بالخوف بعد أن كانت تشعر بطمأنينة نحوه، لكنها لم تكن تعلم ماذا أصابها وما الذي ينتظرها.

في الصباح الباكر، كانت أسماء كعادتها تحضر طعام الإفطار. وعندما اجتمعت هي وزوجها وابنتها ملك، تساءلت قائلة:

- احنا مش هنروح نزور نور؟

- سبيهم على راحتهم يا أسماء، دول لسه عرسان جداد والازعاج مش حلو عشانهم..

رن جرس الباب فذهبت ملك لكي تفتح فتفاجئت بعادل فعانقته بشدة ودخل وألقى السلام على والديه الذي تفاجئا بقدومه فجلس معهم على المائدة فقال والده:

- مش كنت جيت من يومين.. ده أنت فاتك كتير أوي..

قال عادل بفضول:

- هو إيه ده اللي فاتني؟

ضحكت ملك وقالت:

- نور اتجوزت.

تفاجأ عادل وترك الطعام ثم قال بصدمة:

- إيه! ازاي ده يحصل في غيابي؟! وازاي سليم مكلمنيش ولا حتى سابلي رسالة!

نظروا جميعًا إلى بعضهم البعض فقال الأب بخفوت:

- نور متجوزتش سليم يا عادل..

- نعم!! أومال اتجوزت مين؟؟

***

فُتح باب مكتبه باندفاع ليدخل على حين غفلة ليمسك بياقته وهو في قمة غضبه ويرمقه بنظراتٍ حادة، كاد أن تخرج من عينيه شظايا من فرط غضبه، فقال:

- بقى أنت يا حقير تمثّل علينا دور الملتزم الشريف وتروح تخون أختي! أنت نسيت أنا ابقى مين! نسيت نفسك!

نظر إليه وهو يحاول أن يهدأ من روعه قائلًا:

- اهدا يا سيادة الرائد وسيبني وأنت تفهم الحكاية!

كز على أسنانه وهو يحدّق في عينيه ويمسك بياقته أكثر، كاد أن يصل إلى حد الاختناق، ثم قال:

- حكاية إيه اللي أفهمها، ما أنا خلاص فهمت كل حاجة.. ومش هسيبك غير لما أشرب من دمك..

دفعه سليم للخلف وعدل ياقته ثم قال بغضب:

- يا سيادة الرائد افهم واسمعني.. حكمت عليا من اللي سمعته برا ومش قادر تديني فرصة أشرحلك الحقيقة..

جلس عادل وقال بنبرة حادة:

- أديني قعدت.. اتفضل اشرح وقول اللي عندك!

- أنا مظلوم.. أقسم بالله العظيم مظلوم، عايز أسألك سؤال واحد بس وتجاوبني عليه، هل أنت شوفت مني أي حاجة وحشة من ساعة ما اتنقلت هنا؟ هل قصّرت في شغلي أو سمعت إن سُمعتي مش كويسة؟!

ظل عادل صامتًا فأكمل سليم قائلًا:

- اللي حصل إني كنت خاطب من ٣ سنين وأظن إني مخبيتش عليكم أي حاجة وعرّفتكم حياتي وظروفي، يشاء القدر إنها تظهر قدامي فجأة وتقعد

تلف حواليا وأنا مش عارف أتخلص منها.. أختك يا سيادة الرائد كانت جاية تفسخ الخطوبة وأخدت قرار لوحدها قبل ما يحصل اللي يحصل، ولما ده حصل قالت بس.. لقيت سبب أفسخ عشانه وأنا مش فاهم أي حاجة أصلًا..

- نفترض إن النية عكس كده وإنها مكانتش عايزة تفسخ، كنت هتبررلها خيانتك ازاي!

- أولًا مكانش ينفع أصلًا إن أختك تيجي عندي البيت وهي متحرمة عليا، ثانيًا أنا مخُنتهاش وكنت واخد عهد بيني وبين ربنا إني هحافظ عليها لحد آخر يوم في عمري..

- يعني أختي هي المذنبة دلوقتي! لولا قرارها مكانتش هتجيلك أصلًا.. بس أنت عندك حق، أنا هوريها.

- أختك اتجوزت خلاص يا عادل بيه وباعتني عشان عمر وأنا كنت شاكك من البداية من أول ما ظهر في حياتنا، مش هقعد أبرأ نفسي قدامك كتير لأن ده مش هيغير الواقع، النتيجة واحدة.

نهض عادل وقال:

- مش عارف ليه حاسس إنك بتكذب عليا، بس الحقيقة مسيرها هتبان والمستخبي مسيره هينكشف.

خرج من المكتب وكان سليم في قمة انفعاله. كاد أن يبكي كلما تذكر ما حدث له، ولكنه استعاد رباطة جأشه وظل صامدًا قويًّا. لن يسمح لمشاعره أن تحركه بعد الآن. اتجه عادل إلى منزل عمر وفتح له الباب. دخل عادل وهو يرمقه بنظرات حادة، فتعجب عمر من دخله ثم قال:

- طب ارمي السلام حتى..

- أنا مش جاي أتساير معاك يا عمر.. أنا جاي أعرف الحقيقة..

قال عمر وقد بدت عليه علامات التوتر:

- حقيقة إيه؟

- حقيقة جوازك أنت ونور.. من امتى وأنت حاطط عينك عليها، ومليت دماغها بإيه عشان تفسخ خطوبتها من سليم وتقبل تتجوزك؟

- أنا مملتش دماغها بأي حاجة ولا كان في بيني وبينها أي كلام، كل الحكاية إني أعجبت بيها أول ما شوفتها ولما عرفت إنها اتخطبت زعلت بس قولت بيني وبين نفسي خلاص ده نصيب ومينفعش أتدخل فيه.. لحد ما عرفت إنها فركشت وقررت أروح لعمي وأطلبها منه..

- بالسرعة دي! بدون أي تمهيد؟ حتى محدش فيكم استناني لحد ما أرجع من المأمورية، للدرجة دي لغيتوني؟

- ده كان قرار عمي..

ابتسم عادل وقال:

- أيواااا.. قول الحقيقة، ليه اللف والدوران وهي الحقيقة أسهل بكتير أوي من إننا نلف وندور على بعض..

- حقيقة إيه؟

- بابا عرفني كل حاجة يا أستاذ عمر، وعرفت الاتفاق اللي بينكم..

- يعني هو قالك؟

- آه طبعًا لازم يقولي اومال أنت فاكره هيخبي عليا مصيبة زي دي؟!

- متقلقش يا سيادة الرائد، أختك زي ما هي مقرّبتش منها..

- معنى كده إنك مبتحبهاش!

استدار عمر ووقف أمامه وقال:

- لا.. مبحبهاش.

- أومال وافقت تتجوزها ليه وتضيع نفسك وتضيعها معاك بالشكل ده طالما مش بتحبها!

- كان قرار عمي وأنا مقدرتش أبقى ندل وأرفض طلبه..

- وأنت ازاي قادر تتحكم في نفسك بالشكل ده وأنت مقفول عليك باب واحد مع بنت!

- عشان بحب واحدة تانية..

ران عليهما الصمت قليلًا، فابتسم عادل بألم ثم قال:

- يعني سليم عمال بيحلف إنه اتظلم.. وأنت اتجوزت نور عشان تطيع أوامر بابا، ونور فاكرة إن سليم خانها ووافقت تتجوزك وأنت مبتحبهاش.. طب وافقت تتجوزك ليه؟ وإيه اللي خلاها تاخد قرار فسخ الخطوبة قبل ما تكتشف خيانة سليم!

ظل عمر ينظر إليه ولكنه لم يجيب على سؤاله لأنه يعلم الإجابة الذي كان لا يريد أن يصارح بها نفسه، فصمت عادل برهة ثم نظر إلى عمر قائلًا:

- نور بتحبك!

لم يجيبه عمر فاستدار عادل وقال بخفوت وهلع:

- يبقى بتحبك...

فصمت مرة أخرى ثم استطرد قائلًا:

- أصل أنا عارف نور كويس أوي وحافظ طبعها، استحالة تاخد قرار زي ده قبل ما تتأكد من مشاعرها.. أنت عارف ده معناه إيه؟

عقد عمر حاجبيه متسائلًا بفضول:

- معناه إيه؟

التفت عادل ونظر إليه وقال بنبرة خوف:

- معناه إنك يوم ما تقرر تسبها نور ممكن تنهار!

ظل عمر صامتًا وهو لا يعرف ماذا سيفعل وما هذا الوحل الذي أغرقه فيه عمه، ثم نظر إلى عادل وقال:

- طب والحل!

- مبقاش ليها حل خلاص.. أنا هطالب بنقل سليم من القاهرة عشان أبقى اتأكدت إنه بعد عنها تمامًا ومجرد وصول قرار نقله ساعتها أنا هتكلم معاها وهسألها إذا كانت مرتاحة معاك ولا لا، إنما قولي صحيح.. أنت بتتعامل معاها ازاي!

لم يجيبه عمر لأنه لا يعلم كيف سيخبره عن معاملته الجافة معها، وكأنه قد اشتراها من سوق الجواري. فأخبره أنه يتعامل معها مثل معاملته معها

قبل الزواج. فسأله عادل: ألا تسأله عن سبب بعده عنها؟ فأخبره أنها لا تسأله. حينها تشتت ذهن عادل وقرر أن ينصرف من فرط حيرته وضيقه. عاد إلى منزله واستقبلته زوجته بحرارة. فجلس عادل وأخبرها عما حدث، لتتفاجأ ندى في الحال. لأول مرة، كان عادل يشعر بضعفه وقلة حيلته. لا يدري ما الذي أصابه، وكان يخشى فقدان أخته أو تعرضها لصدمة عاطفية. حاولت ندى أن تهدأ من روعه، وكانت هي الأخرى حائرة. فطمأنته أن كل شيء سيسير على ما يرام. وبعد مرور فترة زمنية...

كانت ندى في أواخر حملها وعلى وشك الولادة. عاد عمر إلى عمله وأخبرهم أنه عاد من السفر للتو، وبمجرد وصوله قرر العودة إلى العمل قبل العودة إلى المنزل. كانت نور في الجريدة كعادتها، حتى إجازة نهاية الأسبوع لم تعد تأخذها. كانت تعيش مع عمر كأخت له. كان سليم في عمله، وكانت مرام تدور حوله كالأفعى، ولكنه لم يستطع نسيان نور وما فعلته به من غدر وظلم. وقد حان الوقت الذي أتى فيه قرار نقله من القاهرة إلى الإسكندرية.

حينها لم يتفاجأ لأنه كان يود ذلك. دخل عليه عادل وأخبره أنه علم بقرار نقله إلى الإسكندرية، ونصحه بألا يفعل فعلته مرة ثانية، لأن بنات الناس ليست لعبة في يديه. وحتى الآن لم يصدق عادل أن سليم ضحية في هذه المؤامرة وأنه لم يخن أخته. حينها ردّ عليه سليم بأن هذا الكلام ليس له أهمية بعد الآن، لقد حدث ما حدث وليس بيدنا أن نعيد الماضي أو نغيره.

وعلى الجانب الآخر، كان عمر في عمله. فدخلت عليه سلمى التي سألته متى سيأتي لطلبها. فأخبرها أنه سيأتي قريبًا ولكنه سيذهب بمفرده. حينها تعجبت وسألت عن عمه وعائلته ليخبرهم بأن العلاقة بينهم ليست

على ما يرام وأنه سيكون بمفرده في هذه الزيجة. وأخذ هاتف والدها وشرع في أن يحدثه ويحدد موعدًا معه.

كانت نور تعاني من جرحها ووحدتها، ومرت الأيام والشهور وهي لم تخبر أي أحد بما تشعر به وتمر به من أيام. قررت أن تذهب إليه في المقهى لتتحدث معه في هذا الموضوع. وبالفعل، عندما أنهت عملها قررت أن تذهب أولًا لشراء خواتم الزواج، وبالفعل فعلت ذلك بمصاحبة مريم التي ذكرتها بذلك. وعندما وصلت إلى المقهى ورأتها سلمى، شعرت بالغيرة والضيق. فسألت رامي عنه ليخبرها أنه في غرفته. فاقتحمت عليه الغرفة ليتفاجأ بها. حينها نهض مسرعًا واتجه نحو الباب وقام بإغلاقه، ووقف أمامها قائلًا بانفعال:

- أنتِ إيه اللي جابك هنا!

تعجبت وابتسمت باندهاش قائلة:

- هو أنت بتتكلم بجد ولا بتهزر؟

- أهزر! وأنا من امتى في بيني وبينك هزار؟

أخذت الخاتم التي اشترته له وأمسكت بيده، ثم عقد حاجبيه وقال:

- أنتِ بتعملي إيه؟

ألبسته الخاتم ووضعت يدها في وجهه لتريه خاتمها هي الأخرى، فقالت:

- مينفعش أبقى متجوزة من غير دبلة، وأنت كذلك!

خلع الخاتم وأعطاه لها وقال:

- ارجعي البيت يا نور.. وحذاري ثم حذاري تيجي هنا مكان شغلى ولا حتى مجرد زبونة عادية..

اقتربت إليه وأغمضت عينيها بنسبة ثمانين بالمائة ثم قالت:

- أنت مخبي إيه بالظبط؟ إيه مشكلتك في إني آجي مكان شغلك؟!

- مش عايز مخلوق هنا يعرف إني متجوزك..

- ولما أنت مش طايقني أوي كده.. اتجوزتني ليه!

فُتح الباب فدخلت سلمى وقالت:

- ممكن أفهم إيه اللي بيحصل هنا؟ صوتكم عالي وكده مينفعش ده مكان محترم..

قالت تلك الجملة الأخيرة وهي ترمق نور بنظراتٍ مليئة بالغضب، فقالت نور وهي تبتسم بسخرية:

- عفوًا؟ وأنتِ مين أصلًا عشان تدخلي علينا بالطريقة دي؟!

اقتربت سلمى إليها وقالت وهي ترفع حاجبيها باندهاش متسائلة:

- أنتِ اللي تبقي مين عشان تيجي وتزعقي هنا؟!

استدارت ونظرت إلى عمر وقالت:

- تحب أقولها أنا أبقى مين ولا تقول أنت؟

- نور يا آنسة سلمى.. تبقى بنت عمي.

ضحكت نور بتفاجؤ وهي تقول:

- والله؟ ده على أساس إن كل اللي بيشتغلوا عندك مش عارفين المعلومة دي؟

- اتفضلي يا نور لو سمحتي وياريت تقولي لباباكِ إني لما أهدا وأروق هكلمه.. عشان مش فاضي..

رمقته نور بنظرات تشي بالتقزز والاستنكار، فقالت:

- ماشي يا عمر.. ماشي..

وخرجت من الغرفة فاقتربت سلمى إليه وقالت بغضب:

- ممكن أفهم في إيه بالضبط؟

قال بتوتر:

- هيكون فيه إيه يعني.. واحدة مجنونة وبتحاول تصلح العلاقة بيني وبين أبوها بأي طريقة..

- أنت متأكد إن هو ده الموضوع فعلًا، وإن مفيش حاجة تانية؟

- حاجة تانية؟ حاجة تانية زي إيه يعني!

- مش عارفة يا عمر بس يكون في علمك أنا مش مرتاحة ولو في حاجة فعلًا مسيري هعرفها بس ساعتها هيكون في كلام تاني..

وخرجت من الغرفة وكان يشعر بالذنب كلما اختلى بها وتحدث معها عمومًا ولكنه كان مضطرًا فجاءه هاتف وكان عادل الذي رد عليه وأخبره:

- أيوة يا عمر.. عندي ليك خبر كويس..

- الحقني بيه بالله عليك..

- سليم خلاص هيمشي.

- هيتنقل خلاص؟

- أيوة المفروض يبقى هناك بكرة الصبح..

- يعني كده أقدر أصارح نور بكل حاجة وأنا مرتاح؟

- تقدر تصارحها بس ياريت براحة عليها عشان الصدمة مش هتكون هينة..

- متقلقش، أنا بس عايز أخلص من الموضوع ده عشان عايز أتقدم لسلمى..

- ربنا يستر.. يلا سلام.

غلق معه وسرعان ما شرد، ولم تمر غضون دقائق إلا وقد شعر بصداع كعادته، وقد تحول في الحال إلى شخصية كريم. دخل الحمام وغسل وجهه بالماء، ونظر إلى المرآة ولاحت عليه تلك الابتسامة المرعبة التي توحي بارتكاب جريمة جديدة. خرج من المقهى دون أن يدري به أحد، واتجه إلى "الجراج" الذي يركن فيه سيارته الغامضة والتي كان يحمل فيها أسلحته. فركب وانصرف بأقصى سرعة.

كانت نور تسير ذهابًا وإيابًا في الصالون، وهي تنظر إلى ساعتها لتجدها الثانية بعد منتصف الليل. وكانت تسأل نفسها دومًا: ماذا يفعل عمر في الخارج ولماذا يأتي متأخرًا؟ حتى سمعت قرآن الفجر فجلست في الشرفة وهي تنظر إلى السماء ودموعها تنزل من عينيها كالأمطار. حتى رأته يدخل

إلى العمارة، فذهبت ووقفت عند الباب. وعندما فتح، شعر بالذعر حينما رآها تقف أمام وجهه، فصاح قائلًا:

- أنتِ لسه صاحية لحد دلوقتي!

- أيوة.. ومش عارفة أنام، لازم نتكلم.

- الصبح يا نور إن شاء الله نبقى نتكلم.. روحي نامي.

فمضى من أمامها فمضت ورائه وأمسكت به وأوقفته فاستدار وهو ينفخ في الهواء ثم قالت:

- احنا بقينا الصبح يا أستاذ عمر.. وأنا لو كنت عرفت أنام كان زماني نمت من بدري، بس من ساعة ما مشيت من الكافيه ورجعت البيت وأنا مش قادرة أجاوب على الأسئلة اللي في دماغي..

رد عليها ببرود واستنكار قائلًا وهو يضع يدًا على الأخرى بلهجة اعتراض:

- وإيه هي الأسئلة اللي في دماغك؟

اقتربت إليه ونظرت له بعيونٍ دامعة لتقول بخفوت:

- أنت اتجوزتني ليه؟

(10)

"ضحيّة"

نفخ في الهواء ثم زفر قائلًا:

- بقولك إيه أنا مش فايق للهبل بتاعك ده..

كاد أن يتحرك ولكنها أمسكت بذراعه فوقف أمامها، ثم قالت وهي تحرّك سبابتها في الهواء:

- مش هسمحلك تهرب.. ومش هتتحرك لـ أي مكان قبل ما تجاوب على كل أسئلتي..

ضحك بصوتٍ عالٍ وقال بنبرة ساخرة:

- هتعملي إيه يعني؟

- هروح الكافيه وهقول لكل الموجودين على تصرفاتك، وهفضحك قدامهم يا مديرهم..

اختفت ابتسامته وقد بدا عليه التوتر، فقال بتلعثم:

- أنتِ عايزة إيه؟

حدّقت في عينيه وقالت:

- عايزة أعرف إيه معنى تصرفاتك دي، هل ده تمثيل ولا بجد؟ طب لو تمثيل أحب أقولك إن أدائك رائع وياريت توقّف لحد كده، ولو بجد فـَ ليه؟

- لا يا نور.. أنا مبمثلش.

- يعني أسلوبك معايا ده بجد.. طب ليه، إيه السبب؟

- من غير أسباب، ده طبعي ومش هيتغير عاجبك على كده عاجبك.. مش عاجبك....

قاطعته وقالت بخفوت:

- كل واحد يروح لحاله صح؟

- ده اللي عندي..

نزلت دموعها وقالت:

- طب ليه.. أنا عملتلك إيه عشان تعمل فيا كده.. أنا وافقت عليك بدون تفكير وكنت فرحانة فرحة مش طبيعية لحد ما اكتشفت إنها كانت لحظة عابرة، مكنتش متخيلة إني هعاني معاك بالشكل ده..

- عشان مغفلة..

نظرت إليه والدموع تنهمر من عينيها، فابتسمت بألم وقالت:

- أنا فعلًا مغفلة.. بس أنت برضو مجاوبتش على سؤالي.. احنا متجوزين بقالنا شهور وعايشين مع بعض زي الاخوات، طالما حياتنا هتبقى كده اتجوزتني ليه يا عمر؟

بقي عمر ينظر إلى نور، وتملّكته الحيرة حين رأى صدمتها الصامتة، وقد غابت عن عينيها الحياة للحظات. ظل منتظرًا، متسائلًا عمّا يدور في ذهنها، فيما كانت هي مستغرقة في صدمة الخبر الذي ألقاه عادل. لم تملك أيّ ردة فعل، فقط برزت علامات الذهول على وجهها، وعينيها التائهتين، وكأنها لم تستوعب ما سمعته للتو.

حاول عمر، وقد شعر بالقلق، أن يقترب منها ببطء، وسألها مرة أخرى بصوت منخفض، مشيرًا إلى الهاتف: "ما الأمر؟". لكن نور لم تستطع إخراج الكلمات، وكأن عقلها يرفض تصديق ما قيل لها، وكانت تائهة، تكاد لا تميز وجوده بقربها.

فجأةً، أفاقت من شرودها، ثم نظرت إلى عمر كأنها تبحث عن شيء ما في وجهه، شيءٌ قد يمنحها تفسيرًا لما يحدث.

***

وصف المحقق الجريمة قائلاً: "جريمة قتل وقعت بعمارة الصفا، في شقة رقم 10، ومالكها النقيب سليم نور الدين، الذي قُتل بسلاح أبيض لم يُحدد نوعه بعد. كما يظهر أن الشقة قد تعرضت للسرقة، مع وجود آثار لتحطم الأثاث وبعض الكؤوس." كان عادل في موقع الجريمة، يحاول جاهدًا التماسك وإخفاء حزنه العميق، مركزًا على واجبه. لم يكن في العمارة حارس، بل كان أحد الجيران هو من قدّم البلاغ بعد سماعه صرخات سليم، فسأله عادل:

- عايز أعرف إيه اللي حصل بالضبط؟

- والله يا فندم أنا مكنتش سامع أي صوت لحد ما سمعت صوت سيادة النقيب وهو بيصرخ وبيطلب النجدة، الباب كان مقفول حاولت أكسره لحد ما اتكسر فعلًا.. ساعتها دخلت لقيت البيت مقلوب وسيادة النقيب مرمي في الأرض سايح في دمه.

- أنت مشوفتش اللي دخل واللي خرج؟

- لا يا فندم للأسف.. حتى مسمعتش أي حاجة قبل اللي قولت لسيادتك عليه..

- العمارة هنا فيها كاميرات؟

- مع الأسف لا..

- على العموم دي مجرد إفادة مؤقتة، هنحتاجك في مركز الأمن ياريت متروحش أي حتة.

- متقلقش يا سعادة الباشا، أنا موجود لحد ما حق سيادة النقيب يجي وحسبي الله ونعم الوكيل في اللي عمل فيه كده..

تحرك ذاك الشخص واقترب حسن من عادل ليسأله:

- تفتكر ده له علاقة بالجريمتين اللي فاتوا؟

- مش عارف.. ونفترض إنه هو نفس القاتل، هيبقى نفس الوضع.

- الفترة الأخيرة مكنش في أي حد قريب من سليم؟

صمت عادل لبرهة، مستجمعًا أفكاره، وتذكر مرام، خطيبة سليم السابقة. أخبر حسن بذلك وطلب منه إبلاغ عائلتها فورًا لاستجوابهم

والحصول على جميع المعلومات الممكنة عن مرام وعائلتها. بعد مرور يومين، صدر تقرير الطب الشرعي الذي أكد أن سليم قُتل بسكين وتلقى 27 طعنة، مع وجود خدوش على جسده تشير إلى محاولته الدفاع عن نفسه. طلب عادل عينة من الخدوش، وجمعت الجهات المختصة جميع البصمات من موقع الجريمة، وبدأت تعمل بجد للوصول إلى أي دليل.

في المستشفى، كانت عائلة سليم في حالة انهيار أمام المشرحة، يبكون فقدان ابنهم الوحيد الذي وعدهم بأنه سيأتي إليهم في الصباح. أما نور، فقد كانت في منزل والدها، تشعر بالحزن العميق تجاه فراق سليم، وتغمرها مشاعر الذنب لأنها شعرت أنها ظلمته عندما تركته دون أن تمنحه فرصة للدفاع عن نفسه. كان الندم يلاحقها، فيما كان جمال غارقًا في حزنه هو الآخر، يتساءل بحسرة عن سبب هذا المصير المأساوي لسليم، وعن هوية الجاني ودوافعه.

كانت نور تشعر أن جريمة سليم قد تكون مرتبطة بجرائم سابقة، وقررت البدء بتحقيق صحفي مع جيران العمارة. فجأة تذكرت مرام، فنهضت من مكانها شاردة:

- مرام.. مرام هي اللي ممكن يكون ليها يد في الموضوع..

تعجب والدها وقال:

- مين مرام دي يا بنتي؟

- مرام خطيبة سليم الأولى.. مش بعيد تكون هي اللي قتلته..

- هتقتله ازاي وهي كانت بتحبه ونفسها تتجوزه!

- مش عارفة.. بس قلبي بيقولي إنها ليها يد، أنا لازم أروح لعادل وأقوله..

- طب استني أنا هاجي معاكِ..

- يلا بينا..

وصلوا إلى مركز الأمن، وفي ذلك الوقت كان عادل في المشرحة يواسي عائلة سليم الذين كانوا في حالة يرثى لها. شعر عادل بثقل اللحظة، لكنه اقترب من والد سليم، وطلب منه التحدث قليلاً، معتذرًا بأن الوقت قد لا يكون مناسبًا، لكنه بحاجة لإفادته، فقد تساهم في كشف الجاني. وافق الأب بصعوبة وذهب مع عادل، وجلس بجواره، مستعدًا للإجابة عن أسئلته بقدر ما يسمح له حزنه

- مرام يا عم نور.. مرام خطيبة سليم الأولى..

عقد نور الدين حاجبيه وتذكرها، ثم قال:

- أيوة أيوة افتكرتها، مالها يابني؟

- مرام بنسبة كبيرة مشتبه فيها، حضرتك كنت عارف اللي حصل الفترة اللي فاتت أو سبب فسخ خطوبته بنور؟

تفاجأ نور الدين وقال:

- هو سليم فسخ خطوبته!

وضع عادل يديه على وجهه من فرط صدمته بأن عائلة سليم لا تعلم بشأن فسخ الخطبة، فقال:

- للأسف خطوبتهم اتفسخت من شهور، وحصلت مشاكل كتيرة جدًا وسببها خطيبته الأولى..

- ليه يابني، هو إيه اللي حصل؟

- مرام ظهرت في حياة سليم مرة تانية، وللأسف فضلت تلف وتدور حواليه لحد ما نور اكتشفت ده، صممت ساعتها إنه بيخونها وقررت إنها تفسخ الخطوبة..

- أنا مش قادر أصدق اللي أنت بتقوله، سليم طول عمره ملتزم وماشي جنب الحيط ويوم ما قرر ينفصل عن مرام انفصل عنها بالمعروف، وبعدين هو ازاي قدر يخبي علينا حاجة زي دي طول المدة اللي فاتت!

- يمكن مكنش حابب يزعلكم.. عمومًا احنا محتاجين تليفون مرام وعنوانها عشان تليفون سليم ملقناهوش في موقع الجريمة..

- أنا أعرف عنوانها، هكتبه لحضرتك.

***

وصلت نور ووالدها إلى مركز الأمن، وجلسا في مكتب عادل في انتظاره ليخبراه بمعلومة كان على علم بها دون علمهما. شعرت نور بحزنٍ عميق كلما تذكرت أنها ربما ظلمته، خاصةً أنها لم تمنحه فرصة الدفاع عن نفسه. تساءلت في نفسها عما فعله ليواجه هذه النهاية، ومن الذي يمكن أن يرتكب ذلك.

أصدرت النيابة أمرًا بالقبض على مرام وتفتيش منزلها. وبالفعل، تم إلقاء القبض عليها، وهي لا تستوعب ما يحدث. خلال تفتيش شقة سليم، عثر المحققون على كيس بلاستيكي صغير يحتوي على مخدرات، فاحتفظوا به كدليل واستمروا في البحث عن أي خيط آخر.

وصل عادل إلى مكتبه ليجد والده ونور في انتظاره، فطلب منهما المغادرة نظرًا لكثرة العمل. سارعت نور بإخباره عن مرام، فأخبرها بأنه تم القبض عليها للاشتباه. شعرت نور ووالدها بالراحة وغادرا المكان.

بعد وقت قصير، كانت مرام في مكتب عادل، تقف أمامه برأس منخفض ويداها مكبلتان.

- قوليلي يا مرام.. هل ليكِ أي علاقة باللي حصل لسليم؟

- لا يا فندم.. أنا مجرد ما سمعت الخبر اتصدمت ومكنتش مصدقة.

- ازاي بقى.. اللي أعرفه إنك كنتِ عمالة بتلفي حواليه زي المدمنين لحد قريب!

- دي حقيقة فعلًا، بس أنا معنديش أي معلومة عن اللي حصله..

كانت مرام تجلس في حالة من الحزن العميق، لم تتمكن من السيطرة على مشاعرها وانهارت بالبكاء. طلب عادل من أمين الشرطة أن يتركها لتجلس، وحاول تهدئتها بينما بدأت تروي له قصتها. تحدثت عن حبها الكبير لسليم، وكيف كان متبادلًا بينهما، حتى أن سليم تقدم لخطبتها بعد ترقيته لملازم أول بسنتين، وأحبها بصدق، لكن ظروف عمله وتفضيله للبقاء في الإسكندرية بجانب عائلته أثرت على علاقتهما. رفض سليم استغلال الوساطة لنقله إلى القاهرة، حيث فضّل الالتزام بعمله،

بينما كانت مرام تفضل البقاء بجانب عائلتها، مما أدى إلى انفصالهما بعد جدال طويل.

اعترفت مرام أيضًا بأنها لم تخطط لخيانة نور، بل كانت قد ذهبت إلى سليم في محاولة لإقناعه بالعودة إليها، ولم تكن تتوقع حضور نور حينها. استغلت الصدفة، ولم تدافع عن سليم، بل تركت الأمور تسير كما حدثت، على أمل أن تتركه نور، وهذا ما حدث بالفعل. ومع معرفتها بزواج نور من آخر، استعادتها الأمل في العودة إليه.

شعر عادل بالندم لعدم تصديقه سليم في السابق، حيث تذكر صدقه وإخلاصه، وكيف كان سليم قد نصحه بالحفاظ على حياته الزوجية. لكن الآن، عادل يشك أن مرام ربما تخفي شيئًا آخر، وقرر احتجازها على ذمة التحقيق لحين عرضها على النيابة العامة.

عاد بذاكرته إلى الوراء، مستعيدًا اللحظات التي قضاها مع سليم، حيث لم يرَ منه سوى النقاء والوفاء. كان سليم في نظره رجلًا صادقًا، لكنه أدرك أن ما حدث معه لم يكن إلا نتيجة للغدر، سواء من عائلته أو ممن أحب.

***

كان كريم مستلقيًا على الأريكة في منزله، يفكر فيما حدث لسليم، وكانت مشاعر الغضب والضيق تسيطر عليه. حاول أن يتمالك أعصابه لكي لا تلاحظ نور شيئًا غير طبيعي فيه. كان يشعر برغبة شديدة في أن يبعد عمر عنها وعن سلمى، لكنه لم يستطع حتى الآن السيطرة على تصرفاته أو

شخصيته. كان يحدث نفسه دومًا أن الوقت قد اقترب للقيام بذلك، لكنه ما زال في حيرة.

ذهب كريم إلى النوم، وفي تلك الأثناء دخلت نور إلى الغرفة، ورأت كريم نائمًا بهدوء على سريره، فابتسمت لرؤيته بهذا الشكل. وعندما رفعت الغطاء لكي تضعه عليه، استفاق كريم فجأة وفتح عينيه ليجد نفسه في الغرفة. نهض على الفور، مما جعل نور تشعر بالهلع، فسألها عن كيفية وصوله إلى هنا ومتى حدث ذلك. فترد عليه نور قائلة:

- أنا عند بابا من الصبح يا عمر، أنت مروحتش الشغل؟

ظل صامتًا لا يدري ماذا به وكان يتذكر متى ذهب إلى النوم ليسألها:

- هي الساعة كام دلوقتي؟

- الساعة ١١..

- طب يا دوب ألحق أروح الشغل ده أنا كمان اتأخرت أوي..

- تروح فين يا عمر بالليل كده!

تفاجأ عمر ونظر إليها بعينين واسعتين من فرط صدمته ليسألها:

- بالليل!

عقدت حاجبيها وقالت بتعجب:

- أيوة!

نهض وفتح الشرفة لينظر بصدمة متفاجئًا فأمسك برأسه بعد أن أصابه الشعور بالدوار فكاد أن يسقط ولكنها أسندته وطلبت منه أن يجلس، فقالت بخوف:

- أنت كويس!

كان يضع يده على رأسه فسألها قائلًا:

- هو إيه اللي حصل، أنا مش فاكر أي حاجة من امبارح!

تفاجئت نور وقالت:

- ازاي مش فاكر!

- آخر حاجة فاكرها إني شوفتك في الكافيه وبعد ما مشيتِ كملت شغل عادي، خرجت بعدها من الكافيه وكنت جاي على البيت، مش فاكر إيه اللي حصل بعد كده!

شعرت نور بالقلق وقالت:

- عمر.. أنت خرجت من الشغل الساعة كام؟

- كانت ١٢ - ١٢ ونص تقريبًا..

ابتسمت بألم وقالت:

- أنت جاي هنا بعد الساعة ٥ الصبح يا عمر..

رد عليها بصدمة قائلًا:

- إيه!

- ده غير إني كنت بتكلم معاك ومكملناش كلامنا بسبب إن جالي تليفون من عادل..

ظل ينظر إليها بفضول ويصغي إليها جيدًا فاستطردت قائلة:

- بيقولي فيها إنهم لقوا جثة سليم قبل ما يسيب القاهرة ويسافر..

نفس نظرة الصدمة لم تتغير ليقول:

- يعني إيه؟ سليم اتقتل!

لم تكن نور تهتم بما حدث لسليم بقدر ما كانت تهتم بما يحدث لعمر، لأنه كان معها بالفعل عندما تلقت خبر قتل سليم. كانت تشعر بالحيرة ولا تعرف ماذا يحدث له. اقتربت منه ووضعَت يدها على وجهه لتطمئنه، لكن عمر ابتعد عنها فجأة وقال:

- مش هسمحلك تستغلي ضعفي..

نزّلت يدها ونهضت واقفة لتقول:

- أستغل ضعفك! أستغل ضعفك يعني إيه؟

نهض هو الآخر ووقف أمامها ليقول بنبرة حادة:

- احتمال يكون عندي فقدان ذاكرة مؤقت لأن مش أول مرة تحصل معايا الحكاية دي، وهروح لدكتور بإذن الله وهعالجها، فمش معنى كده تستغلي تعبي لصالحك.. مفيش أي حاجة بينا هتتغير يا نور وياريت تحطي الكلام ده في عقلك كويس أوي..

خرج من الغرفة وكانت واقفة واثبة في مكانها تتنفس بسرعة كبيرة من فرط ضيقها وحزنها فخرجت وراءه وأمسكت بذراعه لتوقفه بغضب قائلة:

- بما إنك مش فاكر الكلام اللي اتكلمته معاك الصبح فأحب أكرره تاني وأسألك نفس السؤال اللي أنت مجاوبتش عليه..

عقد حاجبيه باستغراب وقال:

- سؤال إيه؟

- أنت اتجوزتني ليه! هاه.. اتجوزتني ليه طالما هتعذبني كده!

- وأنتِ وافقتي ليه طالما أنتِ شايفة إن حياتك معايا عذاب!

ضحكت بألم وقالت:

- عشان أنا مغفلة.. كنت فاكرة إنك.....

فصمتت ونزلت دموعها فاقتربت إليه وقالت بخفوت وهي في شدة ضعفها أمامه لتسأله:

- أنت بتحبني ولا لا؟

ظل صامتًا لا يعلم بماذا سيجيبها، فقالت بألم:

- رد عليا يا عمر..

مسحت دموعها لتسأله مرة أخرى قائلة:

- بتحبني ولا لا؟

- لا..

في تلك اللحظة، تحطم قلبها بوضوح، شعرت وكأنها سمعت صوت حطامه يرن في أذنيها، بينما كانت تراقب انصرافه، وقد استدار ليوليها ظهره. كانت عيناها مفتوحتين من شدة الصدمة، ودموعها تتساقط بغزارة وكأنها سيول لا تتوقف. قرر أن يخرج، وأن لا يعود حتى تنام.

جلست وحدها في الغرفة، تبكي بحرقة، وكأن قلبها قد تمزق. كان يردد في ذهنها: إذا لم يكن يحبها، فكيف تزوج بها إذًا؟ كانت بحاجة لمعرفة إجابة هذا السؤال بأسرع وقت.

بعد أن اشتد عليها البكاء، غفت أخيرًا. وعندما عاد عمر إلى المنزل، اقترب من الغرفة لكنه توقف للحظة، ثم عاد ليدخلها. وجد نور نائمة في مكانها، وكانت دموعها ما زالت تسيل من عينيها حتى في نومها. شعر بضيق شديد واختناق، وقلبه امتلأ بالشفقة على حالها. خرج من الغرفة وهو حزين، لائمًا نفسه لأنه أخبرها بتلك الطريقة، وكأنّه تعمد إيذاء مشاعرها دون مبرر، وكأنّه كان ينتقم منها رغم أنها لم تفعل شيئًا.

توجه إلى الشرفة، واتصل برامي ليحدثه عن كل ما حدث، لأنه كان يعلم أن عادل مشغول. وبعد أن سمع رامي القصة، وبخ عمر بشدة، غاضبًا من تصرفه، قائلاً:

- أنت ازاي بالقسوة دي يا عمر! هانت عليك ازاي تكسر قلبها بالشكل ده؟

- مش عارف يا رامي مش عارف، أنا قولت ملفّش وأدور وأجاوبها على سؤالها عشان تفقد الأمل فيا..

- الكلام ده لو واحدة زميلتك في الجامعة ولا معاك في الشغل جت اعترفتلك بحبها وأنت رفضتها لأيًا كان السبب، لكن دي يا حبيبي مراتك، أنت مستوعب إنها مراتك؟

- أنا مش معترف بالحكاية دي ومن أول لحظة.. ومش عارف إيه اللي خلاني أطاوع عمي وأسمع كلامه وأتجوز واحدة مستحيل كنت أفكر فيها في يوم من الأيام..

- مع إني كنت فاكر إنك معجب بيها في البداية..

- تفكيرك غلط.. أنا من ساعة ما اشتغلت في الكافيه وأنا مكنش في أي حاجة في دماغي غير إني أدور على عمي.

- طب وأنت ناوي تعمل إيه دلوقتي؟

- لازم أعترفلها بالحقيقة.. كده كده خلاص اللي كان عمي خايف منه مبقاش موجود.

- مش فاهم!

- الل كان خطيب نور، النقيب سليم اتقتل امبارح..

- نعم! أنت بتهزر ولا إيه؟

- للأسف هي دي الحقيقة، اللي عرفته إن خدمته هتبقى ف اسكندرية وكان خلاص محضّر نفسه عشان يسافر، بس مش فاهم إيه اللي حصل بعد كده..

- يا نهار أبيض.. مين ده اللي اتجرأ وعمل كده؟!

- مش عارف، مسير الحقيقة تبان.. المهم أنا محتاج أروح لدكتور مخ وأعصاب قبل ما آخد أي خطوة..

- مخ وأعصاب! ده ليه؟!

- الظاهر كده إنه بيجيلي فقدان ذاكرة مؤقت، لازم أكشف وأشوف أنا عندي إيه بالضبط.

قص عليه عمر ما حدث له اليوم وتذكر أيضًا عندما اتهمته نور أنه يقوم بالتدخين، فقال رامي:

- طب الحق نفسك بقى عشان لقدر الله لو في حاجة تلحقها من بدايتها كده..

- بكرة الصبح إن شاء الله لازم أروح..

- متقلقش على الكافيه.. الدنيا تمام.

- كده كده أنا مطمن طول ما سلمى فيه.

- بتسأل عليك دايمًا على فكرة شوفلك حل بقى، ونصيحة من أخوك، لو هتاخد خطوة وتتقدملها لازم الأول تصارحها بحقيقة جوازك من نور..

- متقلقش.. هعمل كده، أنا هروح أنام بقى عشان هصحى بدري، تصبح على خير..

في صباح اليوم التالي، استعد عمر للخروج. استيقظت نور وعندما رأته لم تنطق بكلمة واحدة، بل توجهت مباشرة إلى المطبخ لتحضير كوب

كبير من القهوة. خرجت وجلست في الشرفة، وعندما دخل عمر، اقترب منها وقال:

- هتشربي كل القهوة دي على الريق كده؟

رفعت عينيها ونظرت إليه وقالت وهي تبتسم بسخرية:

- خايف عليا؟

- مجرّد نصيحة، أنتِ مش صغيرة وأكيد عارفة نتيجة كل تصرّف.

- بالضبط.. ممكن بقى متركزش معايا؟

مضى من أمامها فتركت القهوة وخرجت وراءه ثم قالت:

- استنى قبل ما تخرج..

استدار وكان يصغي إليها فتنهدت وقالت:

- لما سألتك امبارح السؤال ده وأنت جاوبت بـ لا.. أكيد الإجابة دي مكانتش من فراغ..

- يعني إيه مش فاهم..

اقتربت إليه وقالت:

- يعني في سبب قوي خلاك تتجوزني.. أصل مش معقول تيجي لحد عندي وتطلب مني الجواز وأنت مش بتحبني وهتعيش معايا زي أخويا من غير ما يكون عندك هدف.. ممكن أعرف إيه كان هدفك من الجوازة دي؟

- أوعدك إننا هنتكلم بس لازم ألحق دلوقتي ميعاد الدكتور..

أومأت نور برأسها ومضت من أمامه، ففتح عمر الباب وخرج. عادت نور إلى غرفتها وقررت ألا تذهب إلى العمل اليوم، بل أن تقضي يومها في المنزل. لم تكن قد قررت بعد ماذا ستفعل مع عمر؛ هل ستنفصل عنه أم ستستمر في حياتها مع رجل لا يظهر لها أي اهتمام؟ وهل ستقص على عائلتها كل ما حدث منذ زواجها، أم ستظل صامتة؟ شعرت وكأن رأسها كاد ينفجر من كثرة الحيرة والتفكير. قررت أن تقضي يومًا هادئًا بعيدًا عن التفكير، فتناولت إفطارها وجلست أمام التلفاز.

حتى جاء المساء، كانت جالسة في هدوء تام تمسك بكوب "نسكافيه" وتشاهد أحد الأفلام. دخل عمر ليجدها جالسة على هذا الحال، فبادرها بالسلام، فبادلته الابتسامة وردّت عليه بهدوء ورقة. كان يظن أنه عندما يعود لن يجدها في المنزل، لكن العكس هو ما حدث. جلس معها فلاحظت نظرته المتعجبة، فأمسك بجهاز التحكم عن بُعد "الريموت"، خفض الصوت وسألته:

- عملت إيه عند الدكتور؟

- للأسف أخدت ميعاد غلط، مكنش موجود النهاردة فروحت الشغل ولسه مخلص من شوية.

- أنت كويس ولّا في أعراض جديدة ظهرت عليك؟

- لحد دلوقتي أنا كويس بس خايف الموضوع يزيد أكتر من كده.

وضعت يدها على يده وابتسمت قائلة:

- متقلقش.. هتتخطى كل حاجة وإن شاء الله مش هتطلع حاجة خطيرة..

شعر بتوتر وأومأ برأسه وهو يبتسم رغمًا عنه فسحبت يدها وسألته:

- أنت اتعشيت ولا لا؟

- بصراحة لا..

- تبقى جعان.. أنا هقوم أحضّر عشا عشان أنا بصراحة لا اتغديت ولا اتعشيت..

فمضت نور قبل أن تسمع منه أي اعتراض، وابتسمت وهي تتجه نحو المطبخ. ابتسم هو الآخر، فقد كان يرى الطيبة في عينيها. ثم ذهب لاستبدال ملابسه.

بعد مرور نصف ساعة، وضعت نور الطعام على المائدة فنادت عليه، فأتى وجلس معها. بدأ يأكل بشراهة، بينما كانت هي تراقبه بابتسامة حنونة، ثم قالت:

- أنت مش بتاكل كويس ولا بتنام كويس، ياريت تحافظ على صحتك..

ضحك وقال:

- أنا مستغرب بصراحة..

عقدت حاجبيها وقالت بتعجب:

- مستغرب من إيه؟

- مكنتش أعرف إنك بتعرفي تطبخي.. كنت فاكرك عايشة عيشة الملوك.

ضحكت وقالت ببراءة:

- لا أنا بعرف أعمل كل حاجة ماما ربنا يديها الصحة علمتني أنا وملك، ده حتى عادل بيعرف يطبخ..

تفاجأ عمر وقال بذهول:

- سيادة الرائد! هو عنده وقت؟

- لما بيكون عنده وقت بيدخل المطبخ وبيبدع بمعنى الكلمة، المهم الأكل عجبك؟

- آه طبعًا تسلم إيدك..

ابتسمت بسعادة، فنهض عمر وسألها إذا كان يريد شرب القهوة. طلب منها ذلك، فذهبت وأحضرتها بكل حب، ثم خرجت وأعطته إياها. كان يجلس في الشرفة شاردًا، فجلست معه وطمأنته أن كل شيء سيسير على ما يرام.

ران عليهما الصمت لفترة، ثم سألها عمر عن سبب فسخ خطبتها من سليم. اختفت ابتسامتها فجأة، وأخذت تترك فنجان القهوة على الطاولة، وقالت:

- خايفة أصارحك تجرحني..

نظر إلى الأسفل وقال:

- أنا فهمت خلاص.

- مش بس اللي أنت فهمته، أنا مكنش عندي أي نية لفسخ الخطوبة لحد...

فصمتت ثم أكمل بدلًا منها قائلًا:

- كنتِ بتحبيه؟

نظرت في عينيه وقالت:

- لو كنت بحبه مكنتش فسخت الخطوبة واخترتك أنت.

صمت برهة ليفكر قليلًا ثم قال:

- فجأة كده؟

- فجأة إيه؟

- فجأة اكتشفتِ ده؟!

- أيوة..

- ازاي بقى!

- شوفتك في منامي.

ازدرد ريقه فتوتر قائلًا:

- شوفتِ إيه في منامك؟!

- حلمت إننا بنتجوز..

ضحك بشدة فتعجبت من فرط ضحكه ثم قالت:

- أنت بتضحك على إيه؟

- ممكن تحكيلي تفاصيل الحلم؟

"قد حان وقت زفاف سليم ونور، وقد ارتدت أجمل فستان أبيض واستعدت للخروج. كانت في حديقة منزلها التي زُينت بإبداع ورقّة. كان سليم ينتظرها في نهاية الحديقة، وكانت تذهب إليه وهي تمسك بيدها باقة الزهور البيضاء. حتى وصلت إليه، ولكنه كان واقفًا يضع ظهره أمامها. وضعت يدها على كتفه، وعندما استدار، تلاشت ابتسامتها شيئًا فشيء، لتتفاجأ أنه عمر وليس سليم. ابتسم لها وأخبرها أنه قد رأى هذا اليوم في حلمه من قبل، وكان ينتظر أن يتحقق. فابتسمت هي الأخرى، واعترفت له بحبها المتوهج في قلبها منذ أن رأته. أخذها من يدها وذهبا إلى ساحة الاحتفال."

اختفت ابتسامته لأن حلمها كان يشبه حلمه كثيرًا، ولكنه لم يقل لها أنه رأى ذلك هو الآخر. بدأ يفكر في معنى ذلك، في معنى أنهما يريان نفس الحلم ويتحقق بهذه السرعة! تنهدت نور واقتربت برأسها إليه، وسألته قائلة:

- أنت كويس؟

- أنا كويس.. كملي كلامك.

- فكرت وقتها إنه مجرد حلم وأثره هيروح لما أنام وأصحى تاني بس الحقيقة إن ده محصلش، اللي حصل إن شعوري زاد لدرجة إني كنت حاسة إني لازم أفسخ خطوبتي في اللحظة دي وآجي أعترفلك بكل حاجة..

- كنتِ هتقلي من نظري لو كنتي عملتي كده..

تغيّرت ملامحها فنهض وعاد إلى الداخل، فدخلت ورائه ونادت عليه فوقف ثم قالت:

- أنت قولتلي الصبح إنك هتقولّي الحقيقة..

- حقيقة إيه؟

- سبب جوازك مني يا عمر..

ظلّ صامتًا وكاد أن يتحدّث ولكن قاطعه جرس الباب فتعجبا هما الاثنين لتقول:

- مين ده اللي جاي دلوقتي!

- مش عارف..

فذهب وفتح الباب ليتفاجأ بعادل ومعه قوّة ليسأله عمر في الحال:

- هو في إيه؟!

قيّد عادل يديه بالأساور وقال:

- أنت مطلوب القبض عليك يا عمر..

جاءت نور مسرعة وهي تشعر بالهلع، فقالت بذعر:

- إيه ده في إيه.. في إيه يا عادل أنت واخد عمر ورايح بيه على فين؟!

- عمر مشتبه فيه ومتهم بقتل النقيب سليم نور الدين.

(11)

"تحدٍّ"

شعرت نور بصدمة شديدة جعلتها تضع يدها على رأسها، ثم فقدت وعيها فجأة وسقطت مغشيًا عليها. تفاجأ عمر بهذا المشهد وصمت في مكانه، بينما طلب عادل من مساعديه أن يأخذوه إلى السيارة. دخل عادل ليطمئن على أخته، لكنه اكتشف أنها لم تستفق بعد، فطلب الإسعاف على الفور واتصل بعائلته ليأخذوها.

بعد مرور بعض الوقت، وصل عمر إلى مركز الشرطة حيث كان جالسًا على أحد المقاعد أمام مكتب عادل. كان مقيدًا، وأمامه أمين الشرطة الذي يراقب تحركاته. لم يكن قادرًا على استيعاب ما يحدث، وكان ينتظر وصول عادل بفارغ الصبر. وعندما وصل، نهض عمر على الفور. طلب عادل من أمين الشرطة أن يدخله، ولكن عند دخوله لم يطلب عادل منه أن يجلس، وكأن التهمة قد ثُبتت عليه بالفعل دون أن يسمع منه. نظر إليه عمر وقال:

- أنا مش فاهم حاجة.. إيه اللي بيحصل يا عادل!

نظر عادل إليه وقال بنبرة حادة معترضًا:

- الرائد عادل..

شحب وجه عمر ليومأ برأسه ويقول:

- تمام يا سيادة الرائد، ممكن أفهم أنا عملت إيه بالضبط عشان تجبوني هنا!

وقف عادل وقال بغضب:

- أنت هتستعبط! يعني أنت مش عارف الجريمة اللي أنت ارتكبتها؟!

رد عمر بانفعال قائلًا:

- جريمة إيه! جريمة إيه اللي أنا ارتكبتها.. إيه اللي أنت بتقوله ده!

- لسه مصمم تنكر.. على العموم أنت هتترمي في الحجز لحد ما تتعرض بكرة على النيابة وساعتها بقى ابقى صمم على نكرانك بالشكل ده.. خده يا أمين.

لم يتمكن عمر من نطق أي كلمة، وظل صامتًا أمام الموقف الذي كان يعيشه. وفي هذه الأثناء، وصل والده بعدما أوصل نور إلى المستشفى وتأكد من حالتها. دخل على عادل في مكتبه وقال:

- في إيه يابني، أنا ملحقتش أفهم حاجة بسبب إني اتلهيت مع نور.. فهمني عمر عمل إيه؟

نزلت دموع عادل لأول مرة وهو يقول بخفوت:

- عمر هو اللي قتل سليم يا بابا..

رد جمال بصدمة كبيرة قائلًا:

- إيه!

- للأسف أثناء الفحص لقوا محفظة عمر في شقة سليم وعليها بصماته..

- أنا مش قادر أصدق! مش قادر أصدق..

- سليم كان صاحبي ولحد دلوقتي متعاملتش بمشاعري عشان أقدر أواصل شغلي، بس مش قادر أكتم جوايا أكتر من كده.

- اهدا يا ابني مش كده..

- لو النيابة أثبتت إن عمر هو اللي قتله مع إن مفيش حاجة تثبت عكس كده، أنا مستحيل أقف جنبه مستحيل..

- أنا لازم أوكّله محامي..

نهض عادل واقفًا ينظر إلى والده بصدمه قائلًا:

- هتوكل محامي لعمر! عايز تجيب محامي يدافع عن قاتل!

- أنت خلاص حكمت عليه إنه هو اللي قتله! مفكرتش لحظة إيه اللي ممكن يخليه يقتله؟!

- حضرتك عندك تفسير تاني لموضوع المحفظة؟

- مش لما نشوف الأول هيقول إيه في التحقيق، هيتعرض على النيابة امتى؟

- بكرة الصبح إن شاء الله..

نهض جمال واقفًا ثم قال وهو يغلق أحد أزرار سترته:

- الصبح هيكون المحامي سبقه على هناك.. وياريت تقعد مع نفسك وتفكر بالعقل، مش جايز يكون راح لسليم قبل الحادثة!

أخذ عادل يفكر قليلًا وتذكر علاقة عمر بنور وأنه لا يبادلها نفس الحب وكان ينتظر سفر سليم لينفصل عنها، فنظر إلى والده وقال:

- اعمل اللي يريح حضرتك يا بابا..

- هتطلع ظالمه زي ما كلنا ظلمنا سليم، بس ساعتها هيكون فات الأوان ومتنتظرش منه إنه يسامحك.

فخرج من المكتب وعاد إلى المستشفى وبعد مرور فترة زمنية قصيرة وصل عادل هو الآخر ودخل على نور ليطمئن عليها فبكت عندما رأته ثم قالت بخفوت:

- عملت إيه في عمر يا عادل!

- اهدي يا حبيبتي عشان أنتِ تعبانة، عمر متهم بقتل سليم ولسه هيتحقق معاه بكرة الصبح، الله أعلم إذا كان هو اللي ارتكب الجريمة دي ولا لا..

فنهضت وقالت:

- مستحيل! مستحيل عمر يعمل كده..

فأسندها وحاول أن يهدأ من روعها قائلًا:

- اهدي طيب، مينفعش تقومي دلوقتي هتتعبي أكتر!

- أنا لازم أشوف عمر ودلوقتي..

- أنتِ عايزة تروحيله لحد عنده!

كانت تحدّق إليه ثم أكمل قائلًا:

- فوقي يا نور.. أنتِ مش في دماغ عمر أصلًا ولو هو منتظر حد فالحد ده مش هيبقى أنتِ..

عادت نور برأسها إلى الوراء، فقد أدركت الآن أن عادل كان على علم بكل شيء. شعر بالندم العميق على ما قاله لها، فاقترب منها ووضع يده على رأسها برفق وقال بهدوء:

- أنا عايزك تستريحي دلوقتي.. مش عايزك تفكري ولا تبذلي أي مجهود.

فبكت بحزنٍ وألم ثم أمسكت بيد عادل وتشبثت بها قائلة:

- أرجوك يا عادل.. أرجوك متسبهوش لوحده، عمر يتيم وملوش حد غيرنا أرجوك اوعى تسيبه!

أعاد عادل ضمّ نور إلى صدره في محاولة لتهدئتها، وعدها أنه لن يتركها وأن كل شيء سيسير على ما يرام. بعد قليل، دخلت والدتها وأختها بعدما اطمأن عادل على أخته بمفرده. طلبت الأم من نور أن تذهب معهم، لكن نور رفضت وأخبرتهم أنها ستعود إلى منزلها وتنتظر قدوم عمر. عندها قال لها عادل: "لا نعلم متى سينتهي هذا، فمن الممكن أن يكون عمر هو من قتل سليم." كانت تلك الكلمات بمثابة صاعقة على نور، فسقطت في حالة انهيار، حاولت الأم تهدئتها، وبعدما تأكدت من أنها بخير، وافقت على أن تبقى في المنزل بمفردها، ولكن طلبت أن تذهب أختها ملك معها، إلا أن نور أصرت على البقاء بمفردها.

تركوها كما طلبت، وفي طريقهم إلى المنزل، اطمأنوا عليها ثم انصرفوا. لم تجد نور خيارًا آخر سوى الاتصال بمريم وطلبت منها المجيء إليها، فأجابتها مريم بأنها ستأتي في الصباح لأنه الوقت متأخر. جلست نور في الشرفة تفكر في عمر وما يحدث له، وتذكرت أنه كان غائبًا عن المنزل في وقت وقوع الحادث، فزاد خوفها من الحقيقة المجهولة.

في صباح اليوم التالي، وصلت مريم إلى منزل نور كما وعدتها. عندما فتحت نور الباب، اندفعت إليها مريم في قلق، فكانت نور في حالة انهيار، تبكي بحرقة. شعرت مريم بالذعر على صديقتها، وسألتها عما حدث. فبدأت نور في سرد كل ما وقع معها، وفي تلك اللحظة كانت مريم في حالة صدمة مما سمعته، فاستجمعت قواها وأخذتها لتجلس معها، وسألتها بهدوء:

- ازاي ده حصل! وازاي يتهموا عمر بحاجة زي كده؟

- مش عارفة يا مريم.. أنا هتجنن بجد.

- طب هو معاه محامي ولا لا؟

- بابا قالي إنه هيشوفله محامي.. أنا لازم أقوم دلوقتي..

- رايحة فين!

- هروح النيابة..

- مينفعش يا نور بطلي جنان، أكيد باباكِ وعادل هيتصرفوا، أنتِ مينفعش تروحي هناك!

- عمر جوزي يا مريم مينفعش أكون بعيدة عنه! أنا لازم أروحله..

نهضت نور وذهبت إلى غرفتها لتستبدل ملابسها، وعندما خرجت، وجدت مريم في انتظارها. أخبرتها مريم أنها سترافقها، فوافقت نور على الفور، وخرجا معًا. وفي الجهة الأخرى، كان عمر يخضع للتحقيق في قضية سليم، حيث وجه له النائب سؤالًا:

- قتلته ليه يا عمر؟

كان عمر ينظر إلى الأسفل، حائرًا ومشتتًا، لم يكن يتخيل يومًا أنه سيجد نفسه في هذا الموقف. فبعد لحظات من الصمت، رفع رأسه وأجاب على السؤال قائلًا:

- أنا مقتلتوش..

- أومال مين اللي قتله؟

- مش عارف..

- أنت كنت فين أثناء الواقعة؟

تذكر عمر حديثه مع نور عندما أخبرته أنها كانت قد رآته يدخل المنزل بعد بزوغ الفجر، لكنه لم يتذكر أين ذهب بعدها. وفي تلك اللحظة، فُتح الباب ليقول المساعد: "محامي عمر يريد الدخول". فأذن له النائب، ودخل المحامي ليعرّف نفسه قائلاً:

- محمد نصر الدين.. محامي.

طلب المحامي من النائب أن يسمح له بالحديث مع عمر قليلاً، فأخذ عمر خارج المكتب وابتعدا عن الأنظار. هناك، تحدث المحامي مع عمر عن تفاصيل القضية، قائلاً له بهدوء:

- أنا مقتلتوش.. أنا فعلًا شوفته قبل الجريمة بكام يوم لأسباب خاصة!

- ممكن أعرف إيه هي الأسباب دي؟

- سليم كان خطيب نور مراتي قبل ما أتجوزها وهي انفصلت عنه لما اكتشفت خيانته، سليم وقتها كان بيسعى إنه يرجعلها تاني ومكنش سايبها

في حالها فأنا قررت ساعتها أتقدم لنور واتجوزها لحد ما يعرف ويبعد عنها تمامًا..

وقص عليه حكايته كاملةً ولكن بطريقة مختصرة...

قبل مرور فترة زمنية...

كان يجلس في مكتب منزله يراجع بعض الأعمال قبل انتقاله إلى الإسكندرية، عندما سمع رنين جرس الباب. توجه ليفتح الباب، ليفاجأ بوجود عمر أمامه. نظر إليه باستغراب وسأله:

- أنت إيه اللي جابك هنا وعايز إيه؟

- براحة شوية يا سيادة النقيب، بصراحة كده أنا جايلك في الخير..

- خير! وهو اللي يعرفكم يشوف خير؟

فدخل عمر وقعد فقعد سليم معه، فقال عمر:

- بص يا سيادة النقيب وباختصار عشان أنا مبحبش أتكلم كتير في المواضيع اللي متهمنيش، أنا اتجوزت نور عشان عمي اللي طلب مني كده مش عشان كنت بحبها، نور مكانتش في دماغي ولا هتكون، اليوم اللي كنت هعرّف فيه عمي إني رايح أتقدم لواحدة تانية ومحتاجه معايا اتفاجئت بيه بيطلب مني أتجوز بنته عشان أنت تفقد الأمل فيها وتبعد عنها، رفضْت في الأول بس وافقْت بعد إلحاح شديد..

- أنا مش قادر أصدق! معقولة نور توافق هي كمان بالسرعة دي!

- ظنك فيا من البداية كان غلط، بس الظاهر إن الظن ده كان المفروض يبقى في نور مش فيا أنا..

- أنت قصدك إيه؟

- قصدي أنت فهمته من بدري، أنا هطلق نور لأني مش لايق على اللعبة دي وشوف أنت لو حابب ترجعها براحتك..

- ده إيه العك ده! أنت مجنون يا جدع أنت! جاي تعرض عليا وبكل بجاحة إني أتجوز مراتك؟!

قال عمر بانفعال:

- دي مش مراتي.. وأكبر دليل على إني مجرد ما أطلقها أنت ممكن تتجوزها وفي نفس اليوم كمان..

- لا ده أنت اتجننت رسمي.. لما تعرف دينك وكلام ربنا ابقى تعالى أتكلم معايا، امشي اطلع بره! بره...

- أنا بقولك كده عشان هي فعلًا مش مراتي!

- يعني إيه الكلام ده؟!

- يعني أنا عاهدت نفسي إني مش هقرّب منها مهما حصل.. ياريت لو لسه بتحبها تخلصني منها..

قذفه بتلك الكلمات وخرج من المنزل وكان سليم يفكر في حديثه وهي يشعر باضطراب شديد ولكنه كان يرفض العودة لشخص قد باعه بثمنٍ

بخس، نهض كي يعود لعمله ليتفاجأ بمحفظة عمر موضوعة على الأريكة..

***

- ساعتها أنا سيبته ومشيت ومن اليوم ده وأنا كل حساباتي اتلخبطت حتى مبروحش الشغل ومخدتش بالي إن المحفظة ضايعة أصلًا..

- أنت بتعاني من أي مرض يا كريم؟

- مؤخرًا بقيت أنسى حاجات كتير وامبارح كنت رايح للدكتور أشوف إيه أسباب النسيان ده، بس ملحقتش أعرف أي حاجة..

- بص يا كريم.. على حد علمي إن المجني عليه كان الخطيب السابق لمدام نور زوجتك حاليًا واللي عرفته إن كان في خلافات بين عائلة المدام وبين المجني عليه، فأنت مش هتقول الكلام ده في التحقيق، هتقول إنك روحتله عشان تعتذرله عن اللي حصل وإنك حسيت بالذنب تجاهه وتجاه نقله اللي مراتك اتسببت فيه..

بعد فترة من التحقيق، أثبتت الجهات المختصة أن عمر لم يكن في منزل سليم يوم وقوع الحادث، فتم إخلاء سبيله. وعندما خرج من النيابة، كان المحامي برفقته، فشكره عمر بحرارة على مساعدته. وأوصاه المحامي بالاتصال به في أي وقت إذا احتاج إلى أي مساعدة، ثم تركه وانصرف. وفوجئ عمر عندما رأى سلمى أمامه فور خروجه، فعبس في وجهها وسألها باستغراب:

- سلمى! أنتِ بتعملي إيه هنا؟

كانت تنظر إليه بعيونٍ دامعة نظرات مليئة بالألم والغضب في آنٍ واحد فقالت بخفوت من فرط حزنها:

- أنا عرفت كل حاجة..

- بس أنا خلاص اتبرأت!

- أنا اتصلت بيك على موبايلك ومدام نور هي اللي ردّت ولما سألتها أنتِ مين قالتلي إنها تبقى مراتك..

ازدرد عمر ريقه بصعوبة وقال:

- سلمى.. أنتِ مش فاهمة أي حاجة، تعالي نقعد مع بعض ونتكلم بهدوء وأنا هفهمك كل حاجة..

مسحت دموعها وابتسمت بألم قائلة:

- تفهمني إيه يا أستاذ عمر؟ أنت مستوعب إنك كذبت عليا! لا وكنت جاي تتقدملي وأنت متجوز! ليه؟ كنت فاكر إني هقبل على نفسي إني أبقى زوجة تانية؟!

- افهمي يا سلمى.. نور مكانتش في حساباتي دي كانت جوازة مصلحة..

- هي إيه اللي جوازة مصلحة يا عمر؟

فالتفت وعندما استدار تفاجأ بها ليجدها نور واقفة تنظر إليه بعيونٍ دامعة، فمسح وجهه من الضيق لأنها قد سمعت ما قاله، فقالت:

- رد عليا.. إيه دي اللي كانت جوازة مصلحة؟

ابتسمت سلمى بسخرية ثم قالت لها:

- يعني مش أنا لوحدي اللي مضحوك عليا، طب يا مدام نور....

فكادت أن تكمل لتصرخ نور في وجهها قائلة:

- أنا مش مدام!

تفاجأت سلمى بكلمة عمر تلك، ونظرت إليه بعيون مليئة بالدهشة، بينما كان هو يتمنى لو أن الأرض تنشق وتبتلعه. ثم قالت سلمى بصوت هادئ ولكن مليء بالتساؤل:

- الأستاذ الفاضل كذب عليكِ وعليا وبصراحة أنا مش فاهمة هو بيخون مين مع مين، هو فهمني إنه هيجي وهيتقدملي، والكلام ده كان من شهور..

نظرت نور إلى عمر فصفعته على وجهه وظلت توبّخه على فعلته تلك، فانصرفت سلمى وتركتهما وهي تبكي فنظرت نور إليه ودموعها تهطل كالمطر لتقول:

- أنا مش قادرة أصدق، أنت إزاي عملت فيا كده!

- كفاية كده فرجتِ الناس علينا، يلا بينا على البيت..

- بيت مين! أنت مفكر إني هرجع البيت ده تاني بعد اللي سمعته؟ أنا هرجع بيت بابا وأنت تيجي تطلقني بكرامتك..

أمسك عمر بذراعها وسحبها للأمام، وفي تلك اللحظة توقفت سيارة أجرة فشاور لها، فركبت نور وركب هو بجوارها. طوال الطريق، ظلت نور صامتة، غارقة في أفكارها، حتى وصلا إلى المنزل. فور دخولها،

وضعت يديها على جبينها، تتحرك بتوتر ذهابًا وإيابًا، بينما كانت تضحك بشكل غير مبرر من شدة صدمتها. أغلق عمر الباب بالمفتاح ثم قال:

- أنا مش هحاسبك على اللي أنتِ عملتيه قدام الناس لأني مقدّر صدمتك، بس اللي لازم تعرفيه إن جوازي منك مكنش زي ما أنتِ فاكرة..

فوقفت واقتربت إليه وحدّقت فيه قائلة:

- أنت أحقر إنسان أنا شوفته في حياتي..

فبكت وقالت:

- أنا كان هيجرالي حاجة لما عادل جيه خدك وقبضوا عليك بتهمة القتل ونقلوني المستشفى، كنت هموت لو كان حصلك حاجة.. وأنت ولا على بالك ولا فارق معاك أي حاجة، ودلوقتي بس فهمت ليه كنت منبّه عليا مروحش الكافيه ولا أجيب سيرة جوازنا لحد..

- أيوة يا نور.. عشان مكنتش حابب إن سلمى تعرف حاجة..

فصرخت وقالت:

- أسكت!.. متجبش سيرتها قدامي!

- هي دي الحقيقة اللي لازم تعرفيها..

كانت تبكي بحُرقة فقالت:

- أنت محبتنيش.. محبتنيش صح!

- أيوة محبتكيش ولا بحبك ولا عمري هحبك وياريت تقتنعي وتفوقي بقى!

وضعت يديها على وجهها وجلست من فرط تعبها وظلت تبكي دون أن تتوقف فقال:

- أنا هطلقك وهروح لسلمى..

نزّلت يديها ونظرت إليه وقالت وهي تبتسم بألم:

- لا لا.. أنت أكيد مش هتعمل كده..

فنهضت واقتربت إليه بتأني ثم قالت باندهاش:

- مش هتعمل كده صح! مش ههون عليك.. أنا عارفة إني مش ههون عليك..

ابتسمت وقال بسخرية:

- ده اللي أنتِ بتتمنيه وبتحاولي تصبّري بيه نفسك..

- قول إنك بتهزر..

فانهارت أكثر ثم قالت:

- عشان خاطري قولي إني في كابوس وهصحى منه وإنك مش هتسبني وتروحلها..

- للأسف أنتِ مش في كابوس، روحي حاسبي أبوكِ عشان هو السبب في كل اللي أنتِ فيه دلوقتي..

- بابا!

- أيوة.. أبوكِ هو اللي جيه وعرض عليا إني أتجوزك في نفس اليوم اللي كنت رايح أفاتحه في موضوع سلمى، واضطريت أوافقه وأنا كنت بموت من جوايا عشان أنقذكم من سليم..

- سليم.. صح، أنت فكرتني.. أكيد ده ذنبه، أكيد اللي أنا فيه ده بسبب إني ظلمته وافتريت عليه..

- والله فكري في اللي عايزة تفكري فيه..

فاقترب إليها وقال:

- بس لازم تعرفي حاجة واحدة بس..

فرفع سبابته في وجهها وقال:

- إني متجوزتكيش عشان بحبك، أنا محبتكيش ولو أنتِ آخر إنسانة في الكون يا نور.. أنا عمر مشاعري ما هتتحرك من ناحيتك.

ففتح الباب وخرج وظلت تبكي من إثر صدمتها فيه وذهب إلى المقهى ليجد سلمى تأخذ جميع أغراضها فنظرت إليه باسمة ثم قالت ببرود:

- كويس إنك جيت..

- سلمى أنا....

- كنت هسيبلك استقالتي على مكتبك..

- استقالتك! استقالة إيه؟ أنتِ ناوية تمشي وتسبيني؟؟

- أومال أنت فاكر إني ممكن أفضل في حياتك لحظة واحدة بعد اللي أنا عرفته!

- طب اديني فرصة أشرحلك..

- فرصتك كانت موجودة قبل ما اكتشف كذبك.. كنت هتيجي تقول لبابا إيه؟ كنت ناوي تفضل مخبي لحد امتى؟

- الشخص اللي اتقتل واتهموني في قتله ده كان خطيب نور ولما فسخت الخطوبة كان بيطاردها وعمي طلب مني أتجوز بنته لحد ما يفقد الأمل فيها وبعد كده كل واحد يروح لحاله..

- بس واضح كده إن بنته كان ليها رأي تاني..

- يعني إيه؟

- يعني أنا مش هقبل إني أكون سبب في خراب بيت واحدة ست.. لأني ممكن في يوم من الأيام أبقى في مكانها..

- بس أنا مبحبهاش.. أنا اخترتك أنتِ!

- وأنا اخترت إني أكون مضحية، حتة بقى أنت بتحبها أو لا فدي بتاعتك أنت، عشان يوم ما تيجي تنفصل عنها مبقاش أنا السبب.. أنا هسافر يا عمر، أخويا عرض عليا شغل معاه في الإمارات وكنت رافضة عشانك، بس معتقدش إن في سبب يخليني أقعد.. أشوف وشك بخير.

- يعني خلاص كده؟ مفيش حل؟!

- كان المفروض تفكر قبل ما ترتكب في حقي وحقها جريمة زي دي، أنت خُنت والخيانة أنا مستحيل أسامح فيها، أتمنالك حياة سعيدة..

أخذت نور جميع أغراضها وخرجت من المكتب، بينما جلس عمر على الكرسي ووضع يديه على وجهه في حالة من التوتر. دخل رامي إلى المكتب

وسأله بقلق: "ماذا يحدث؟"، فأخبره عمر بكل شيء، وقال له إن سلمى ونور أصبحتا على دراية تامة بكل شيء، وإن سلمى قررت أن تتركه وتغادر. فاجأه رامي بكلمات وقال:

- الصدمة مش هينة يا عمر.. دي برضو إنسانة وبقالها شهور مستنياك وأنت كنت بتعطلها..

- أنا هطلق نور وهلحق سلمى..

- حتى لو طلقت نور، تفتكر سلمى ممكن توافق!

- قالتلي إنها مش هتوافق ومش هتقبل بوضع زي ده..

- عايز الحقيقة.. كبرت أوي في نظري.

التفت عمر إليه وقال بنبرة حادة:

- هو ده كل اللي هامّك في اللي أنا فيه؟!

- جايز تكون سلمى اتظلمت بس هي مطلعتش بـ أي خساير، اللي هتخسر بجد هي نور..

- يعني عايزني أفضل مكمل معاها بالعافية؟!

- لا مش بالعافية.. هتنفصلوا بالمعروف بس مش دلوقتي.

- أومال امتى!

- لما سلمى تسافر، عشان نور تبقى عارفة إنكم انفصلتوا عشان الحقيقة مش عشان هتتجوز واحدة تانية.. متنساش إنها بنت عمك وقبل كل ده متنساش إنها إنسانة وعندها مشاعر.

ظل عمر يحدق في رامي للحظات، ثم قرر أن يرحل إلى مكان لا يعرفه، بعيدًا عن كل شيء. وفي تلك الأثناء، كان عادل جالسًا مع نور، يحاول تهدئة أعصابها بعدما أخبرته بكل شيء. وضع يده برفق على يدها ليواسيها، مؤكدًا لها أنه سيكون بجانبها دائمًا، وأخبرها أنه يشعر بالضيق والندم، لأنه ظلم عمر كما فعل مع سليم - رحمه الله. ردت عليه نور وهي تلوم نفسها، قائلة: "هذا هو ذنب سليم". طلب منها عادل أن لا تكثر من اللوم على نفسها، موضحًا أن ما يحدث هو قدرها.

لكن المفاجأة كانت عندما قالت نور: "أنا لست حزينة من أجلك أو من أجل والدي الذي وضعني في هذا المأزق، لأنني كنت دائمًا مؤمنة بقوله تعالى: 'كما تُدين تُدان'، وأنا الآن أدفع ثمن ما فعلته مع سليم". عانقها عادل بقوة، معتذرًا قائلاً:

- أنا آسف.. مقدرتش أقولك عشان متوصليش للحالة اللي أنتِ واصلالها دلوقتي دي.. مكنتش هتهوني عليا..

مسحت وجهها بالمنديل وقالت بخفوت:

- أنا هُنت على أكتر واحد بحبه..

- اهدي طيب يا حبيبتي وكله هيبقى تمام..

- أنا عايزة أتطلق..

- هو قالك إنه هيطلقك؟!

- قالها.. بس مش هستنى لما ينفذها، أنا مش هقدر أرجع البيت عند بابا.. أنا آه مش زعلانة منه زي ما قولتلك بس هو هيفضل السبب في اللي أنا فيه..

- طب خلاص تعالي أقعدي مع ندى وأهو بالمرة تلعبي مع ابن أخوكِ اللي مهنش عليكي تروحي تشوفيه وتباركيلنا..

- أنا آسفة يا عادل حقك عليا، أديك شايف اللي أنا فيه.. بس أنا مش هقدر أقعد عنك في البيت، محتاجة أكون لوحدي..

- مش هينفع تبقي لوحدك..

- أومال عايزني اعمل ايه!

- أنتِ ترجعي البيت وأنا هوصيهم إن محدش يقرب منك ولا يتكلم معاكِ..

- مش عايزة أي حد منهم يعرف حاجة عني.. أرجوك يا عادل متجبش سيرة لحد، أنا هحل مشاكلي بنفسي..

- يعني ناوية على إيه؟؟

- أنا هفضل هنا لحد ما نتفق على الطلاق وساعتها يحلها ربنا..

- على العموم لو احتجتِ أي حاجة كلميني على طول..

- صحيح.. إيه حكاية اتهام عمر دي بقى؟!

- اسكتي يا نور أنا مش عارف هقدر أواجهه ازاي بعد اللي عملته معاه..

- طول عمرك متسرع.

- طب قوليلي لو أنتِ في مكاني كنتِ هتعملي إيه، محفظة عمر كانت في البيت عند سليم، ده مش دليل كافي إنه يدينه؟

- إيه! أنت بتقول إيه؟

- الأستاذ عمر طلع راح لسليم قبل الحادثة بكام يوم ونسي محفظته عنده..

- وليه راحله وليه مجبليش سيرة؟!

- مبصتش على ملف التحقيق لأنه مش من حقي.. وملحقتش أشوف المحامي عشان أعرف منه تفاصيل التحقيق بس كل اللي وصلي إن عمر كان عند سليم في بيته..

- يا ترى راحله ليه! كان عايز منه إيه؟

- معتقدش هيقولي، يمكن يقولك أنتِ.. وفي جميع الأحوال يحمد ربنا إنه طلع منها..

- طب عملتوا إيه مع مرام؟

- لسه متحققش معاها.

- غريبة.. مع إنها مقبوض عليها قبل ما تاخدوا عمر.

- هتفضل محبوسة على ذمة التحقيق.. وأدينا لسه بندور يمكن نلاقي ثغرة.

- ابقى طمني أول بأول يا عادل بالله عليك..

- حاضر.. متقلقيش، أنا لازم أمشي دلوقتي عشان عندي شغل.. خلي بالك على نفسك ولو حصل أي حاجة بلغيني على طول..

- حاضر..

نهض عادل ونهضت نور معه وأوصلته إلى الباب وعندما فتح وجد عمر أمامه فنظر إليه دون أن يتحدث ثم انصرف، فدخل عمر وقال بغضب:

- إيه اللي جاب أخوكِ هنا!

- إيه اللي أنت بتقوله ده! أنا اللي طلبت منه ييجي..

- ازاي له عين ييجي لحد هنا، مكفهوش اللي عمله فيا؟!

- عادل بيشوف شغله يا أستاذ عمر وأعتقد إنك لو في مكانه هتعمل أكتر من اللي هو عمله..

- لا طبعًا مستحيل، وياريت بلاش تدافعي عشان هو أخوكِ!

- أنا مبدافعش.. أنا بقول الحقيقة، لما التحريات تثبت إن محفظتك كانت في بيت سليم أو المجني عليه، عايزهم يعملولك إيه وقتها، يضربولك تعظيم سلام وأنت مشتبه فيه!

ظل عمر صامتًا فذهب إلى الصالون وجلس وذهبت وراءه وقعدت بجواره ثم قالت:

- أنت ازاي مقولتليش إنك هتروح لسليم، وليه تروحله!

- أنا مش مضطر أبررلك أي حاجة بعملها..

- في دي بالذات بقى أنت مضطر تقول، عشان أنت مفيش أي صلة تربطك بيه.. كنت رايحله ليه؟

- عشان أعرف منه سبب خيانته ليكِ..

ضحكت نور وقالت:

- هو في خاين بيسأل خاين زيه أنت خُنت ليه؟

ازدرد ريقه وقال:

- أنا مخُنتكيش، لأننا ببساطة مش متجوزين بجد عشان أخونك..

- أنت خُنت يا عمر، خُنت البنت اللي وثقت فيك، وخُنت البنت اللي سمعت كلامك واتجوزتك.. خُنتنا احنا الاتنين.

- وأهي سابتني ومسافرة، يارب تكوني استريحتِ..

- والله أنا مستريحة.. وبعدين أنا فرحانلها أوي لأنها أنقذت نفسها ومش هتتدبس فيك..

فتركته ودلفت إلى الغرفة فذهب وراءها وقالت:

- يعني إيه الكلام ده؟ يعني أنتِ اتدبستِ فيا؟

- تخيّل؟

- ووافقتِ عليّا ليه طالما أنتِ شايفة كده؟

- عشان كنت حمارة، كنت غبية ومغفلة.. بس خلاص كده كده أنا هخلص منك وهشم نفَسي..

- هتعملي إيه يعني؟

- هتطلق منك..

ضحك بسخرية وقال:

- يعني أنتِ كذبتِ عليا لما قولتيلي إنك بتحبيني!

اقتربت إليه وقالت بغضب:

- ليه هو أنت مفكر كل الناس بوشين زيك! أنا عمري ما كذبت عليك وخصوصًا في مشاعري، بس خلاص أنا عرفتك على حقيقتك ومفيش أي سبب يخليني أعيش مع واحد ندل زيك بعد النهاردة.

- وأنا مش هطلقك..

تبدّلت ملامحها ثم قالت بتوتر:

- يعني إيه الكلام ده؟

اقترب إليها أكثر وابتسم ونظر في عينيها بتحدٍ قائلًا:

- يعني مش هطلقك عارفة ليه؟

فابتسم واقترب من أذنها فأغمضت عينيها من فرط توترها وهمس قائلًا:

- لأنك بتحبيني، ولو سيبتك هتضيعي من غيري..

فابتعد عنها ونظر إلى وجهها ليلاحظ توترها فتأكد من صحة حديثه ففتحت عينيها لتجده ينظر إليها نفس نظرة التحدي، فضربته على صدره وقالت:

- هرفع عليك قضية خلع..

فضحك ثم خرج من الغرفة وهو يضحك بشدة ثم قالت بغضب:

- والله لهخلعك يا عمر ووريني بقى هتعمل إيه..

ظلت واقفة وهي تشعر بالغضب وكانت تريد أن تصرخ من فرط غضبها.. وبعد مرور يوم كانت مرام في التحقيق أمام النائب الذي حقق مع عمر ليسألها بعض الأسئلة ثم قالت وهي تبكي:

- أنا هعترف لحضرتك بكل حاجة.. والله العظيم أنا مقتلتوش، سليم كان خطيبي ولما سيبنا بعض كانت أمنية حياتي إننا نرجع لبعض تاني لحد ما جيه اليوم اللي شوفته فيه هيتجوز غيري ساعتها مستحملتش وقررت إني....

رد النائب قائلًا:

- قررتِ إنك تقتليه عشان لا يتجوزك ولا يتجوز غيرك..

- لا لا والله مش ده اللي حصل!

- أومال ايه اللي حصل؟

- اللي حصل إني استعنت بساحر..

(12)

"متلازمة ستوكهولم"

- ساحر!

- أيوة.. كنت عايزة أعمله سِحر جلب.

- وبعدين..

- ساعتها طلب مني أي حاجة فيها ريحته، واتفقت وقتها مع سعد ابن خالي.. سعد كان بيجهز لمشروع وكان محتاج فلوس، عرضت عليه فلوس مقابل إنه يروح بيت سليم ويجيب حاجة من هدومه لأني مكنتش هقدر أدخل بيته..

- مع إن التحريات بتقول إنك روحتيله البيت وأكثر من مرة بس ما علينا كملي..

- اتفقت مع سعد على الميعاد واديته العنوان، وكنت مستنية مكالمته بعد ما ينفذ اللي طلبته منه بس متصلش وتليفونه اتقفل..

طلب النائب من مرام أن تترك كل المعلومات المتعلقة بـ "سعد"، وقد أكدت الجهات المختصة صحة كلامها بعدما عرضوا الرسائل المتبادلة بينها وبين ابن خالها أمام النائب، وأجروا تحريات عن سعد. تمكنوا من القبض عليه بعد صعوبة، حيث كان هاربًا، ولكن تم تحديد مكانه من خلال رقم هاتفه. خلال التحقيق، أنكر سعد فعلته، إلا أنهم أخبروه أنهم وجدوا بصماته في شقة سليم قبل وقوع الجريمة، فاعترف بعد ضغط التحقيقات. أوضح لهم أنه كان قد اتفق مع مرام كما أخبرت النائب، وأنه

دخل شقة سليم متنكرًا، وكان سليم غائبًا في ذلك الوقت. لم يتوقف الأمر عند تنفيذ طلب مرام، بل طمع في الأموال التي كانت في خزانة سليم، والتي كان يخطط لاستخدامها في زواجه الذي لم يتم. وعندما بدأ في السرقة، فاجأه سليم عند دخوله المنزل بعدما شعر بشيء غير طبيعي. كان سليم يصوب سلاحه نحو غرفة نومه، ثم اقتحم الغرفة ليجد سعد، موجهًا السلاح نحوه وسائلاً عن هويته وسبب وجوده في منزله. في تلك اللحظة، هاجمه سعد، وأسقط السلاح من يد سليم، فسقط أرضًا. فورًا أخذ سعد سكينه من حقيبته وانهال على سليم بـ 27 طعنة في رقبته وبطنه حتى أوقعه قتيلًا. هكذا اعترف سعد، وتم نشر الخبر بواسطة نور في الجريدة. كانت نور حزينة جدًا لما حدث لسليم، ثم دخلت مريم إليها وأخبرتها أنها قرأت الخبر ولم تتمكن من تخطيه، فحاولت نور تغيير مسار الحديث قائلة:

- كنت عايزة منك رقم المحامية اللي خلصتلك موضوع الميراث..

- حاضر هبعتلك رقمها، بس ليه؟ مش خلاص عمر أخلوا سبيله؟

- مش عشان عمر.. أنا اللي محتاجالها..

- ليه يا نور، في إيه؟

- عايزة أرفع قضية ضد عمر..

- قضية! قضية إيه؟

- قضية خُلع..

ردّت مريم باندهاش قائلة:

- نور أنتِ بتهزري صح!

- لا يا مريم أنا مبهزرش.. أنا طلبت منه إنه يطلقني بالمعروف بس هو اللي رفض..

- وليه تطلبي الطلاق أصلًا! كل ده عشان اتهموه بالجريمة!

- لا.. الموضوع ملوش علاقة بالقضية.. الموضوع يخصني أنا وهو..

- طب قوليلي إيه اللي حصل يمكن أقدر أساعدك وتحلي المشكلة من غير ما تخربي بيتك!

- المشكلة اللي أنا فيها ملهاش حل.. وهو مش راضي يطلقني..

ضحكت مريم ثم قالت:

- عشان بيحبك وميقدرش يعيش من غيرك..

ابتسمت نور بسخرية وقالت:

- بيحبني آه.. أنا لازم أتطلق ومن غير شوشرة، ابعتيلي رقم المحامية..

- أنتِ مكنتيش ينفع تتجوزي دلوقتي عشان عقلك لسه عقل طفلة صغيرة مش مدركة معنى الحياة..

- يمكن لو أنتِ في مكاني مكنتيش هتقوليلي الكلام ده..

- هو في إيه يا نور أنا مش فاهمة حاجة!

- مش مهم تفهمي.. أنا هقوم دلوقتي هروح لملك في عيادتها عشان محتاجة أتكلم معاها، وأنتِ لو مش هتبعتي الرقم أنا هتصرف وهدور على محامي تاني..

- لا لا هبعتهولك حالًا أهو.. بالله عليكِ خدي بالك من نفسك...

***

كانت ملك تستمع إلى إحدى مرضاها التي تعاني من متلازمة ستوكهولم، وتحدثت لها عن قصة حبها مع شخصٍ لم يكن طبيعيًا. أخبرتها أنها وقعت في غرامه وتزوجته رغم اعتراض عائلتها لأنها كانت تحبه، لكنه كان يعذبها ولا يشعر بمعاناتها. فسألتها ملك عن أنواع العذاب التي كانت تتعرض لها، لتجيب المريضة على الفور قائلة: قبل زواجهما، كان يعاملها بودٍ وحب، وكان دائمًا يعبر عن مدى عشقه لها ويغمرها بوعوده التي لا حصر لها. ثم أخبرتها أن والدها توفي منذ عامين وترك لها ولأختها ثروة كبيرة. لم تكن تعلم أن زوجها أراد الزواج منها من أجل المال فقط، ولم تكن على دراية بنواياه حتى تزوجته. ومنذ بداية حياتهما الزوجية، أصبح دائمًا يسألها عن ثروتها والميراث الذي تركه والدها. اكتشفت بعد ذلك أنه كان مدمنًا على المخدرات، وكان يضربها ويعذبها ويتلذذ بذلك العذاب، لأن هدفه الوحيد كان الحصول على المال. كثيرًا ما كانت تعطيه ما يطلبه لتتخلص من تلك المعاملة القاسية. تنهدت ملك وقالت:

- يعني أنتِ اكتشفتِ إنه نصاب وكذاب ومدمن مخدرات ده غير إنه شخص سادي وبيتلذذ بعذابك، وأنتِ لسه بتحبيه ومصرّة على موقفك صح!

- مقدرتش أكرهه.. ورغم كل اللي بيعمله ده عُمر مشاعري ما اتغيرت من ناحيته.

ضحكت ملك وقالت:

- أنتِ ازاي كده! ازاي قادرة تكوني مسالمة ومتماسكة بالطريقة دي؟

نزلت دموعها وقالت:

- حاولت أكرهه بس مقدرتش، حاولت أعالجه بس هو مش حابب يتعالج!

- على العموم يا سارة أنتِ تشخيصك واضح، أنتِ بتعاني من متلازمة ستوكهولم.. يعني أنتِ أكيد كنتِ بتحاولي تهربي من العلاقة دي بعد ما اكتشفتِ كل ده بس لقيتِ إنه لا مفر، فقررتِ إنك تتعاطفي معاه وكأنك بتشجعيه على أفعاله..

- طب والحل إيه يا دكتورة؟

- قوليلي يا سارة.. أنتِ عندك أولاد؟

- لا يا دكتورة لسه ربنا مأرادش.

- طب دي نقطة كويسة أوي، أنتِ علاجك واحد وهو إنك تصارحي نفسك بالحقيقة وتفوقي من الوهم اللي أنتِ عايشة فيه، أنتِ تخرجي من هنا على مركز الأمن على طول وتبلغيهم بكل اللي قولتِ عليه، كفاية بس حيازة المخدرات دي قضية لوحدها ده غير قضية الاحتيال والتعذيب وأنا هكتبلك دلوقتي رقم أخويا هو رائد في مديرية أمن القاهرة تقدري تروحيله وتقوليله إنك جاية من طرف الدكتورة ملك صقر.

ظلت سارة صامتة فرمقتها ملك بنظراتٍ حادة ثم قالت لها:

- أنتِ معلوماتك كلها عندي وعنوانك متسجل، اطلعي على المديرية وأنا هكلم أخويا وهوصيه عليكِ، مش عايزاكِ تخافي من أي حاجة..

فنهضت وقالت:

- أنا متشكرة أوي يا دكتورة..

- هستناكِ تيجي المرة الجاية ميعادنا زي ما هو..

فخرجت من المكتب وكانت نور في انتظار ملك بالخارج فطلبت منها موظفة الاستقبال أن ملك في انتظارها فشكرتها نور ودخلت لتجدها تتحدث مع عادل هاتفيًا وعندما انتهت نظرت إلى نور وقالت:

- طمنيني عليكِ، عاملة إيه وأخبار عمر إيه؟

- احنا كويسين الحمدلله.. كده يا ملك محدش فيكم هان عليه ييجي يطمن على عمر؟

- ما أنتِ عارفاني يا نور أنا مش بفضى خالص، ولو على بابا فهو اللي دبرله محامي وبصراحة هو محرج يروحله مش عارف هيقوله إيه بعد اللي عادل عمله معاه..

- عادل شاف عمر وحتى مهانش عليه يعتذرله وسابه ومشي بكل برود.. ما علينا أنا مش جاية عشان كده.. كنت محتاجة أتكلم معاكِ في حاجة..

- خير يا حبيبتي أنا سامعاكِ..

نهضت نور واتجهت ناحية ماكينة صنع القهوة وكانت مترددة أن تخبرها ولكنها قالت أخيرًا:

- قوليلي يا ملك، هي لو في واحدة متجوزة واحد مبيحبهاش بس هي بتحبه ومستعدة تضحي بأي حاجة بس ميبعدش عنها دي حالتها تتشخص إيه؟

- تضحّي بأي حاجة في سبيل إنه يفضل جنبها حتى لو مبيحبهاش؟

- حتى لو مبيحبهاش...

- ودي مين دي بقى إن شاء الله اللي معندهاش كرامة وسامحة إن قلبها يتداس عليه بالشكل ده؟!

اختفت ابتسامة نور تمامًا ونظرت إلى ملك وقالت بنبرة حادة:

- ومال ده بقى ومال الكرامة!

ضككت ملك وقالت:

- كل شيء في الحياة متعلق بكرامتنا واوعي تحطي في اعتبارك إن معنى إنك اتجوزتِ فأنتِ المفروض تلغي كرامتك في سبيل إنك تسعدي جوزك وتتنازلي تحت أي ظرف..

- برضو أنتِ مردتيش على سؤالي؟

- ممكن أعرف الأول أنتِ بتسألي السؤال ده ليه؟

توترت نور ولكنها استعادت رباطة جأشها وقالت:

- لا أبدًا.. أصل في واحدة معانا في الجريدة سمعتها بتحكي لواحدة زميلتنا إنها متجوزة واحد هي بتحبه ومعندهاش أي استعداد إنها تخسره لكن هو متجوزها مصلحة ومش بيبادلها نفس الحب ده..

- اااه.. وجوزها ده بقى بيشرب مخدرات وبيضربها؟

ضحكت نور وقالت:

- إيه اللي أنتِ بتقوليه ده، أكيد مفيش كده..

- وأنتِ ايش عرفك بمدى علاقتهم عشان تحكمي عليها بالثقة دي كلها؟

- عشان أنا اتكلمت معاها وعرضت عليها إنها تروح لطبيب نفسي وقولتلها إنك موجودة بس هي رفضت عشان خايفة من جوزها ليعرف حاجة زي كده..

- على العموم البنت اللي لسه خارجة من عندي قبل ما أنتِ تدخلي تقريبًا بتعاني من نفس المشكلة اللي بتعاني منها زميلتك، بس الفرق إن جوزها مدمن وسادي ده غير إنه متجوزها عشان الميراث..

- طب وهي؟

- هي بتعاني من حاجة اسمها في علم النفس متلازمة ستوكهولم ودي إن الضحية بتقع في حب الجلّاد..

فقالت نور بينها وبين نفسها:

- يعني أنا عندي متلازمة ستوكهولم؟!

- إيه! أنتِ بتقولي حاجة؟

- لا لا أبدًا مبقولش حاجة، ها وبعدين؟

- وبعدين إيه مأنا خلاص شخصتلك حالتها..

- طب ودي علاجها إيه؟

- علاجها إنها تفوق من الغيبوبة اللي هي فيها ويبقى عندها تصالح مع الذات، وتحب نفسها وتقدّرها وتغلّيها والحل مع الشخص اللي متجوزاه إنها تتجاهله وتتجنبه تمامًا وبنسبة 90% لما يلاقي ده منها ساعتها يمكن يتغير معاها ولو فضل على موقفه يبقى الحل إنها تنفصل عنه لحد ما يجيلها الشخص اللي يحبها ويقدّرها أكتر ما هي اللي تحبه.. الكرامة رقم واحد في أي علاقة يا نور..

ابتسمت نور رغمًا عنها، إذ أدركت أنها مريضة نفسيًا وتحتاج إلى علاج. طلبت من ملك أن تكتب لها مهدئًا خفيفًا دون آثار جانبية، بسبب الضغط الذي تعاني منه في عملها هذه الفترة. فعلت ملك ذلك، وعادت نور إلى منزلها، ولكن حينها لم يكن عمر موجودًا. استغلت غيابه وفتحت جهاز الحاسوب، ثم بحثت عن "متلازمة ستوكهولم" لتجد التعريف التالي:

"ما هي متلازمة ستوكهولم؟ عندما يُوضع الشخص في موقف يشعر فيه بالعجز عن التحكم في مصيره، ويشعر بالخوف الشديد من التعرض للأذى الجسدي، ويعتقد أن الشخص الذي يعذبه هو من يملك السيطرة الكاملة. ومن هنا قد تتطور استراتيجية للبقاء، تتحول إلى استجابة نفسية تتضمن التعاطف والدعم تجاه الشخص الذي يأسره أو يعذبه."

أغلقت الحاسوب وزفرت زفرة عميقة، ثم وضعت رأسها على الطاولة وهي لا تدري ماذا تفعل. فجأة، تذكرت حديث أختها، ولكنها كانت في

حيرة عن كيفية بدء تنفيذ ما نصحتها به. في تلك اللحظة، سمعت صوت المفتاح في الباب، وعندما دخل عمر، ألقى السلام عليها. فردّت عليه ببرود، وتذكرت حديث أختها مرة أخرى، فقررت أن تذهب إلى الغرفة لتنام. عندها، ضحك وقال:

- مش عادتك يعني تنامي بدري كده!

فخرجت من الغرفة ونظرت إليه قائلة:

- شايفاك بخير.. ده أنا قولت هاجي من بره هلاقيك بتقطع في شراييناك..

- وأقطع في شراييني ليه بقى!

- عشان حبيبة القلب اللي سابتك..

- والله هي اللي اختارت وأنا اتكلمت معاها وهي اللي مش متقبلة، أصلها خايفة على مشاعرك..

ضحكت بسخرية ثم قالت بجدية بعد لحظاتٍ من الصمت:

- أنت بتتكلم بجد ولا بتتريق!

- لا بتكلم بجد.. هي رفضتني لما لقت إني ممكن أطلقك عشان أتجوزها..

فصمت هنيهة ثم أكمل قائلًا:

- وبعدين أنتِ يهمك في ايه؟ خايفة على مشاعري أوي!

- ده على أساس إن أنت عندك مشاعر أصلًا!

- روحي نامي يا نور.. روحي نامي وسبيني في حالي.

- أنا مستغربة من حالتك دي، أنت ازاي قادر تعيش كده بعد ما خسرت البنت اللي أنت بتحبها!

- عشان أنا متعودتش أفرض نفسي على حد.. متعودتش أجري ورا حد عشان يفضل في حياتي، وعندي قناعة تامة إن الحياة مبتقفش عند حد..

- طب ومشاعرك!

- ما أنتِ لسه قايلة إني معنديش مشاعر!

فضحك وتركها واتجه إلى الشرفة فذهبت وراءه ووقفت بجواره قائلة:

- أنت محبتهاش يا عمر..

فنظر إليها واستدارت ووقفت أمامه ثم استطردت قائلة:

- أنت لو كنت حبيتها بجد.. مكنش ده هيبقى حالك.. كان زمانك بتتعذب وحياتك واقفة..

فصمتت برهة ثم دمعت عينيها ونظرت للناحية الأخرى وقالت:

- زي حياتي بالضبط..

ظل ينظر إليها فوضع يده على ذقنها وحرّك رأسها تجاهه ثم سألها بهدوء:

- حاسّة بإيه؟

- عايز تسمح إيه عشان تجرحني بكلامك للمرة المليون؟ أنت عارف كويس أوي أنا حاسة بإيه، ياريت تطلقني يا عمر وبهدوء أحسن ما ندخل في سكة القواضي والمحاكم..

فكادت أن تذهب ولكنه أمسكها من يدها وأوقفها قائلًا:

- أنا بجد عايز أعرف ألم الحب ده ازاي الإنسان ممكن يعاني منه؟

نظرت إليه وقالت:

- احمد ربنا إنك مش بتعاني منه وإلا كان زمانك في عالم تاني دلوقتي ويا عالِم هتخرج منه امتى.. تصبح على خير..

تركت نور عمر وعادت إلى غرفتها، بينما ظل هو ينظر إليها وهي تغادر. جلس في الشرفة غارقًا في أفكاره، يتساءل عن سلمى، وكيف لا يشعر بألم أو غيابها؟ ألم يحبها كما أخبرته نور منذ قليل، أم أنه لا يدرك غيابها حتى الآن؟ لم يجد إجابة واضحة للأسئلة التي تدور في ذهنه.

في غرفتها، كانت نور تمسك بهاتفها وتبحث عن حساب سلمى على "فيسبوك". اكتشفت أنها ليست ضمن قائمة أصدقاء حساب عمر، بل في حساب رامي، صديق عمر. فوجئت بأنها تشارك صورها مع العامة، فابتسمت بسخرية. وعندما فتحت قصتها، وجدت صورة لها في الطائرة مع تعليق بأنها في طريقها إلى الإمارات. شعرت نور بفرحة عارمة، ونهضت بسرعة وذهبت إلى الشرفة حيث كان عمر، ووجهت إليه الهاتف. عندما نظر، وجد صورة سلمى، فعلق ببرود قائلاً:

- شوفتها..

ضحكت بسخرية وقالت:

- باعتك في أول محطة..

- نور بقولك إيه أنا مش ناقصك.. مش كنتِ هتنامي؟ منمتيش ليه!

- هنام ازاي وأنا شمتانة فيك!

فنهض ووقف أمامها قائلًا بتعجب:

- شمتانة فيّا!

- أيوة طبعًا.. دوق شوية من اللي أنت دوقتني منه.

- طب يا نور.. على العموم جهزي نفسك لمعاملة تانية خالص.

- معاملة إيه مش فاهمة؟!

- يعني هتشوفي مني اللي عمرك ما شوفتيه..

فقالت بنبرة ساخرة:

- والله! ده على أساس إني لسه مشوفتش منك أسود أيام حياتي!

- ولسه هتشوفي الأسوأ.. من بكرة الصبح تروحي تقدمي استقالتك وشغلك من هنا وجاي هيبقى البيت وبس.

فضحكت باندهاش وقالت:

- ده على أساس إيه بقى إن شاء الله!

- على أساس إني جوزك وليا حق عليكِ..

تعالت قهقهات ضحكاتها فعقد حاجبيه بتعجب وتساءل قائلًا:

- أنتِ بتضحكي على إيه؟!

- حلوة جوزي وليك حق عليا دي..

- نور أنا بتكلم بجد.. متخلنيش أجبرك بالقوة إنك تعملي اللي قولتلك عليه..

فاقتربت إليه ونظرت له بتحدٍ ثم قالت:

- دي نجوم السما أقربلك من إني أسيب شغلي وأسمع كلامك..

- بس أنتِ كده بتعصي أوامري وأوامر ربنا!

- لا مفهمتش.. ممكن تفهمني أكتر؟

- قولتلك من شوية إني جوزك وليا حق عليكِ..

- مش لما تبقى جوزي بجد! وبعدين أنا قولتلك طلقني وكل واحد يروح لحاله وأنت اللي مش راضي..

- وأنا إجابتي كانت واضحة وقولتلك مش هطلقك..

- أنا المفروض ألجأ لمين دلوقتي! اللي المفروض ألجألهم في الظروف اللي أنا فيها دي هما اللي اتخلوا عني وباعوني ليك بالرخيص..

- والله دي مش مشكلتي، أنا اللي قولت عليه يتنفذ..

- ولو متنفذش هيحصل إيه؟

- هضطر أستخدم معاكِ العنف..

- عنف! إيه هتضربني ولا هتقتلني!

وضع يده على رأسه فجأةً عندما شعر بصداع شديد كعادته فابتعد عنها وجلس ثم اقتربت إليه وقد بدا عليها القلق والخوف وسألته:

- عمر أنت كويس!

- سبيني في حالي يا نور وروحي أوضتك..

- لا مش هينفع أسيبك كده.. أنت باين عليك تعبان!

فصاح بصوت جهوري قائلًا:

- قولتلك ادخلي أوضتك.. إيه... أنتِ مبتفهميش!!

أومأت نور برأسها وعادت إلى غرفتها، ولكن فجأةً، تحول المشهد إلى كريم، الذي ظهرت على وجهه شبح ابتسامة. خرج من الشرفة واتجه نحو المكتبة، حيث استخدم المفتاح السري الذي كان يخبئه في مكان لا يعرفه أحد سواه. فتح المكتبة وأخذ هاتفه من أحد الأدراج، ثم أغلق الدرج بحذر وأعاد المفتاح إلى مكانه. بعد ذلك، خرج من الغرفة وهو يحمل الهاتف، وعندما سمعت نور صوت الباب، خرجت لتجد أن عمر ليس في المنزل. نفخت في الهواء بخيبة أمل وعادت إلى غرفتها مجددًا.

أما كريم، فقد كان في طريقه إلى الجراج حيث يركن سيارته السرية. ركب السيارة وتوجه إلى مكان بعيد لا يوجد به أحد. كان في انتظار شخص ما، وعندما وصل هذا الشخص بسيارته المرسيدس الفاخرة، التفت كريم إليه، وظل ثابتًا في مكانه ينتظر أن ينزل. اقترب الشخص منه وقال:

- كويس إنك جيت في الميعاد..

- جيت قبل ما عمر يمنعني..

ابتسم الشخص الذي اقترب من كريم، وتبين أنه ابنة خالة كريم. اقترب منه وعانقه، ثم جلسا معًا في هذا المكان المظلم والغامض. بدأ كريم يروي له حكايته مع طاهر المنسي ونادر عبد الخالق، وسرد له قصة قتل

سليم. لكن كريم اعترف له أنه لم يرتكب تلك الجريمة. ضحك الشخص، الذي كان يدعى خالد، وقال:

- حظك بقى إنه فلت منك..

- كنت متردد إني أعمل كده خاصةً إن عمر مفرقش حاجة عنه.

- ده ازاي بقى!

نظر إليه كريم وابتسم بسخرية وقال:

- ازاي أنا بخلّص على كل واحد خاين في حين إن أنا أو عمر ارتكبنا نفس الخطأ!

- بس عمر مأخطأش.. عمر سمع كلام جمال وطاوعه عشان له جمايل عليه..

- عشان غبي.. كان مفكر إن هو ده رد الجِميل!

- أنت كنت ناوي تعمل إيه؟

- أنا كنت مراقب سليم بس كنت كل ما آخد الخطوة كانت في حاجة بترجعني وبتسحبني لورا خاصةً شعوري من ناحيته إنه مخانش!

- زعلت عليه؟

- عمر اللي زعل عليه.. أنت عارف إني مبزعلش على الخاينين، الله أعلم الحقيقة فين بس نور قفشته وهو معاه واحدة تانية في شقته.

- وعمر زعل عليه ليه بقى؟

- عشان ساذج زيه.. كويس إنه اتخلص من البنت اللي فاكر إنه وقع في غرامها..

- سلمى؟

- هي سلمى.. عرفت كل حاجة عن طريق نور وقررت إنها تسيبه وتسافر بس هو مش حاسس بـ أي حاجة، كأنها مكانتش في حياته أصلًا..

- طب وأنت!

نظر إليه كريم وابتسم بألم قائلًا:

- أنا لازم ألاقي أبويا، عشان أصفّي معاه كل القديم.

- وأنت هتعمل كده ازاي؟

- أنا دورت عليه على السوشيال ميديا وقلبت عليه النت بس ملوش أي أثر!

- ما يمكن يكون مات..

- يمكن.. بس اللي أنا حاسّه إن هو لسه عايش، اللي زي نبيل استحالة يموت دلوقتي.

- ولو لقيته، ناوي تعمل إيه؟

التفت كريم إليه ونظر إليه بـ شر قائلًا:

- هخليه يحصّل طاهر ونادر!

***

في صباح اليوم التالي، استيقظت نور على صوت الإنذار. فتحت عينيها، وران عليها الصمت للحظات، حتى تذكرت خروج عمر ليلة الأمس. عندما نهضت وخرجت من الغرفة، لم تجد عمر في المنزل، فتعجبت كثيرًا وشعرت بالقلق. قررت الاتصال به، ولكنها اكتشفت أنه ترك هاتفه في المنزل، فذهبت إليه وأخذته.

وفي الجهة الأخرى، استيقظ عمر على صوت رامي. تفاجأ عندما وجد نفسه نائمًا على المكتب، فانتفض مفزوعًا وقال:

- إيه ده! أنا بعمل إيه هنا؟!

رد عليه رامي بتعجب:

- أنت نايم هنا من امتى؟

- مش عارف!

- ازاي مش عارف؟

- أنا بجد مش فاكر أي حاجة!

- أنت مروحتش للدكتور من ساعتها؟

- لا ملحقتش أروح...

ران عليهما الصمت لفترة ثم نظر عمر إليه وقال:

- أنا آخر حاجة فاكرها إني كنت بتخانق مع نور وبعد كده حسيت بصداع شديد ومش فاكر إيه اللي حصل بعد كده!

- يمكن اتخانقت معاها ونزلت وقررت تبات هنا؟

- أكيد كنت هفتكر بس أنا فعلًا مش فاكر أي حاجة بعد اللي حكيتهولك ده!

- طب اتصل على نور واسألها على اللي حصل..

- لا لا.. مش عايزها تستغل ضعفي، مش حابب تعرف أي حاجة عني..

- إيه اللي أنت بتقوله ده.. ضعفك إيه اللي هي هتستغله، كلمها واسألها يمكن تقدر تساعدك!

- لا.. أنا هكلم الدكتور وآخد منه ميعاد، لازم أروحله في أقرب وقت وأشوف أنا عندي إيه..

(13)

"خطيئة"

نهض عمر بسرعة، ابتعد عن رامي، وخرج من المقهى. أوقف سيارة أجرة لتأخذه إلى المنزل. وعندما وصل وفتح الباب، رأى نور تتجهز. نظر إليها بتعجب وقال:

- أنتِ لسه هنا؟

قالت له وهي تنظر في المرآة:

- آه أنا هنا.. الله أعلم بقى أنت اللي روحت فين.

- كنت بايت في المكتب..

فاستدارت وضمت ذراعيها وقالت:

- ده على أساس إنك ملكش بيت تنام فيه؟

- هو إيه اللي حصل امبارح يا نور؟

- مفيش أنت تعبت فجأة لما كنا بنتكلم وطلبت مني أسيبك لوحدك، ومجرد ما دخلت الاوضة سمعت صوت باب الشقة بيتقفل..

- بس كده؟ يعني مقولتلكيش خارج رايح فين!

- لا.. أنت نزلت من غير ولا كلمة حتى أنا استغربت، منين كنت تعبان ومنين قدرت تخرج!

- أنا مش عارف.. مش عارف إيه اللي بيحصلي أنا هتجنن!

- اهدا بس يا عمر.. إن شاء الله كل حاجة هتتحل..

- ممكن أكون بمشي وأنا نايم!

- تمشي وأنت نايم ازاي وأنت لما نزلت أصلًا كنت واعي وفايق!

- آه صح.. أومال اللي عندي ده يبقى إيه؟

قالت بلهجة ساخرة:

- ما أنا لو دكتورة كان زماني شخصتك من بدري.. على العموم مفيش حل غير إنك تروح لدكتور في أسرع وقت، أنا لازم أنزل عشان اتأخرت..

- هتنزلي وتسبيني لوحدي كده!

عقدت حاجبيها بتعجب ثم قالت:

- آه.. أنت لسه بقى بتفكر في اللي في دماغك..

- اللي هو إيه؟

- إني أسيب الشغل.

- هو أنا فِ إيه ولا فِ إيه دلوقتي!

- طب أنت محتاج إيه وأنا اعملهولك؟

- مش محتاج حاجة.. انزلي شوفي كنتِ رايحة فين يلا.

شعرت نور بالغضب، ثم فتحت الباب وخرجت. كان عمر واقفًا ينظر أمامه في ذهول، وقد كاد يجن جنونه لولا أنه أسرع في أخذ جهاز الحاسوب وبدأ يبحث عن فقدان الذاكرة المؤقت، لكنه لم يفهم شيئًا. وفي تلك اللحظة، وصلته رسالة تحدد موعد الكشف. نهض سريعًا، ذهب للاستحمام، ارتدى ملابسه، ثم استعد وخرج، حيث أخذ سيارة أجرة إلى العيادة الخاصة بطبيب المخ والأعصاب.

عندما وصل، دخل العيادة وانتظر دوره حتى حان وقت الكشف. دخل الطبيب ورحّب به، وسأله عن شكواه. أخبره عمر أنه أصبح لا يتذكر بعض الأجزاء من يومه. كتب الطبيب بعض الأشعة والتحاليل وطلب منه إحضارها في أسرع وقت. اضطراب عمر بدأ يزداد، إذ شعر بالقلق والانزعاج، فسأل الطبيب إن كان الوضع خطيرًا. أجابه الطبيب أنه عندما يحصل على النتائج، سيعرف السبب. فسأله عمر عن أسباب فقدان الذاكرة المؤقت، ليخبره الطبيب بأنها قد تحدث بسبب التوتر، الضغط العصبي، نقص فيتامين B1 وB12، أو بعض الاضطرابات النفسية مثل القلق والاكتئاب، أو اضطراب ثنائي القطب، أو مشاكل في المخ كإصابات الرأس، السكتة الدماغية، الأورام، أو التهاب المخ.

أخذ عمر يفكر للحظة، فهو لا يمر بأي مشاكل نفسية. ثم أخبره عن سلمى ومدى حبه لها، لكنه شعر أنه لم يتأثر بغيابها. ضحك الطبيب وقال له إن هذا الشعور ليس له علاقة بفقدان الذاكرة، وطَمَأنه وأكد عليه أن يحضر الأشعة والتحاليل في أقرب وقت ممكن. شكره عمر، نهض، وغادر العيادة متجهًا إلى المنزل، حيث قرر ألا يذهب إلى المقهى حتى ينفذ ما طلبه منه الطبيب.

بعد ساعة، دق الباب، فنهض عمر ليفتح، ليتفاجأ بعمه.

وفي الجريدة، كانت نور تخبر مريم بما يحدث لعمر هذه الأيام، وأعربت عن خوفها عليه من أن يصيبه أي مكروه. حاولت مريم تهدئتها وطمأنتها بأنه سيصبح على ما يرام. وبعد لحظات من الصمت، تفاجأت مريم عندما تحدثت نور عن استقالتها، إذ كانت تفكر في ترك عملها لتصبح ربة منزل. لم تتدخل مريم في القرار، بل نصحتها بأن تفعل ما يجعلها تشعر بالسلام الداخلي.

في المنزل، كان عمر يحضر القهوة له ولعمه. عندما خرج، وجد عمه جالسًا في الشرفة. قدم له القهوة، فابتسم عمه وقال:

- القاعدة هنا بالدنيا وما فيها..

ابتسم عمر رغمًا عنه ولكنه لم يرد عليه، فتلاشت ابتسامة جمال تدريجيًا وترك القهوة على الطاولة ثم قال:

- من غير مقدمات أنا هدخل في الموضوع على طول، أنا مكنش ليا عين أجيلك بعد اللي عادل عمله معاك بس أنا مكنش في إيدي أي حاجة أعملها غير إني أشوفلك محامي..

- لا يا عمي كان في إيدك كتير، كان في إيدك توقّف ابنك عند حدّه وتفهمه إني مقتلتش، كان في إيدك تحسسني إنك موجود جنبي لكن مش من أول مصيبة أقع فيها ألاقي نفسي لوحدي!

ران عليهما الصمت قليلًا فشرد عمر ثم قال أخيرًا:

- أعترفلك اعتراف يمكن أول مرة أصارح بيه نفسي.. في وقت ما كنت لوحدي ومتهم في جناية كانت ممكن تودّيني لحبل المشنقة ظلم اكتشفت إن الشخص الوحيد اللي كان قلقان عليا وجيه قابلني هي نور.. على الرغم إني لحد النهاردة مش متقبل وجودها كزوجة في حياتي، حتى

سلمى الإنسانة الوحيدة اللي حبيتها ساعت ما جت.. جت عشان عرفت الحقيقة، جت عشان تقولي إني خاين وإن خلاص كل واحد يروح لحاله..

شعر جمال بالضيق وقال:

- أنا السبب يابني.. أنا السبب في كل اللي حصلك..

صمت قليلًا ثم استطرد قائلًا:

- بص يا عمر.. أنا كنت مصدوم ساعتها، نور وقتها فقدت الوعي ومكناش عارفين نفوقها.. وفعلًا كنا معاها لحد ما اطمنا عليها وفاقت، ومجرد ما ده حصل أنا روحت لعادل بهدلته، بس أنا مكنش ف ايدي أي حاجة أعملها لأن ده في الأول والآخر ده شغله، وهو معملش حاجة غير إنه كان بيشوف شغله..

- عمري فِ حياتي ما هنسى نظرة إني قاتل في عينيه، كأنه فعلًا كان متأكد إن اللي عملت كده، ده لو أنا فعلًا اللي عملت كده وهو شهد ده بعينيه مكنش هيبصلي البصة دي.. وحتى لما جيه هنا عشان يزور نور، شافني وعدى من جنبي كأني شيئًا لم يكن..

- عشان هو كمان مكسوف منك.. عادل كان متعلق أوي بسليم الله يرحمه وطول عمره وهو شخص انفعالي ودايمًا بيخلط بين عواطفه وشغله، هو على قد ما قدر حاول يسيطر على مشاعره عشان يقدر يوصل للحقيقة.. والحمدلله وصلها والمحاكمة قربت أوي..

عقد عمر حاجبيه وترك فنجان القهوة وقال باندهاش:

- لقوا القاتل؟

- اعترف بجريمته وراح مثّل الجريمة كمان..

- وطلع مين؟!

ابتسم جمال بسخرية تصاحبها حزن قائلًا:

- قريب مرام.. اللي كانت خطيبته.

تفاجأ عمر وقال:

- ازاي بتحبه وازاي قتلته!

- ومن الحب ما قتل.. هي مقتلتوش، هي من كتر حبها له اتجننت ولجأت للسحر والشعوذة..

- سحر وشعوذة!

- قالت في التحقيق إنها استعانت بساحر عشان يعملها سحر جلب..

- وبعدين؟

- طبعًا أنت أكيد فاهم شغل السحرا والمشعوذين، اللي بيقولوا لازم تجيب حاجة فيها ريحته عشان السحر يتعمل صح.. بعتت ابن خالها لشقة سليم وطمع في الفلوس اللي سليم كان شايلها ولما اتقفش قتله وهرب..

- طب ومرام!

- مشتركة معاه في الجريمة..

- بس هي مكانتش معاه ولا قتلت!

- بس هي اللي بعتته.. ودي جريمة قتل مع سبق الاصرار.

- إن شاء الله إعدام.

- إن شاء الله.. ربنا يرحمه ويصبر أهله، المهم دلوقتي شوف حابب تخلّص امتى وأنا معاك..

- أخلّص إيه؟

- موضوع نور.. مش كان في بينّا اتفاق؟

- سلمى خلاص.. سافرت وأنا بصراحة مش متأثر بغيابها.

- يعني إيه الكلام ده؟

- يعني أنا مش في دماغي دلوقتي موضوع الطلاق.

- معنى كده إنك حابب تكمل؟

- مش فكرة حابب أكمل.. أنا محتاج لوجود نور وخصوصًا الفترة دي..

- ليه.. هو في حاجة أنا معرفهاش؟

- لا أبدًا كله تمام.

- نور عرفت الحقيقة صح؟

- عرفت يوم ما خرجت من النيابة.

- وكان إيه رد فعلها؟

- كانت منهارة طبعًا.. الصدمة مكانتش هيّنة.

- عشان كده لا بقت بتيجي ولا بتكلمني خالص.. أنا هعدي عليها في الجريدة وهتكلم معاها، وأنت ياريت تخلي بالك من نفسك..

- حاضر يا عمي..

نهض جمال ودلف إلى الداخل واتجه ناحية الباب بمصاحبة عمر حتى فتح له فاستدار جمال وقال قبل أن يذهب:

- مش عايزك تزعل من عادل وتقدّر إن ده شغله وهو كان مضطر يعمل كده..

- مسير الوقت يصلّح كل حاجة يا عمي..

فابتسم وربت على كتفه وانصرف، ودخل عمر وغلق الباب وعندما حل الليل جاءت نور فتعجب من تأخيرها وسألها عن سبب التأخير لتخبره أنها كانت مع والدها وأخبرته أنه طلب مسامحتها وأنه فعل ذلك من أجل حمايتها، ليقول:

- وأنتِ إيه رأيك، كان رد فعلك إيه لما قالك الكلام ده؟

- قولتله إن عدى على الكلام ده وقت كبير وإنه عادي مبقتش فارقة.. أنت أكلت ولا لا؟

- لا.. مليش نفس.

- على العموم أنا هغيّر هدومي وأروح أحضّر العشا ومتأكدة إن نفسك هتتفتح.

- متعمليش حسابي..

ضحكت نور بسخرية ودخلت الغرفة لتستبدل ملابسها. ظلت تنظر أمام المرآة لبعض الوقت، شاردة الذهن. وفجأة، فتح عمر الباب دون أن يطرق. شعرت نور بالازدراء، وقالت بانفعال:

- إيه ده في إيه! مش تخبط قبل ما تدخل!

- عادي يعني إيه المشكلة..

- هو إيه اللي إيه المشكلة؟!

- أنتِ مراتي على فكرة..

شعرت بثمة شيءٍ غريب يسير في جوفها فظلت تنظر إليه دون أن تتحدث، ثم أخبرها قائلًا:

- أنا هنزل..

- تاني يا عمر!

- متقلقيش.. رامي مستنيني تحت هنروح نقعد في مكان قريب، لازم أعرف منه اللي تم خلال الفترة اللي فاتت لأن زي ما أنتِ عارفة مش بروح الكافيه كتير وبكرة إن شاء الله أول الشهر فلازم أعمل كشف حساب عشان أبعته لمدام إلهام.

- أوكي ماشي.. بس حاول متتأخرش عشان اللي بيحصلك ده..

- لا متقلقيش..

أومأت نور برأسها، فخرج عمر من الغرفة وأغلق الباب خلفه. توجهت نحو الباب، وأحكمت غلقه، ثم استدارت وضعَت يدها على قلبها لتشعر بأنه ينبض بشدة. أغمضت عينيها بتوتر، محاولةً استعادة رباطة جأشها.

***

كان عادل يجلس مع حسن في مكتبه، يروي له كل ما حدث منذ أن رحل لإتمام مهمته في "السلوم". كان حسن في أسوأ حالاته عندما علم بخبر قتل سليم بتلك الطريقة، وكان يسأل دائمًا: ماذا فعل ليكون مصيره هكذا؟ كان شخصًا ملتزمًا ومحبًا للخير، لم يؤذِ أحدًا، وكان مطيعًا ويؤدي عمله على أكمل وجه. فقصّ عليه عادل حادثة الخيانة وظلمه، فشعر حسن بالضيق والاختناق. اعتذر له عادل عمّا بدر منه وأوضح له أن الشيطان تلاعب بمشاعره ليبعده عن طريق الحق، رغم أن هذا ليس من طباعه، لكن النفس أمارة بالسوء إلا ما رحم ربي.

سأله حسن عن المحاكمة، فأجابه عادل أنها ستكون في اليوم الرابع عشر من الشهر الجديد. كان حسن ينتظر قدوم هذا اليوم بفارغ الصبر. ثم صمتا لحظات، وقال عادل:

- تفتكر مرام ممكن يتحكم عليها بالإعدام؟

- لا.. في الحالة اللي زي دي وخصوصًا إن القاتل معترفش إنها شريكته في الجريمة.. ومش عايز أصدمك وأقولك إنها ممكن تاخد براءة.

- براءة! تاخد براءة ازاي؟!

ضحك حسن وقال:

- جرا إيه يا سيادة الرائد.. ليه محسسني إنك لسه جديد في الشغلانة دي؟ عقوبة الساحر نفسه ٣ سنوات في القانون المصري وممكن يطلع من القضية بكفالة..

- بس دي كده مرام مفيش أي حاجة تدينها خاصةً إن القاتل معترفش عليها ولا أنها الساحر نفسه!

- بالضبط يا سيادة الرائد.... حظها بقى، دي لو مخرجتش من القضية بكفالة..

- هي آه كانت عايزة تؤذيه بس كان الأذى ده هيبقى فِ صالحها هي..

- والله احنا هنشوف الجلسة واللي هيحكم بيه القاضي هو اللي هيتم..

- بس المفروض موضوع السحر ده يبقى قضية لوحده!

- على الساحر نفسه.. وبعدين ازاي مطلعش قرار بالقبض على الساحر ده؟

***

كانت نور واقفة في المطبخ تتمتم ببعض كلمات الأغاني بينها وبين نفسها، شعرت ببعض الراحة، ولو قليلًا، بعد فترة طويلة من عدم

الشعور بالراحة. وبعد أن انتهت من تحضير الطعام، عادت إلى غرفتها ووقفت أمام المرآة تنظر إلى نفسها بابتسامة شاردة. فكرت في بعض الأمور، ولكنها ترددت قليلاً قبل أن تتخذ قرارًا، حتى لا يسرقها الوقت أكثر من ذلك. اتجهت نحو الخزانة، وأخذت منها فستانًا أسود رقيقًا، وظلت تنظر إليه قبل أن تقول لنفسها:

- ده على أساس إنه جوزي بجد بقى وكده!.. حطيه مكانه بلاش هبل!

بعد مرور فترة زمنية قصيرة سمعت صوت الباب فشعرت بخفقات قلبها تتزايد فدخل وهو ينادي عليها ويقول:

- نور... يا نور أنتِ نمتِ؟

خرجت من المطبخ وهي في غاية الصمت، لتتفاجأ به ينظر إليها بنظرة لم ترها في عينيه من قبل، وكأنه تفاجأ بمظهرها. اقتربت منه وقالت بتوتر:

- لا.. أنا صاحية لسه منمتش، أنت... أكلت ولا لسه؟

تلعثم قائلًا:

- هاا... أنا كنت مع رامي فـ.....

عقدت حاجبيها فحاول أن يستعيد توازنه ثم قال:

- لا أنا مكلتش.. يا دوب قعدت معاه وعملنا كشف حساب وجيت على طول.

فابتسمت وقالت:

- طب ادخل غيّر هدومك وثواني وهناكل سوا..

فمضت من أمامه وهي تبتسم بسعادة وعندما عادت إلى المطبخ وضعت يدها على قلبها وكادت أن تحلّق بجناحي قلبها من فرط سعادتها، كلما تذكرت نظرته لها قبيل هذه اللحظة كلما ازدادت نبضات قلبها.. وضعت الطعام في الصحون وخرجت إلى الخارج وكان يختلس النظر إليها من حينٍ لآخر فحدّث نفسه قائلًا:

- فووق يا عمر.. فووق من الهبل اللي في دماغك ده!

وعندما انتهت طلبت منه النهوض وجلسا معًا على المائدة وبدأ يتناول الطعام ثم قال:

- تسلم إيدك يا نور.. تعبتك معايا..

- لا أبدًا مفيش تعب ولا حاجة.. على فكرة أنا بحب المطبخ زي ماما، بس هي مكانتش بتديني فرصة فكبّرت دماغي لحد ما جتلي الفرصة اللي أدخل فيها المطبخ أخيرًا.

- لا يستاهل دخولك بصراحة.. الأكل تحفة.

فابتسمت بسعادة وقالت برقة:

- بالهنا والشفا..

بعد مرور فترة زمنية قصيرة، كانت نور تعيد الصحون إلى المطبخ، وكان عمر يساعدها في ذلك. وعندما كانت على وشك الخروج من المطبخ، تفاجأت به أمامها، ولم يفصل بينهما إلا القليل. حدّقت في عينيه بتوتر، وكان يغوص في عمق عينيها. تنهد وابتعد ليُفسح لها الطريق، فشكرته وعادت إلى الغرفة وأغلقت الباب وراءها. وضعت يدها على قلبها وأغمضت عينيها، كاد قلبها أن ينفجر من شدة نبضاته. فجأة، سمعته

عند الباب يسألها إذا كانت بخير. أجابت أنها بخير، فقال لها إنه سيقوم بتحضير القهوة إذا كانت ستشرب معه. ففتحت الباب وقالت:

- أنا كنت هعمل..

- لا خليكِ أنتِ تعبتِ، أنا هعمل..

ومضى من أمامها فتعجبت كثيرًا من لطفه معها وذهبت لتجلس في الشرفة وعندما لمحها تفاجأ وأسرع إليها قائلًا بانفعال:

- أنتِ هتقعدي في البلكونة بشكلك ده!

عقدت حاجبيها وقالت:

- مفيش حد حوالينا والوقت متأخر!

- أنتِ طفلة؟ لسه منضجتيش لحد دلوقتي! لو حابة تقعدي في البلكونة روحي البسي حاجة محتشمة يإما تقعدي في الريسبشن..

فتركها وعاد إلى المطبخ فتعجبت من لهجته ودخلت لتجلس في الصالون فتعجب عندما رآها بالداخل ثم قال:

- اعقلي واكبري شوية، مش معقول لحد دلوقتي معرفتيش الصح من الغلط والحلال من الحرام!

- عندك حق..

تعجب وابتسم بغرابة قائلًا:

- غريبة يعني..

- هي إيه دي اللي غريبة؟

- مدخلتيش معايا في جدال وتحدي زي كل مرة..

- لأني استحالة أعمل حاجة تغضب ربنا!

- بس أنا عملت اللي يغضب ربنا وبتمنى إنه يسامحني..

- عملت إيه؟

- طول عمري وأنا رافض الاختلاط، ورافض إني أبقى في علاقة غير رسمية مع واحدة.. لحد ما جت سلمى واشتغلت معانا، معرفش إيه اللي غيّر تفكيري وقتها وخلّاني وافقت إن بنت تشتغل، رغم إني كنت ناوي أمشّي أي بنت بس مرضتش أعمل كده عشان مش عايز أقطع عيش حد..

- يمكن السُلطة هي اللي خليتك تفكر بالشكل ده؟

- يمكن.. ويمكن اللخبطة اللي كنت فيها وحياتي اللي اتدمرت مكنتش عارف أفكر صح ساعتها..

- وبعدين؟

- اتعلقت بوجودها مع مرور الأيام وكنت محافظ على توازني إني متكلمش معاها غير لما أتقدملها وادخل البيت من بابه، بس الظروف اللي حصلت أجبرتني على إني أتكلم معاها وكنت في صراع مع نفسي وف نفس الوقت مكنش ينفع أتقدملها في التوقيت ده..

شعرت نور بالضيق والاختناق عندما ذكر حكايته معها، ولكنها لم تنسَ أنه اعترف لها بأنه لا يحبها، فلن تهرب من الواقع. استطرد عمر قائلاً:

- كنت حاسس بصراع وخنقة طول الوقت وكنت عايز أوقّف اختلاطي بيها وكلامي معاها لحد ما حسيت إني بقيت فعلًا في علاقة غير رسمية معاها، وكانت العاقبة إنها مكملتش.. أصل في ناس كتير مفكرة إنهم لما يبقوا مع بعض ف علاقة غير رسمية هيبقوا كده اتجوزوا عن حب، حتى لو تم واتجوزوا جوازهم بيفشل لأن الحاجة اللي بدايتها مترضيش ربنا نهايتها مش هترضينا حتى لو هما مش حاسين بـ ده وفاكرين إنهم اتجوزوا وعايشين حياة سعيدة، دول في غفلة كبيرة أوي، وفعلًا نهاية قصتي كانت عقاب ليا على اللي عملته.

- بلاش تقسى على نفسك أوي كده.. أنت أخطأت وكلنا خطّائين، استغفر ربنا وكل شيء هيبقى تمام وحاول متكررش ده تاني.. أنا برضو غلطت غلطة كبيرة لما روحت بيت سليم عشان أرجعله كل حاجة تخصه وعملت كده من ورا بابا، وكانت العاقبة اللي أنا فيه دلوقتي.

ظل صامتًا لا يعرف ماذا سيقول، ثم قطعت الصمت قائلة:

- صحيح أنت عملت الأشعة اللي الدكتور طلبها منك؟!

- المفروض كنت أطلع على المستشفى بعد ما أخرج من عنده بس اترددت وخُفت..

- خُفت من إيه؟

- الدكتور قالي إن الموضوع متعلق بأمور نفسية أو عضوية، وأنا مش بشتكي من أي حاجة نفسية في الوقت الحالي خاصةً الأسباب اللي ذكرهالي، فكده السبب هيبقى أكيد عضوي.

- الصداع اللي كان بيجيلك كده، كان صداع قوي؟

- أنا كنت بحس إني هموت من كتر ما أنا مش قادر أتحمله..

شعرت نور بالقلق فوضعت يدها على يده فنظرت إليه بحنان وطمأنته قائلة:

- متقلقش يا عمر.. أنا جنبك وهاجي معاك بكرة بإذن الله وهنخلص كل حاجة سوا..

ظل ينظر إليها وقد ران عليهما الصمت قليلًا فسحب يده وقال بتلعثم:

- لا لا روحي شغلك ومتتعبيش نفسك.. أنا هخلص كل حاجة لوحدي.

- لا مش هسيبك لوحدك ومش عايزاك تقلق، وآه صحيح عايزة الفت نظرك لحاجة..

نظر إليها بفضول متسائلًا:

- حاجة إيه؟

- أنت نفسيتك كانت متدمرة ف بداية معرفتي بيك، لو تفتكر اللي حصل قبل ما تعرف حقيقة إننا عيلتك الحقيقية.. ساعتها بس بدأت تتحسن وبدأت حياتك تستقر، فيمكن ده بسبب حاجات قديمة ويمكن ده كان عندك من بدري وأنت اكتشفته مؤخرًا لما بقيت وسط ناس بياخدوا بالهم منك..

ظل صامتًا يفكر في كلامها، ثم ربتت على كتفه وقالت بابتسامة بريئة:

- متقلقش.. الموضوع هيطلع بسيط وهيتعالج ف أسرع وقت.. حاول تنام عشان هنصحى بدري.. تصبح على خير.

فوقفت متوجهة نحو الغرفة، بينما كان يراقبها بابتسامة هادئة ترتسم على وجهه، شاردًا في طيبتها التي لطالما أدهشته. أغمض عينيه وأسند رأسه للخلف غارقًا في التفكير بمصيره. في صباح اليوم التالي، كانت نور تتهيأ ليوم جديد، ثم توجهت لإيقاظ عمر. استجاب لندائها، وسأل عن الوقت فأجابته بأنها التاسعة، فنهض سريعًا ليبدأ هو الآخر استعداداته. عندما خرجا من العمارة، وقفا بانتظار سيارة أجرة، فتوجه بنظره نحوها وقال:

- صحيح أنتِ ليه مش معاكِ عربية؟

- لا هي موجودة ومركونة.. بس أنا بصراحة مش بآمن بسواقة الستات ومش بحب السواقة.. شغل الرجال للرجال.

فنظرت أمامها وكان ينظر إليها بإعجاب لأنها كانت تلتزم بمبادئها فنظرت إليه وقالت:

- كنت حابة أقولك حاجة وأتمنى إنك متخذلنيش، بس مش دلوقتي.. لما نخلص اللي رايحين نعمله..

- أوكي ماشي..

عقدت حاجبيها باندهاش ونظرت إليه متفاجئة ثم قالت:

- إيه ده! أنت معندكش فضول خالص كده؟!

ضحك وقال:

- مأنا لو أصريت إني أعرف برضو مش هتقولي، فهصبر أحسن..

ابتسمت وقالت:

- لا عجبتني.. يلا التاكسي جيه..

فتوجها معًا إلى المستشفى، حيث كان عمر ينتظر دوره في الكشف، ونور تجلس بجواره تطمئنه برفق. سألته ما إذا كان قد حجز موعدًا آخر مع الطبيب، فأجابها بأن الطبيب طلب منه العودة فور ظهور نتائج الأشعة والتحاليل. ربتت على يده بهدوء، وظلا جالسين هكذا حتى جاء دوره ودخل إلى غرفة الكشف، بينما بقيت نور تنتظره في الخارج مشوبةً بالقلق. وعندما خرج أخبرها أن الكشف قد انتهى، لكن النتائج لن تكون جاهزة قبل ساعتين أو ثلاث. أومأت برأسها بتفهم، وخرجا معًا من المبنى وجلسا على أحد المقاعد في حديقة المستشفى، فسألها:

- هتشربي إيه؟

- أنت هتجيب إيه؟

- أنا هجيب قهوة، وأنتِ؟

- قهوة.

فابتسم وأومأ برأسه قبل أن ينصرف، تاركًا إياها تراقبه بنظرة شاردة وهو يبتعد. بقيت منتظرة، تغرق في أفكارها، حتى عاد حاملاً فنجان القهوة ومده إليها، فشكرته وجلست بجواره. ابتسمت فجأة بصوتٍ مسموع، كأنها تذكرت شيئًا مضحكًا، فنظر إليها بدهشة وسألها:

- بتضحكي على إيه كده؟

- افتكرت حاجة..

- افتكرتِ إيه؟

- ما أنا مش عايزة أقلب عليك المواجع..

فابتسم بألم وقال:

- افتكرت وفهمت.. قصدك على أول مرة اتقابلنا فيها وأنتِ جيتِ ورايا هنا عشان تكملي عليا؟

ضحكت نور وقالت:

- هتصدقني لو قولتلك إني جيت وراك على بيتك اللي حصلت فيه الحادثة قبل ما أجي على المستشفى!

- طبعًا ما حضرتك صحفية بقى وأكيد كنتِ جاية عشان مصلحتك..

- والله لا.. الموضوع مش كده خالص، أنا كنت حاسة بالذنب من ناحيتك بعد اللي حصل ولما روحت أنا ومريم عند بيتك اتفاجئت بوجود بابا هو كمان وجينا كلنا وراك بس أنا مكنتش فاهمة أي حاجة الحقيقة..

احتسى رشفة من القهوة، وعيناه تائهتان في الأفق، غارقًا في صمت عميق. ثم التفت إليها فجأة ونظر إليها نظرة عميقة اخترقت قلبها وجعلته يرتجف، وقال لها:

- أعترفلك اعتراف؟

ازدادت رجفتها فأومأت برأسها فقال:

- كنت نايم هنا..

فشاور على المقعد، ثم أكمل قائلًا:

- نمت من غير ما أحس.. من كتر التعب لقيت نفسي غرقت، وقتها حلمت حلم غريب أوي صحيت منه على خبر موت أمي.

- حلم إيه؟

- كنت بحلم بيكِ.. رغم إني مشوفتكيش غير مرة وحتى ملحقتش أحفظ ملامحك..

ازدردت ريقها وقالت:

- حلمت بإيه؟

- حلم شبه الحلم اللي أنتِ حلمتيه.

صمتت قليلًا ثم قالت بنبرة خجل:

- حلمت إننا بنتجوز؟

- أيوة.. ووقتها مكنتش فاهم إيه اللي بيحصل وبعدها حكيت لوالدك أول ما افتكرت الحلم ده..

- ممكن أسألك سؤال؟

- اتفضلي.

سعلت ثم قالت بتلعثم:

- كنت حاسس بإيه وقتها؟

ضحك وقال ببرود:

- ولا أي حاجة..

تلاشت ابتسامتها عندما اجتاحها شعور بالإحراج، فنهض وأخبرها ببرود أنه سيذهب ليشتري بعض المياه، ثم انصرف، تاركًا إياها تشعر بالضيق من رد فعله. وبعد مرور ساعتين، حصل عمر على نتائج التحاليل والأشعة، وقرر الذهاب بها إلى الطبيب بعد أن أوصل نور إلى المنزل. جلس عمر أمام الطبيب، ينتظر بفارغ الصبر لسماع النتائج، ليخبره الطبيب أخيرًا أنه لا يعاني من أي مشكلة عضوية تؤدي لفقدان الذاكرة. شعر عمر بارتياح كبير، وأخذ يحمد الله مرارًا، ثم سأل الطبيب باندهاش:

- طب ما أنا لو مش بعاني من أي مشكلة عضوية أومال إيه سبب اللي أنا بمر بيه؟!

- عندك مشاكل نفسية والأفضل إنك تلجأ لطبيب نفسي في أقرب وقت عشان مشكلتك تتحل.

- مشاكل نفسية؟

- ملهاش تفسير تاني.. الأشعة طلعت نضيفة ومفيهاش أي حاجة متعلقة بالمخ أما التحاليل فأنا هكتبلك على بعض الڤايتمينات عشان عندك نقص في فيتامين د ونقص في الهيموجلوبين.

- تمام يا دكتور.. شكرًا لحضرتك..

أخذ عمر ورقة الأدوية وغادر العيادة، ليهاتف نور ويطمئنها بأنه لا يعاني من أي مرض عضوي، فشعرت نور بسعادة غامرة. ثم طلب منها عنوان العيادة التي تعمل فيها شقيقتها، فأرسلته له بعد أن أخبرها عن السبب، واستقل سيارة أجرة متجهًا إلى هناك.

عند وصوله، طلبت منه المساعدة أن ينتظر قليلاً حتى تخرج الحالة التي كانت في الداخل، فجلس ينتظر بصبر. وعندما خرجت الحالة، دعت

ملك عمر للدخول. ألقى عليها التحية، وردت هي التحية بابتسامة، ثم قالت:

- عاش من شافك يا أستاذ عمر..

- الله يخليكِ.. عندك مواعيد دلوقتي ولا فاضية؟

- لا معنديش.. قدامي لسه ساعة وأطلع على المستشفى، إيه أخبارك؟

- أنا الحمدلله كله تمام..

- نور كلمتني وقالتلي إنك جاي.

- بصراحة أنا فِ مشكلة ومش عارف أتصرف ازاي..

- مشكلة إيه خير؟

(14)

"مكابرة"

- بقالي فترة بحس بفقدان ذاكرة مؤقت ومش عارف إيه السبب..

أمسك دفترها لتدوّن ما يقوله عمر، فسألته:

- واحدة واحدة عايزاك تقولي.. بدأت تحس بـ ده امتى وإيه الأعراض اللي كانت بتحصلك.

- بقالي أكتر من سنة.. أول مرّة حسيت بالموضوع ده في بداية شغلي في الكافيه، وتقريبًا بعد اليوم اللي عرفنا فيه خبر قتل مدير الكافيه..

- طب قولي إيه اللي كنت بتحس بيه قبل ما تفقد جزء من ذاكرتك وإيه اللي بتحس بيه لما بترجع تاني.

- أنا ببقى كويس لحد ما بحس بصداع شديد بيبقى هيفرتك دماغي وبعدها كأني بفقد الوعي، ولما برجع تاني ببقى لسه صاحي من النوم وآخر حدث كان بالنسبالي هو الصداع اللي كنت بحس بيه.

- طب ما يمكن تكون فعلًا بتفقد الوعي وأنت مش حاسس بـ ده!

- والله يا دكتورة أنا كنت فاكر إن عندي مشكلة خطيرة لحد ما روحت لدكتور مخ وأعصاب.

- وبعدين.. قالك إيه؟

- كتبلي على تحاليل وأشعة عملتهم والنتيجة طلعت نضيفة ومفيهاش أي حاجة.. فقال يبقى ده سبب نفسي مش عضوي.

- أنت ممرتش بأي صدمة نفسية عيشتها فِ طفولتك؟

- هي طفولتي كانت صعبة فعلًا بس مش لدرجة صدمة نفسية، أنا من صغري وأنا بتقبل أي مصيبة بتحصل، بزعل عادي زي أي إنسان بس مبديش الحاجة أكبر من حجمها..

- طب ممرتش باكتئاب لفترة طويلة؟

- أكيد مريت كتير بس مكنش في أي حاجة بتحصل لحد ما حصلت الحادثة بتاعت بيتنا القديم والست اللي ربتني توفّت.

- هل كنت بتشعر بـ ده قبل وفاتها ولا بعد؟

- لا.. بعد..

- على العموم أنا مش عارفة أشخصك ازاي بس كل اللي ممكن أقولهولك إنك تطلب من نور إنها تراقب تصرفاتك وأنت تكون معاها خطوة بخطوة وتعرفها كل حاجة.. عشان لو لاحظت أي حاجة غريبة تقولك على طول ودي هتبقى فترة مؤقتة طبعًا..

- صحيح في حاجة أنا نسيت أقولهالك..

- إيه هي؟

- فِ مرة من المرات كنت عندكم ونمت ليلة هناك، ف الليلة دي نور قالتلي إنها شافتني وأنا بشرب سجاير وأنا فِ الحقيقة مش بدخّن!

- وبعدين؟!

- ساعتها أنا كذّبتها واتهمتها بالجنون.. بس هي ليه برضو هتلفّق حاجة زي كده من دماغها؟

- طب هي لاحظت حاجة تاني؟

- يوم ما سليم اتقتل، ساعتها نور قالتلي برضو إني كنت سهران معاها لحد الصبح وأنا مش فاكر أي حاجة غير إني كنت نايم وصحيت من النوم على ١١ بالليل وكنت فاكرها ١١ الصبح..

شعرت ملك بالارتباك وظلت صامتة لأنها شكت في شيءٍ ما ولكنها لم تخبره بما يدور في ذهنها حتى تتأكد من صحة شعورها، فقالت له لتنهي هذا الحوار:

- طب على العموم لازم تعمل زي ما قولتلك، تخلي نور جنبك الفترة دي وإن شاء الله خير..

- أنا متشكر أوي يا دكتورة.. تعبتك معايا..

- ده واجبي.. ولو فِ أي حاجة فِ أي وقت تعالى على طول من غير مواعيد.

- اتفقنا.. سلام عليكم.

- وعليكم السلام..

غادر عمر الغرفة، وبعد لحظات دخلت المساعدة لتخبر ملك بأن الساعة أصبحت الرابعة، فطلبت منها أن تنصرف، بينما بقيت شاردة، غارقة في التفكير في حالة عمر وما يمر به. في تلك الأثناء، كان عمر في

طريقه إلى المقهى، وعند وصوله، طمأن رامي على حالته وأخبره أنه بخير، لكنه سيخضع لعلاج نفسي بناءً على نصيحة طبيب المخ والأعصاب. فابتسم رامي مطمئنًا إياه بأنه سيتجاوز هذه المرحلة بسلام.

ومع مرور الأيام، بدأ عمر يعود إلى عمله بتركيز والتزام أكبر، متخذًا قرارًا بالاستمرار فيه والاهتمام بمسيرته المهنية. كما شعر بتطور إيجابي في علاقته مع نور، وأصبحت شبه مستقرة، لكنه لم يكن مرتاحًا لفكرة عملها دون أن يعرف سبب هذا الشعور. ومع حلول الليل وانتهاء يومه الطويل، رنّ هاتفه، وعندما رأى المتصل، أجاب بصوت هادئ، قائلًا:

- سلام عليكم أهلًا وسهلًا يا عمي أخبار حضرتك إيه؟

- أنا الحمدلله يا حبيبي أنت أخبارك إيه؟

- الحمدلله كله تمام.. لسه مخلص شغل أهو وراجع على البيت..

- طب كلم نور تجهز وهاتها وتعالوا..

- ليه خير في حاجة ولا إيه؟

- لا خير.. لما تيجوا هتعرفوا كل حاجة.. مستنيكم..

بعد مرور ساعة كان الجميع مجتمعًا على مائدة الطعام فابتسم جمال وقال بسعادة:

- أنا فرحان أوي إننا قدرنا نتلم على سفرة واحدة.. عادل وعمر عايزكم تصفوا أي زعل بينكم، عادل غلط في أسلوبه بس بلاش تنسى إن ده شغله والشغل ده مفهوش وسايط عشان احنا قرايب، هو مأمور ومضطر ينفذ الأمر، وأنت يا عادل المفروض كنت تبقى صبور شوية لحد ما الحقيقة تبان..

رد عادل وقال بنبرة ندم:

- والله يا بابا كان غصب عني وكنت متلخبط بس أنا عرفت غلطي بعد كده..

نظر إلى عمر وقال معتذرًا:

- حقك عليا يا عمر، أنا آسف لو كنت حكمت عليك حكم مسبق، وآسف على أسلوبي..

ابتسم عمر متقبلًا اعتذاره:

- ولا يهمك ده شغلك زي ما عمي قال وأنا خلاص مش زعلان، نبتدي صفحة جديدة..

فابتسم عادل بسعادة وقال:

- نبتدي صفحة جديدة..

ابتسم الجميع وبدأوا بتناول الطعام وسط أجواء مريحة ودافئة. وبعد أن انتهوا، جلسوا معًا يتبادلون الأحاديث، فتوجه جمال بالكلام إلى الجميع قائلاً:

- أنا حبيت أجمعكم النهاردة عشان حاجتين، أول حاجة إننا نخلص موضوع الزعل ده والحمدلله أهو خلص خلاص، تاني حاجة وهي إني نويت أفتح شركة عقارات وعايزكم معايا.. طبعًا أنا عارف إن عادل صعب يسيب شغله وكذلك ملك، بس عمر ونور وممكن ندى وكمان أسماء، عايزكم تكونوا معايا في الشغل وأهو هيبقى على مزاجكم ومش هتبقوا تحت إدارة حد غريب..

رد عمر وقال:

- والله يا عمي دي فكرة كويسة جدًا.. بس زي ما حضرتك شايف كل واحد متعلق بشغله ومش هيقدر يسيبه أو يغيّره..

- أنت مش كنت عايز تشتغل في الشئون القانونية يابني؟

- دي حقيقة بس من ساعة ما اتثبتت مدير المكان اللي أنا فيه وأنا فعلًا نسيت الموضوع ده..

- وأنتِ يا نور رأيك إيه؟

- أنا مع حضرتك فِ أي حاجة هتقولي عليها بس للأسف مش هقدر أسيب الصحافة فممكن أبقى معاك ومن ناحية تانية مسيبش شغلي..

شعر عمر بالضيق ثم قال:

- بس احنا اتفقنا يا نور إنك هتستقيلي..

ضحكت نور وقالت بنبرة ساخرة:

- أنا متفقتش معاك على أي حاجة.. أنت اللي عايز تتحكم فيا بأي طريقة..

ضحك عادل وتذكر حاله مع زوجته، فقال عمر:

- وأنا قولتلك قبل كده إني جوزك وليا حق عليكِ يعني اللي أقوله يتنفذ..

تعجب جمال وكذلك عادل من لهجة عمر فقال جمال:

- اهدوا يا ولاد.. اهدوا مش كده، تعالي يا نور أنا عايزك.

فقال عادل:

- وأنا عايزك يا عمر.. عن إذنكم يا جماعة..

فذهب معه إلى الخارج وذهبت نور مع والدها إلى غرفة مكتبه فكان عمر واقف أمام المسبح واثبًا فوقف عادل بجواره ثم قال له:

- إيه الحكاية يا عمر.. من يوم النيابة وأنت اتغيرت أوي..

ضحك عمر بسخرية ثم قال:

- ده أنت مصمم تضغط عليا بقى!

- يبقى أنت لسه زعلان مني..

- لا أبدًا أنا مش زعلان ولا حاجة..

- هعمل نفسي مصدق.. بس قولي إيه الحكاية، نور كانت قايلالي إنكم اتفقتوا على الطلاق، إيه اللي اتغير؟

- أنا متفقتش معاها على حاجة..

- معنى كده إنك متقبلها فِ حياتك؟

- لا..

- يعني أنت مش متقبلها ولا عايز تطلقها، ممكن أعرف ده معناه إيه؟

- بحاول أتقبلها، ولحد ما ده يحصل في حاجات كتير لازم تتغير..

- أفهم من كده إنك خلاص رضيت عن الجوازة بعد ما كنت متدبس فيها؟

- مقدرش أنكر إنها جدعة وطيبة وبميت راجل، بس أنا عندي مبدأ وطول عمري رافض إن البنت اللي هتكون مراتي تبقى بتشتغل وخاصةً فِ مكان فيه اختلاط..

ضحك عادل وقال:

- والله أنا لحد دلوقتي مش متقبل إن ندى بتشتغل بس بقول هي دكتورة وهما محتاجين لوجودها في المستشفى وعملت أكتر من مشكلة بسبب الموضوع ده وكنا على وشك إننا ننفصل بس شاء القدر وكل حاجة اتصلحت ومبقتش بفكر فِ الموضوع ده عشان منشدش أنا وهي مع بعض..

- يعني أنا مطلوب مني إيه دلوقتي؟ عايزني أعمل زيك؟

- ثواني بس يا عمر في حاجة أنا عايز أفهمها منك.. أنا كنت رافض شغل ندى عشان حاجتين أول حاجة عشان موضوع الاختلاط والحرمانية ودي حاجة النقاش أو الجدال فيها مفروغ منها، والسبب التاني بينطبق على السبب الأول ألا وهو إني بغيير عليها، عشان بحبها..

ظل عمر صامتًا فرمقه عادل بنظرة شك، ثم قال له:

- أنت بقى إيه؟ إيه أسبابك؟ مجرد تسلط وتحكم وفرض رأي ولا أنت فعلًا بدأت تحب نور وتغيير عليها بس أنت بتكابر؟

- مفيش الكلام ده.. أنا كل اللي خايف عليه هو منظري وبس ومش عايز أي حد يعرف إني قادر أصرف على بيتي وموفرلها كل اللي احتياجاتها وهي برضو مصممة تشتغل، ممكن أعرف إيه اللي يخليها تشتغل؟

- يعني أنت كل اللي هامك منظرك صح كده؟

- أعتقد المفروض أنتوا قبلي ومن قبل ما أعرفها أو تدخل حياتي، نور مش محتاجة لأي شغل.

- ومين قالك بقى إني متكلمتش معاها فِ الموضوع ده مليون مرة، أنا عايز أقولك إن فِ الفترة اللي كانت فيها مشاكل بيني وبين ندى كانت علاقتي بنور سيئة جدًا، كانت أسوأ مما تتخيل خاصةً لما كنت بشوفها بتعمل تحقيق صحفي فِ أي جريمة أنا كنت بحقق فيها كنت بتجنن، وياما اتكلمت وكلنا اتكلمنا بس هي مش صغيرة عشان نجبرها تعمل حاجة هي مش عايزاها.. وعلى فكرة نور كان عندها استعداد إنها تسيب الشغل بعد الجواز، يعني عايز أقولك إن لو كانت جوازتها ليك طبيعية كانت بقت زي الخاتم فِ صباعك..

- طب وده أعمله ازاي؟

- هو هيبقى صعب وهياخد وقت، بس هيجيب نتيجة..

- اللي هو!

- إنك تبينلها الحب والاهتمام والتقدير، وطالما هي بتحبك يبقى هتتنازل عن أي حاجة فِ سبيل إنها تسعدك بس لو شافت منك التقدير..

غادر عمر الغرفة، غارقًا في التفكير في كلمات عادل، بينما على الجانب الآخر، كان جمال يتحدث مع نور حول موضوع عملها. أخبرها بأنه لن يتمكن من طلب مساعدتها في افتتاح شركته الجديدة، خاصة بعد إصرار عمر على أن تترك عملها المعتاد. غضبت نور وأعلنت أنها لن تتخلى عن عملها، وأنها ستكون بجانبه وتساعده في شركته متى احتاج ذلك، دون أن يضطر لطلبه. اعترض جمال على لهجتها وعنادها، وطلب منها أن تطيع أوامر زوجها، فأخبرته بحدة أنها لا تعتبر نفسها زوجة لعمر إلى

الحد الذي يملي عليها ترك عملها والإنصات لأوامره، التي تراها بلا قيمة. ثم استأذنت وخرجت من الغرفة، لتلتقي بعمر في الداخل، ونظرت إليه نظرات غاضبة. ناداها عادل وطلب منها الجلوس للتحدث بهدوء، وأخبرها أن عمر لن يطلب منها مجددًا ترك العمل، وأنها ستستمر كما تشاء طالما أنها لا تفعل شيئًا مسيئًا، وكان هذا حلاً مؤقتًا اتفق عليه عادل مع عمر على أمل أن تتخلى نور عن العمل بمرور الوقت وبدون ضغوط. شعرت نور ببعض الراحة، بينما قرر جمال إنشاء شركته بنفسه، دون طلب مساعدة من أحد.

في صباح اليوم التالي، كانت نور في الجريدة تتابع الأعمال المتراكمة، لتتفاجأ بخبر عن رجل أعمال مصري يُدعى "كمال الجندي"، وعندما قرأت عنه، علمت أنه متورط في عمليات احتيال كبيرة، لكن لم تُثبت عليه أي تهمة قانونية. شعرت نور بالضيق؛ فهذه ليست المرة الأولى التي تصادفها أخبار مماثلة. عندما تصفحت مواقع التواصل الاجتماعي، وجدت الكثير من رجال الأعمال الصغار يشتكون منه، لكنهم عاجزون عن استرداد حقوقهم. قررت نور الذهاب لإجراء تحقيق صحفي معهم، ومعرفة حقيقة الأمر، بموافقة رئيس التحرير. بعد جمع الشكاوى، قامت نور بكتابة مقال يكشف حقيقة كمال الجندي ونشرته. انتشر المقال بسرعة كبيرة، محققًا مليون مشاهدة خلال ساعة واحدة فقط.

***

على بُعد كيلومترات، في مدينة السادس من أكتوبر، يبرز مبنى فخم مغلف بالزجاج المقوّى، إنه مقر شركة "كمال الجندي" الثري الذي أشعلت المقالة غضبه، رغم أنه لم يُظهر ذلك أمام موظفيه. كان جالسًا في مكتبه يتابع ارتفاع عدد مشاهدات المقال وهو في قمة غضبه، متسائلًا بغضب: "من تكون هذه الصحفية الجريئة التي تجرأت على فضحه بهذا الشكل؟!" وضع جهازه اللوحي جانبًا واستدعى سكرتيره، طالبًا منه أن يبلغ رجاله بضرورة عقد اجتماع عاجل خلال نصف ساعة.

مرت نصف ساعة، واجتمع كمال برجاله وطلب من أحدهم جمع معلومات دقيقة عن نور؛ فهو يريد أن يعرف كل شيء عنها. بعد الاجتماع، قرر كمال التوجه إلى المعادي لمقابلة رئيس تحرير الجريدة لحذف المقالة المثيرة للجدل.

بعد ساعة، وصل كمال إلى مقر الجريدة برفقة رجليه وسائقه، وسأل عن رئيس التحرير. حينها شعرت مريم، السكرتيرة، بالقلق وأرشدته إلى المكتب، ثم أسرعت إلى غرفة نور وأخبرتها بوصول كمال. شعرت نور بالصدمة وقررت أن تغادر فورًا إلى منزلها لتجنب هذا اللقاء.

***

- طب طالما أنتِ خايفة أوي كده.. إيه اللي خلاكِ اتجرأتِ من الأول وكتبتِ عنه!

هكذا قال لها عمر عندما أخبرته عن وجود كمال في الجريدة، فردت عليه قائلة وهي تحتسي القهوة التي صنعها لها بشرود:

- مش أول مرة أكتب عن رجل أعمال محتال، بس أول مرة أكتب مقال يجيب مشاهدات عالية وبالسرعة دي، وأول مرة يبقى فيه رد فعل من أحدهم برضو بالسرعة دي..

جلس معها وقال:

- شكلك عايزة تودي نفسك ورا الشمس، أنا من رأيي تحذفي المقال ده خالص وتقدمي اعتذار لأن الله أعلم الراجل ده ممكن يعمل إيه، ده ممكن يرفع عليكِ قضية سب وقذف!

- ميقدرش يعمل كده لأنه بالفعل مرفوع عليه قضايا بس محدش عارف ياخد منه لا حق ولا باطل..

- طب أنا عايز أفهم حاجة دلوقتي.. طالما هو مشتبه فيه أوي كده أنتِ إيه اللي مخوفك؟

- مش عارفة.. أنا طول عمري وأنا شغالة فِ قسم التحقيقات، عمري ما اتوترت بالطريقة دي..

- يمكن عشان أول مرة تنزلي حاجة وتجيب نتيجة بالسرعة دي.. طب أنتِ ناوية تعملي إيه دلوقتي؟

- أنا هرجع الجريدة.. زمانه مشي.

- كلمي صاحبتك الأول اعرفي منها.

- هكلمها وأنا فِ طريق..

فنهضت واتجهت إلى الباب، ثم نادى عليها قائلًا:

- نور..

وقفت عندما نادى عليها، فاستدارت واقترب إليها ثم قال وقد بدا عليه القلق:

- ياريت تخلي بالك على نفسك..

ابتسمت وقالت:

- حاضر، متقلقش عليا أنا متعودة..

خرجت نور من المنزل، وفي هذه المرة، شعر عمر بشعور غريب من القلق والخوف عليها، وهو ما لم يكن قد اختبره من قبل. عاد إلى الجريدة بعدما تأكد من أن كل شيء على ما يرام، لكن كان هناك شيء في قلبه لا يدعه يهدأ؛ لم يكن يعرف ما حدث في مكتب رئيس التحرير بعد.

أما كمال، فقد كان في طريقه إلى شركته، غاضبًا بشدة من نتيجة لقائه مع رئيس التحرير ورفضه لحذف المقال. كلما تذكر أن نور لم تكن موجودة لتساعده في حل الموقف بالتراضي، زادت نيرانه غضبًا. فتوجه إلى أحد رجاله الأقرب إليه، المدعو "زين"، قائلاً بحدة:

- بقولك إيه يا زين..

- اتفضل يا باشا..

- عملت إيه فِ موضوع جوازك؟

- للأسف محصلش نصيب..

- ده ليه كده؟

- طلباتهم كتيرة وأنا بصراحة مش هقدر أوفرلهم كل اللي طالبينه مني.

- وأنا موجود! ازاي تاخد قرار بفسخ خطوبتك قبل ما تلجألي؟

- والله يا كمال بيه مكنش ليا عين وكنت حابب أعتمد على نفسي بس لعله خير..

- لا راجل ياد.. أنت قولتلي إنك خريج إعلام؟

- أيوة يا باشا..

- طيب.. اتحريت عن الصحفية اللي اسمها نور صقر دي ولا لسه؟

- تحرياتي لسه مكملتش، بس اللي عرفته عنها إنها خريجة إعلام جامعة القاهرة، اتخرجت من ٤ سنين وبتشتغل في الجريدة من قبل ما تتخرج عن طريق واسطة جابهلها أبوها اللي اسمه جمال صقر.. أبوها يبقى مدير بنك "...." فِ المعادي.. هي من عيلة غنية وأخوها رائد بيشتغل في المباحث.

- لا ده كده الموضوع بقى أصعب بعد أخوها الرائد ده.. عرفتلي متجوزة ولا لا؟

- على حد علمي واللي عرفته من حسابها الخاص على السوشيال الميديا إنها مش متجوزة..

- طب جهز نفسك بقى..

- لـ إيه يا فندم؟

- هتعرف كل حاجة بعدين.. مش دلوقتي، وياريت لو في أي واحدة فِ دماغك الفترة دي تقفل على موضوع الجواز ده خالص لحد ما نشوف شغلنا ده هيرسى على إيه..

- لا من الناحية دي متقلقش.. مبقتش أفكر فِ الموضوع ده دلوقتي خالص.

- كويس أوي.. عشان شكلنا داخلين على فترة صعبة.

***

حل الليل، وكانت نور في منزلها تحضر الطعام، غارقة في أفكارها بشأن المقال الذي كتبته عن كمال. خرجت من المطبخ وكانت تنتظر قدوم عمر من العمل. أثناء انتظارها، أمسكت بهاتفها وتصفحت التعليقات على مقالها، حتى لفت انتباهها تعليق مختلف من أحد الأشخاص، جاء فيه: "الراجل ده حرفيًا خرب بيتي وخد مني كل حاجة بحجة الاستثمار، ويوم ما رحت طالبت بفلوسي قال لي أنت ملكش حاجة عندي. ساعتها قدمت بلاغ لكن مفيش دليل ضده، ولحد دلوقتي مش عارف أرجع حقي. الأمل فيكم ترجعوا لي حقي اللي ضاع." تابعت نور الردود على هذا التعليق حتى قرأت ردًا آخر أثار غضبها: "القانون لا يحمي المغفلين". كانت على وشك الرد على هذا الشخص، لكن صوت المفتاح في الباب أوقفها. تركت هاتفها جانبًا، ودخل عمر من الباب وألقى عليها السلام. فردت عليه بابتسامة هادئة وأخبرته أن الطعام على وشك الانتهاء، ثم عادت إلى المطبخ. دخل هو إلى الحمام، وعندما خرج، كانت نور قد

وضعت الطعام على المائدة. جلس عمر على أحد الكراسي ونظر إلى نور، ليجدها عابسة وشاردة. قال لها بقلق:

- أنتِ كويسة؟

- الحمدلله..

- في حاجة حصلت معاكِ النهاردة بعد ما رجعتِ الجريدة؟

- لما وصلت كان كمال مشي بس مريم قالتلي إنه سأل عليا..

- أنا متابع المقال على المنصة وعلى صفحة الجريدة على الفيسبوك، قلبتِ الدنيا عليه..

- وده اللي راعبني.. كل ما بيزيد عدد التعليقات والمشاهدات بحس بخوف.

- أنا من رأيي تحذفيه وتكبري دماغك من الموضوع ده..

- مينفعش أكبر دماغي من موضوع خطير زي ده خاصةً إن حقوق ناس كتير ضاعت ومش عارفين يستردوها!

- بس أنتِ كده هتبقي فِ خطر! والموضوع مش مستاهل تجازفي عشانه..

- لا مستاهل، ومستاهل جدًا كمان، وأنا هقوى وهجمد ومش هخاف من أي حاجة ومش هستريح ولا هسكت غير لما الراجل ده يدخل السجن..

- أنتِ حرة.. أنا عملت اللي عليا ونصحتك.

- هو أنت فاكر إن نزول الخبر أو حذفه ده بمزاجي! أنت ناسي إن فيه مدير تحرير ورئيس تحرير وده الراس الكبيرة! يعني مينفعش نخطي خطوة قبل ما يعرف احنا هنعمل إيه!

- غريبة.. ده الراجل ده نفسه بقى فِ خطر، للدرجة دي عنده ضمير!

- تخيّل! انسى بقى الموضوع ده ويلا ناكل قبل ما الأكل يبرد..

في صباح اليوم التالي، كانت نور في طريقها إلى مكتب رئيس التحرير لتسليم بعض التقارير التي كتبتها عن كمال الجندي. تفاجأ رئيس التحرير كثيرًا من اهتمامها الزائد بهذه القضية، لكنه دعمها بشكل كبير وطلب منها أن تستمر في التحقيقات. حين سألته نور عما حدث في اللقاء مع كمال الجندي، أجابها أنه كان يريد حذف المقال، لكننا رفضنا ذلك بشدة. فقالت نور بجدية:

- طبعًا وحضرتك رفضت صح؟

- أنا رفضت لسبب، إنه لو هو راجل ماشي فِ السليم زي ما بيقول يبقى ليه بقى ييجي لحد الجريدة ويطلب إنها تتحذف! ده بقى أثبتلي أكتر إن الناس اللي اتنصب عليهم دول كلهم كان معاهم حق.

- وازاي البوليس سايبه كده!

- أي قضية كانت بترفع عليه كانت بتسقط لأن اتضح إن كل أوراقه اللي كان مقدمها للنيابة سليمة ١٠٠٪ بل كمان قدم بلاغات عن الناس اللي رفعوا عليه قضايا واتهموه إنه محتال..

- أنا مش قادرة أصدق! معقول ده بجد؟!

- ده راجل حويط يا مدام نور وذكي جدًا وواعي، وعارف هو بيعمل إيه كويس أوي بس مسيره فِ يوم من الأيام ويقع..

- على العموم أنا شغالة على مقال جديد بناءً على التعليقات اللي شوفتها امبارح وهتلاقيها عند حضرتك فِ التقرير..

- مستني أشوفه..

- عن إذن حضرتك يا فندم..

خرجت نور من مكتب رئيس التحرير وكانت تهاتف ملك لتخبرها عن دعم رئيس التحرير لمقالها. وأثناء سيرها إلى مكتبها، اصطدمت بأحد الأشخاص، ليكتشف أنه "زين"، أحد رجال كمال الجندي. سقط هاتفها من يدها نتيجة الاصطدام، فاعتذر لها بأدب على ما بدر منه. نظرت إليه بسرعة دون أن ترفع عينيها، وقالت ببرود:

- ولا يهمك حصل خير..

نزل إلى الأسفل ليلتقط هاتفها وقال وهو يعيده لها:

- حضرتك شغالة هنا؟

- أيوة، تؤمر بأي مساعدة؟

مد يده ليصافحها ثم قال باسمًا:

- أنا زين، وأنتِ؟

ظلت تنظر إلى يده ثم قالت:

- حضرتك أول مرة تشرف هنا، كنت بتدور على حد معين؟

شعر بالإحراج فسحب يده وقال:

- عايز مكتب رئيس التحرير..

- آخر الطرقة يمين..

مضت نور بسرعة وهي ترمقه بنظرة اشمئزاز، وعادت إلى مكتبها دون أن تتحدث معه. دخل "زين" إلى مكتب رئيس التحرير وقدّم له سيرته الذاتية، طالبًا العمل في الجريدة. طلب منه رئيس التحرير أن يتوجه إلى مكتب الموارد البشرية لإجراء مقابلة، فأومأ برأسه بخفة وخرج من المكتب متجهًا إلى هناك. في مكتب التوظيف، أخبروه أن الرد بالقبول أو الرفض سيصل خلال يومين. بعد أن غادر المكتب، وبينما كان يتجه للخارج، لفت انتباهه مكتب نور. وقف للحظة وهو ينظر إليها مبتسمًا بشرد، لكن بمجرد أن تحرك، نظرت نور من الزجاج فلم تجد أحدًا. في تلك اللحظة، دخلت مريم إلى المكتب وسألت نور:

- مين الراجل ده؟

عقدت حاجبيها وقالت بتعجب:

- راجل مين؟

- الراجل اللي كان واقف بيبصلك دلوقتي!

- لا مخدتش بالي.. المهم أنا خلصت كتابة المقال، وهبعته عن طريق الميل لرئيس التحرير..

- من غير ما يقرأه هينزل.. ده كفاية بتاع امبارح اللي طلع ترند وقلب الدنيا..

- برضو لازم يشوفه يمكن أعدّل فيه حاجة.. يارب بقى الراجل ده الرأي العام يتحرك ضده ونخلص من وجوده خالص.

- خير إن شاء الله..

فترة من الزمن، كان كمال في غرفة مكتبه الفارهة والكبيرة، يتحرك ذهابًا وإيابًا وهو في قمة غضبه من نور. نظر إلى "زين" بعيون مشتعلة وقال له بلهجة حادة:

- مش معقول.. مش معقول بت مفعوصة زي دي تيجي وتهد فِ لحظة كل اللي أنا بنيته فِ سنين!

- ولا يهمك يا كمال بيه.. خلال يومين بالضبط وخطة سيادتك هتتنفذ والبت دي مش هتشوف وشها تاني فِ الجريدة.

- أنا لسه هستنى يومين! لسه هستنى يومين؟!!

- لحد ما يجيلي الرد بالقبول أو الرفض..

- كمان ممكن يبقى فيها رفض!

- اهدا بس يا كمال بيه.. احنا مش عايزين نتهور عشان ساعتها ممكن نروح فِ داهية بجد!

- أنا لو مخلصتش من البت الصحفية دي اللي مبقاش وراها غيري أنا اللي هروح فِ داهية، ومش هينفع أرفع عليها قضية بسبب أخوها.. مسكتني من ايدي اللي بتوجعني!

- هدّي نفسك وكلها يومين وهبقى ملازمها زي ضلها، مش هسيبها لحظة.

- اوعى يا زين، اوعى البت دي تزوغ منك..

- عيب يا باشا ده أنا تلميذك..

عاد إلى مكتبه وجلس فقال وهو ينظر أمامه بغضب:

- أما أشوف أنا ولا هي....

عالم آخر

(15)

"مؤامرة"

كان عمر في مكتبه بالمقهى يتابع عمله ويرتب الحسابات، فنفخ في الهواء وشعر بالضيق عندما انغمس في الحسابات بهذه الطريقة. فنهض من مكانه وخرج ونادى على رامي، فأتى إليه وطلب منه أن يجد له موظف حسابات. حينها ضحك رامي وأخبره أن نادر المدير السابق عندما وظّف محاسبًا قام بسرقته وخداعه، فلم يكرر ذلك خشية أن يُسرق مرة أخرى. فاعترض عمر على هذا الحديث وقال له:

- أيام نادر بيه حاجة ودلوقتي حاجة تانية، نزل إعلان وبلاش تخليني أقابل محاسبين ستات، كفاية العلاقات العامة.

ضحك رامي وقال:

- لا متقلقش.. هقول مطلوب شاب.

شاور أحد الزبائن على رامي، فذهب رامي إليه وقدّم له القائمة. وبعدها بلحظات، نادى عليه مرة أخرى قائلًا:

- عايز قهوة من فضلك..

- حضرتك عايزها single ولا double ؟

- لا single.

- تمام حضرتك..

فذهب وطلب القهوة وأخذها للرجل، فقال له:

- اتفضل.

- دي بكام دي؟

- بـ 45.

فقال الرجل بصدمة وبانفعال:

- إيه! ليه يعني؟

عقد رامي حابيه وقال باستغراب:

- هو إيه اللي ليه حضرتك؟

- إيه الأسعار دي.. أنا هشتكي للمسئولين ومش هسكت!

- يا سلام! ما تعمل اللي أنت عايزه أنت هتهددني!

نهض الرجل وكاد أن يذهب ولكن أوقفه رامي قائلًا:

- رايح فين يا أستاذ! فين الحساب؟

- حساب إيه هو أنا شربت حاجة؟!

- حضرتك طلبت أوردر من غير ما تبص على المنيو ومن غير ما تشوف السعر والأوردر نزل لحضرتك، أنا إيه مشكلتي دلوقتي؟

خرج عمر على صوتهما فقال:

- إيه في إيه، في إيه يا رامي؟

- الأستاذ مش عايز يدفع الحساب..

نظر عمر إليه وقال:

- يعني إيه مش عايز تدفع الحساب؟

- يعني أنتوا نصابين.. وبتبيعوا الحاجة بضعف سعرها.

فابتسم عمر وقال ببرود وهو يتمالك أعصابه بصعوبة:

- وطالما حضرتك بتتهمنا إننا نصابين، جاي هنا ليه؟

قال رامي بغضب:

- أنا ممكن دلوقتي حالًا ألبسك سب وقذف!

رد عمر وقال:

- استنى أنت يا رامي.. ادفع الحساب يا أستاذ ومتبقاش تيجي هنا تاني.

- قولت مش دافع يعني مش دافع.

فتركهم وذهب وكان عمر ينظر إليه باشمئزاز فقال رامي بانفعال:

- أنت هتسيبه يمشي كده عادي؟

- روح يا رامي شوف شغلك وشيل القهوة دي.. يعني هي أول مرة نواجه حاجة زي كده وبعدين ده راجل كبير هنمسك فيه يعني ونضربه!

- أنا بجد مش فاهم إيه الطيبة المفرطة اللي أنت فيها دي!

- يا سيدي خلاص مجتش من ٤٥ جنيه أنا هضيفهم على الحساب، بس أهم حاجة دلوقتي تنزل إعلان موظف الحسابات، عايزه يكون على مكتبي بكرة إن شاء الله بالكتير أوي..

- خلاص ماشي..

***

كان جمال في أحد الأراضي الفارغة والمعروضة للبيع، يقوم بتقييم الأسعار حتى وجد أرضًا مناسبة للمشروع الذي يخطط لافتتاحه. ذهب مع البائع إلى مكتبه وأخبره أن هذه الأرض موقعها الجغرافي متميز للغاية، ولكنه لم يجد مشتريًا أفضل منه لشراء الأرض وجعلها ملكًا له. شكره جمال على كلمات المودة والإطراء التي أمطره بها، وبالفعل وقّع جمال على العقود وتم شراء الأرض. وعندما عاد إلى المنزل، قرر أن يدعو عمر ونور على طعام العشاء ويبيتون معهم تلك الليلة. وبالفعل تحدث مع عمر وكذلك نور، فوافقا وقبلا دعوة جمال.

حينها كان في غرفة مكتبه يعمل على دراسة الجدوى، واستعان بموظف اقتصاد ساعده في كل شيء حتى انتهوا. قرر أن يبدأ في إجراءات البناء من الغد بعد إصدار تصريح البناء. حل الليل ووصلت نور، فتعجب والدها من أن عمر ليس معها، فأخبرته أنها لم تنتهِ من عملها بعد، ولكنها انتهت منذ وقت فقررت أن تسبقه. جلست مع ملك التي سألتها عن حالة عمر، فطمأنتها ملك لأنها كانت لا تريد أن تقلقها أو تفشي بما تشك به. لكنها طلبت منها أن تهتم به ولن تتركه بمفرده عندما يكونان في المنزل خاصةً

في الليل. شعرت نور بالخوف، لكن هدأت ملك من روعها وطمأنتها مرة أخرى أن كل شيء سيكون على ما يرام.

بعد فترة، جاء عمر ومعه بعض الهدايا، وعندما انتهوا من تناول الطعام، جلسوا سويًا حتى جاء وقت النوم. ذهبت نور إلى غرفتها القديمة التي اشتاقت إليها كثيرًا، ومعها عمر الذي أبدى إعجابه الشديد بغرفتها وما يتعلق بها. فابتسمت نور وشكرته على امتنانه، فأخبرها أنه سينام على الأريكة. حينها اختفت ابتسامتها وأومأت برأسها ولم تبدِ أي شيء.

أخبرها أنه سينام الآن، فقالت له أن النوم قد طار من عينيها. خرجت من الغرفة ونزلت إلى المطبخ، قامت بتحضير قهوتها، وخرجت وجلست في الحديقة في هدوءٍ تام وعلى إضاءة خافتة. كانت تفكر في مسيرتها المهنية وما سيحدث في المستقبل. هل سيأتي من يؤذيها أم ستكتمل وستنجح في مهمتها على أكمل وجه؟

تفاجأت بإتيان عمر عندما جلس بجوارها، فنظر إليها وابتسم، ثم نظر أمامه بعد أن تنهد وأخذ نفسًا عميقًا. فقالت:

- منمتش يعني زي ما قولتلي..

- مش عارف أنام.

- ليه؟

- بفكر..

- بتفكر فِ إيه؟

- حاسس إن حِمل الشغل ده بقى تقيل أوي عليا، الإدارة مطلعتش حاجة سهلة..

- أي شغل عمومًا فيه مجهود مبيبقاش سهل..

أخذ منها فنجان القهوة وأخذ رشفة فضحكت، ثم قال:

- والله أنا عمال بفكر فِ كلام عمي وفعلًا بنسبة كبيرة ممكن أبقى معاه وأسلّم الإدارة لمدام إلهام وهي تتصرف بقى..

- دي فكرة هايلة.. بابا هيفرح أوي..

نظر إليها وقال:

- بلاش تقوليله حاجة دلوقتي.. لما أرتب أموري الأول وآخد قرار نهائي.

- لا متقلقش.. بابا مش هيعرف حاجة.

- هحكيلك موقف حصل النهاردة..

وضعت يديها على وجنتها وقد بدا على وجهها ملامح طفولية تصاحبها ابتسامة بريئة، ثم قالت بحماس:

- احكي...

نظر إلى وجهها البريء فأغمض عينيه للحظات، ثم روى لها قصة الرجل الذي اعترض على سعر القهوة. فضحكت نور وقالت:

- ده إيه البُخل ده، هو مش شايف المكان شكله عامل ازاي!

- والله أنا استغربت جدًا من أسلوبه وطريقته ورد فعله.

- معلش بقى.. ده آخره يقعد على قهوة بلدي.

ضحك عمر فابتسمت نور عندما رأت ضحكته، وكانت تشعر أن علاقتها به تتحسن مع مرور الوقت. فقالت:

- قولي بقى.. ملك قالتلك إيه لما روحتلها العيادة؟

- هي سمعتني بس لسه مفيش تشخيص معين..

- طب أنت ناوي تروح تاني؟

- والله أنا حاسس بتحسن لأن مبقاش يحصل معايا اللي كان بيحصل.. فمش عارف هل مرواحي ده له لازمة ولا استنى لما أحس بأعراض أفضل..

- إن شاء الله مش هتحس بحاجة ومع مرور الوقت هتبقى كويس ومتنساش برضو موضوع جوازنا والطريقة اللي اتجوزنا بيها، جايز تكون أثرت عليك برضو..

- هي أثرت عليا بعقل!

- معلش بقى لعله خير.. وأنا معاك فِ أي حاجة هتريحك..

- يعني إيه؟

- يعني لو عايزنا نتطلق وكل واحد يروح لحاله وترجع تاني لحياتك الطبيعية أنا معنديش مشكلة.

- فعلًا معندكيش مشكلة؟

- هبقى كدابة لو قولتلك إن دي شيء ممكن يريحني، بس أهم حاجة عندي أنت اللي ترتاح..

فابتسم وقال بهدوء:

- وأنا مرتاح كده..

- يعني إيه؟ أفهم من كده... إنك متقبلني فِ حياتك؟

ضحك عمر فتلاشت ابتسامتها تدريجيًا وكأنها قد أصيبت بخيبة أمل مرة أخرى. فقال:

- أنتِ مش عندك شغل الصبح.. سهرانة ليه؟

- هحاول أنام حاضر..

- أيوة يلا عشان متتعبيش بكرة بإذن الله.

- أوكي ماشي.

- يلا اسبقيني وأنا هاجي وراكِ على طول..

نهضت ودخلت إلى الداخل، متوجهة إلى غرفتها وهي تشعر بالضيق. وضعت رأسها على الوسادة وظلت مستيقظة، تفكر في حديثها مع عمر قبيل هذه اللحظة. وعندما سمعت صوت الباب، شعرت بتوتر وازدادت رجفات قلبها وجسدها. دخل عمر وأغلق الباب بهدوء وهو يعتقد أنها نائمة. جلس على الأريكة، ينظر إليها حتى غلبها النوم بالفعل. لاح على وجهه شبح ابتسامة، ثم خرج من الغرفة بهدوء تام حتى أنه خرج من المنزل بأكمله.

عاد إلى منزله وأخذ هاتف كريم الذي كان يخبئه، ففتحه ووجد الكثير من الرسائل التي كان يرسلها خالد. فهاتفه وطلب منه أن يلتقيا في نفس المكان الذي التقيا فيه من قبل. وبعد فترة زمنية، وصل كريم بالسيارة، نزل وأشعل سيجارة، وظل جالسًا ينظر إلى الظلام من فوق الهضبة التي

كان جالسًا عليها. بعد دقائق، وصل خالد. نظر كريم إليه وهو يبتسم نصف ابتسامة، وجلس خالد بجواره، فسأله:

- كل ده مش عارف أشوفك!

- كل حاجة اتلخبطت.. عمر بدأ يلاحظ وراح لدكتور وكشف والدكتور حوله لدكتور نفسي، والغبي ملقاش غير أخت مراته اللي يروح يتعالج عندها..

- وبعدين حصل إيه!

- أنا حاسس إن أخت مراته الدكتورة دي شاكة فِ حاجة..

- وأنت ناوي تعمل إيه لو كل حاجة انكشفت!

- مفيش حاجة هتنكشف.. أنا هحاول بقدر الإمكان أسيطر على عمر سيطرة كلية وده اللي بعمله الفترة دي.. ده غير إن في حاجة تانية..

- حاجة إيه؟

- عمر بدأ يحب نور..

ضحك خالد وقال باندهاش:

- مراته!

- أيوة.. وخد الكبيرة بقى، عمر بيحب نور من أول لحظة شافها فيها بس هو اللي عامل نفسه مستعبط.

- طب وسلمى لحق ينساها!

- هو محبهاش أصلًا عشان خاطر ينساها، عمر كان بيهرب من حب نور لجوازه من سلمى والحمدلله إن الموضوع ده محصلش ووجود نور من عدمه فِ حياة عمر مش هيأثر بالسلب لأني أنا مسيطر عليه إنه ميصارحهاش بأي مشاعر، أنا مستني بفارغ الصبر إني أوصل لابويا..

- أنا في خبر عرفته عشان كده كنت ببعتلك كتير..

قال كريم بانفعال يصاحبه حماس:

- خبر إيه! عرفت حاجة عن مكان أبويا؟

- لا عرفتلك مكان اللي بنسبة كبيرة ممكن عن طريقه توصل لأبوك.

***

في صباح يومٍ جديد، فتحت نور عينيها ونظرت إلى هاتفها لتجد الساعة الثامنة والنصف. شعرت بإرهاقٍ شديد، وكانت لا تقدر على العمل في هذا اليوم. وعندما استدارت للناحية الأخرى، تفاجأت بوجود عمر بجانبها. كان غارقًا في نومه، فتسارعت أنفاسها وازدادت خفقات قلبها عندما وجدته نائمًا بجوارها. اقتربت إليه بهدوء لتنظر إلى وجهه وهو نائم، فابتسمت ببراءة، ثم نهضت ببطء كي لا يشعر وخرجت من الغرفة. نزلت إلى الأسفل فوجدت والدها جالسًا يمسك بأحد الجرائد ويقرأ فيها، فقالت:

- صباح الخير يا بابا.

ابتسم جمال ورد قائلًا:

- صباح الخير يا حبيبتي.. تعالي أقعدي.

- هو لسه في حد بيقرا فِ جرايد ورق!

ضحك جمال ثم خلع نظارة القراءة وقال:

- مش متعود على الالكتروني بتاعكم ده وبعدين ما الجريدة اللي أنتِ شغالة فيها بتنشر الورقي والإلكتروني..

- أيوة بس النت بقى بينجز كل حاجة..

- لا خليني على راحتي أحسن.. صحيح أنا قرأت المقال اللي أنتِ نشرتيه امبارح والتحقيقات اللي عملتيها مع الناس اللي اتنصب عليهم، بس ده كده مش خطر عليكِ يا بنتي؟

أخذت نور تفاحة من الصحن الموضوع على الطاولة أمامها، وأخذت منها قضمة، ثم قالت:

- حضرتك بدأت تتكلم زي عمر، أنا بجد عايزة أعرف إيه اللي ممكن يعمله الراجل ده!

- أنا متأكد إنه كلم رئيس تحرير مجلتكم بعد نشر أول مقال بتهاجميه فيه..

- هو فعلًا راحله بس مواجهتوش، لأني لو واجهته الوضع ساعتها كان هيبقى صعب، حضرتك عارفني أنا جريئة ومبخافش من الأشكال اللي زي دي..

- هو زمانه دلوقتي بيتحرى عنك وأنتِ بقيتِ شغلته الشاغلة اليومين دول.. فياريت تخلي بالك على نفسك..

- لا متقلقش، كله هيبقر تمام إن شاء الله وبإذن الله فِ أقرب وقت هنسمع خبر حلو إنه اترمى فِ السجن..

- أنتِ مالك كده حاطة الراجل ده فِ دماغك أوي كده ليه، هو أول ولا آخر واحد يسرق وينصب!

- الفكرة مش فِ كده.. يمكن المحتالين والنصابين كتير ومش هيخلصوا زي ما حضرتك بتقول، الفكرة فِ اللي بيبقى معروف إنه بيعمل كده والناس مش عارفة تاخد منه لا حق ولا باطل.. أنا مع الحق دايمًا وخصوصًا إن أنا حطيت الراجل ده فِ دماغي بعد التحقيقات اللي أنا عملتها، الناس حالتها صعبة أوي يا بابا وأديك شايف احنا وصلنا لـ إيه والناس بقت ظروفها صعبة ازاي، فالحكاية مش ناقصة نصب وسرقة!

فتح عمر عينيه ليشعر بصداع خفيف، ليس كالألم الذي اعتاد عليه في المرات السابقة. نهض بسرعة ليكتشف أنه ما زال مستلقيًا على السرير. انتفض فجأة في حالة من الذعر، ولم يجد حوله أي ضوء. أغلق عينيه مجددًا بإحباط، ثم همس لنفسه:

- أنا جيت هنا ازاي وامتى! نور زمانها بتفكر فِ إيه دلوقتي!

نهض وذهب إليهما وقال لهم:

- صباح الخير..

رد عليه وجلس بجانبهما. نظرت نور إليه بابتسامة مليئة بالحنين، ثم التفتت إلى جمال وقالت:

- صحيح يا بابا عملت إيه فِ موضوع الشركة؟

- اشتريت الأرض وعملت دراسة جدوى.. بإذن الله هفتح شركة عقارات..

ابتسم عمر براحة وقال:

- الله! دي فكرة هايلة يا عمي..

- وأنا اللي كان نفسي تكونوا معايا، بس يلا خلاص بقى طالما مرتاحين كده فِ اللي أنتوا فيه..

نظر عمر إلى نور ثم أعاد النظر إلى جمال وقال:

- بصراحة كده يا عمي أنا فكرت وقررت..

- قررت إيه؟

- إن مجرد مش الشركة تتأسس أنا هبقى مع حضرتك وهسيب شغل الكافيه..

شعر جمال بسعادة ثم قال:

- اوعى تكون بتهزر معايا!

ضحك عمر وقال:

- ولا والله أنا بتكلم بجد.. تعبت من الشغل اللي أنا فيه ومبقتش حابب المجال ده.. خليني مع حضرتك أحسن.

- على العموم أنا معنديش مانع وهو ده اللي كنت عايزه من الأول أصلًا.. شغل الكافيه ده مش لايق عليك، وبإذن الله هنسرع فِ الإجراءات ويتم البناء ونبدأ نشوف هنعمل إيه والله المستعان..

- خير إن شاء الله..

نظر عمر إلى نور وقال:

- أنتِ مش هتروحي الشغل؟

- مش عارفة.. كنت بفكر مروحش النهاردة وأقضي اليوم هنا بس الظاهر كده مش هينفع أخده إجازة..

- ليه؟

- عشان المفروض كنت عملت كده امبارح.. فهضطر أروح..

- طب يلا وأنا هوصلك..

- أوكي هروح أغير هدومي..

نهضت وذهبت إلى غرفتها، بينما كان جمال يرمقها بنظرات ملؤها اللؤم. لاحظ عمر تلك النظرات، فانتبه إليها ثم قال:

- خير يا عمي..

- حاسس إني عملت خير لما جوزتكم لبعض..

ضحك عمر وهو ينظر إلى الأرض خجلاً، ثم رفع رأسه ببطء وأدار عينيه نحو جمال قائلاً:

- فعلًا دي حقيقة.. نور مفيش فِ قلبها، طيبة وجدعة وبنت أصول..

***

بعد فترة قصيرة، عادت نور وكان عمر في انتظارها. كادت تخرج معه، ولكن والدتها أوقفتها وأخبرتها أنهما لن يغادرا قبل تناول الإفطار. قال لها عمر إنهما سيتناولان الطعام خارج المنزل، لكن والدتها أصرت على أن يكون في المنزل. عندها تدخل جمال وطلب منها أن تتركهما يذهبان بحرية. فغادرا معًا، فوقف عمر أمام نور في دهشة، ثم قال:

- وقفتِ ليه؟

- أنت معاك رخصة قيادة ولا لا؟

- أيوة معايا.. ليه؟

- طب تعالى معايا..

- على فين؟

- تعالى بس..

فسحبته من يده وسحبته معها نحو سيارتها المركونة في الحديقة. وقفت أمامه، أمسكت بيديه بحنان، وقالت:

- فاكر لما كنا رايحين المستشفى وسألتني على العربية قولتلك ساعتها إني مش بآمن بسواقة الستات؟

- أيوة..

- ساعتها قولتلك إني هطلب منك طلب لما نخلص اليوم وأتمنى إنك متخذلنيش..

- انجزي يا نور احنا اتأخرنا..

- اتفضل ده مفتاح العربية.. خليها معاك ووقت ما نكون سوا زي دلوقتي كده ممكن تبقى توصلني..

تفاجأ عمر وقال:

- لا طبعًا، أنا استحالة أقبل حاجة زي كده.

- ليه، هو أنا مش مراتك وأنت جوزي؟

ظل صامتًا ثم قالت:

- بص يا عمر أنا كده كده مش بخرج بيها واديها مركونة زي ما أنت شايف كده، فبدل ما تتركن خلينا نستفاد بيها أحسن.. ممكن بقى تاخد المفتاح وتوصلني بدل ما اتأخر وتحصل مشكلة؟

وضعت المفتاح في يده وركبت السيارة. ظل واقفًا في مكانه، فاستدارت إليه من خلال زجاج السيارة ونادته، فاستجاب وصعد بجوارها، ثم انطلقا معًا.

وصلت نور إلى الجريدة، فوجدت مريم في استقبالها وأخبرتها عن وجود موظف جديد في الجريدة. تعجبت نور وسألتها عن سبب إخبارها بذلك، وأخبرتها أنها لا تهتم بهذا الأمر. ردت مريم قائلة إن الموظف الجديد هو

نفسه الذي رآها أمس وهو يراقبها. ففجرت نور نفسًا عميقًا في الهواء، وهي تبدي عدم اكتراث، ثم توجهت إلى غرفتها.

بعد بضع دقائق، نادى عليها رئيس التحرير ودعتها إلى مكتبه. وعندما دخلت، فوجئت بزين، الذي ارتسمت على شفتيه ابتسامة فور رؤيتها. نظرت إليه بنظرة استنكار وقالت:

- أنت!

طلب منها رئيس التحرير أن تجلس، فجلست بهدوء. ثم قال:

- الأستاذة نور أقدم صحفية عندنا، وده الأستاذ زين هيشتغل معانا في الجريدة ومعاكِ في القسم.. عايزك تفهميه كل حاجة عن الشغل..

تفاجئت نور ثم قالت:

- أنا آسفة يا فندم، اعفيني من المهمة دي..

- يعني إيه أعفيكِ من المهمة دي؟ هو أنتِ رايحة مأمورية!

- بالنسبالي أصعب من المأمورية..

- تمام يا نور، اتفضلي أنتِ روحي على مكتبك..

فنهضت نور وطلبت الإذن، ثم خرجت وعادت إلى مكتبها. جلست وهي تنفث الهواء بغضب. دخلت مريم وأغلقت الباب خلفها، ثم قالت:

- إيه رئيس التحرير كان عايزك فِ إيه؟

- الصحفي الجديد ده طلع اسمه زين، رئيس التحرير طلب مني إني أعرّفه كل صغيرة وكبيرة عن الشغل.

- وبعدين، وأنتِ قولتيله إيه؟

- رفضت طبعًا..

- وهو تقبّل رفضك ده بالبساطة دي!

- آه عادي، يطلب من حد غيري..

ابتسمت مريم بخبث ثم قالت:

- أنا فهمت سبب رفضك إيه... أنتِ بتحافظي على غياب عمر..

- مش بس بحافظ على غياب عمر، أنا من أول مرة دبيت رجلي فيها هنا وأنا مش بتعامل مع رجالة غير رئيس التحرير وفِ الضرورة القصوى، عندي مبدأ ومش هغيّره..

- ماشي يا ست مبادئ، أنا عدّلتلك المقال الجديد.. شوفي بقى هتعملي إيه..

- خلاص ماشي ابعتيهولي وهشوفه..

***

كانت ملك في أحد المتاجر القريبة من المديرية التي يعمل بها عادل، فقررت أن تزوره في عمله. دخلت إلى المبنى وسألت عن مكتبه. عندما وصلت، طرقت الباب ودخلت، ففوجئ عادل بذلك، وانتفض من مكانه فجأة. اقترب منها وقال:

- ملك! أنتِ إيه اللي جابك هنا في حاجة حصلت ولا إيه؟!

حاولت أن تهدأ من روعه وتجعله هادئًا ثم قالت:

- اهدا يا حبيبي مفيش حاجة، أنا كنت بشتري حاجة من محل قريب من هنا قولت أما أزورك وأعدي عليك بالمرة أشوفك..

- طب أقعدي خضتيني يا شيخة..

فجلست ملك، فسألها عادل عما ترغب في طلبه. طلبت منه فنجانًا من القهوة، وبدآ يتبادلان أطراف الحديث. بينما هما كذلك، طرق الباب وفتحه أمين الشرطة الذي ألقى التحية على عادل وأخبره أنهم ألقوا القبض على شخص بلغّت عنه زوجته. طلب عادل أن يُدخل الرجل إلى مكتبه. عندما دخل الرجل ومعه زوجته التي قدمت البلاغ، تفاجأت ملك عندما رأت المرأة. وقفت بتأنٍ، ثم نظرت إليها وقالت:

- سارة! أنتِ بتعملي إيه هنا..

كان على وجهها أثر للكمات، خاصة حول عينيها وفمها. فردّت سارة وهي تبكي قائلة:

- أنا آسفة يا دكتورة إني مسمعتش كلام حضرتك من الأول..

تعصّب عادل وأمسك زوجها من ياقته قائلًا بغضب:

- أنت عملت إيه فِ مراتك!

رد أمين الشرطة قائلًا:

- محاولة قتل يا باشا..

رفع عادل حاجبيه من فرط صدمته قائلًا باندهاش:

- حاولت تقتل مراتك؟!

نظرت ملك إليها فوجدتها تنظر إلى الأسفل وتبكي بحرقة. اقتربت منها وقالت لها:

- أنتِ لازم تطلعي على المستشفى حالًا وتعملي تقرير طبي وتيجي بيه على هنا..

- حاضر.. حاضر يا دكتورة..

وجّه عادل كلمته لأمين الشرطة قائلًا:

- خُده يا أمين دلوقتي على الحجز ده ليلته ليلة معانا النهاردة..

أمسك الأمين بالشخص وأخرجه إلى الخارج، ليصطدم بأحد الأشخاص الذي كان في طريقه لدخول مكتب عادل. عندما رآه عادل، تفاجأ لكنه ابتسم بسعادة وقال:

- سيادة النائب! أهلًا وسهلًا وأنا أقول المديرية منورة ليه!

ابتسم ذلك الشخص واقترب من عادل، وصافحه بحرارة. ثم توجه عادل بالحديث إلى ملك قائلاً:

- آسر وكيل نيابة وكان دفعتي بس كان حقوق، اتعرفنا على بعض فِ المحكمة وبقينا أصدقاء مقربين..

ثم نظر إلى آسر واستطرد قائلًا:

- الدكتورة ملك.. أختي..

وقفت ملك وقالت:

- طب عن إذنكم.. هبقى أكلمك يا عادل.

خرجت ملك من المكتب، وتعجب آسر لأنها لم تلقِ عليه السلام. فسأل عادل عنها، ليجيبه بأنها طبيبة نفسية، ومن المحتمل أن يكون حدث شيء مع أحد مرضاها، لذلك أصبحت عابسة. كان آسر ينظر إلى الباب بلطف، بينما كانت ملك في طريقها للخارج، ففوجئت عندما رأت سارة جالسة في الخارج. توقفت، ثم قالت:

- أنتِ لسه هنا مروحتيش عملتي اللي قولتلك عليه!

- قلبي مش مطاوعني يا دكتورة..

ردت ملك بانفعال وقد بدا عليها الغضب قائلة:

- سارة أنتِ هتجلطيني، الراجل كان هيقتلك أنتِ مستنية يعمل فيكِ إيه تاني! هو ساحرلك! أنا بجد مش فاهمة؟!

- مهما عمل مش هقدر أعمل حاجة تؤذيه..

- طب إيه رأيك بقى إني هخلي عادل يوصي عليه وبإذن الله ياخد إعدام!

- لا يا دكتورة أبوس ايدك بلاش، أنا هروح المستشفى دلوقتي..

- رجلي على رجلك مش هسيبك تهربي تاني..

***

انتهى دوام نور وقد حلّ الليل عليها من كثرة العمل. وعندما خرجت من الجريدة، تفاجأت بـ زين وهو يوقفها ليتحدث معها. نظرت إليه، ثم قالت بغضب:

- أنت ازاي توقفني في الشارع كده، أنت مجنون؟!

- أنا آسف.. آسف جدًا، أنا بس كنت عايز أفهم شوية حاجات وأنتِ اللي مش مدياني فرصة من الصبح!

نظرت إليه باشمئزاز، ثم تحركت لتبتعد، فتحرك هو خلفها. توقفت ثانيةً، فصاحت بصوت جهوري:

- لا ده أنت مش ناوي على خير بقى!

فوجدت سيارتها بقيادة عمر تقترب منها، فركضت نحوها وركبت بجوار عمر. نظر عمر إلى زين بنظرات حادة، ثم نظر إلى نور وقال:

- في حد بيحاول يضايقك؟

ردت نور وهي تشعر بالضيق:

- لا أبدًا مفيش حاجة..

- أومال مين ده اللي كنتي واقفة معاه؟

- مكنتش واقفة مع حد.. ده كان واحد معايا فِ المجلة معرفش واقف بيعمل إيه، وأنا كنت واقفة مستنياك..

تحرك عمر بغضب وأوصل نور إلى منزلها، ثم طلب منها أن تسبقه لأنه سيعود إلى المقهى ليحضر بعض الأوراق التي يحتاجها للعمل في المنزل. أخبرته بأنها ستعد الطعام لحين عودته. نزلت وصعدت إلى الأعلى، دخلت الحمام للاستحمام، وعندما خرجت توجهت إلى الغرفة وأخذت أحد الفساتين المحببة إليها وارتدته. ثم جهّزت عشاءً سريعًا.

عندما عاد عمر، دخل إلى المطبخ ليضع بعض الأغراض التي جلبها معه، فتفاجأ بمظهر نور، وبدأ يشعر بشيء من الضعف، لكنه استعاد رباطة جأشه وخرج من المطبخ بسرعة، متوجهًا إلى الشرفة ليعمل على جهاز الحاسوب.

عندما خرجت نور، توجهت إلى الشرفة لتخبره أن العشاء جاهز. حدّق إليها عمر بصدمة، فتلاشت ابتسامتها، ثم قالت:

- إيه في إيه؟

- أنا مش منبّه عليكِ قبل كده إنك طالما هتدخلي البلكونة يبقى تلبسي حاجة محتشمة!

(16)

"لحظة ندم"

تحرك عمر بغضب وأوصل نور إلى منزلها، ثم طلب منها أن تسبقه إلى الداخل لأنه سيعود إلى المقهى ليأخذ بعض الأوراق ليكمل عمله في المنزل. أخبرته أنها ستعد العشاء حتى يعود. نزلت إلى الأسفل وصعدت إلى غرفتها لتدخل الحمام وتستحم. بعد أن انتهت، دخلت إلى غرفتها واختارت أحد فساتينها المفضلة وارتدته، ثم أعدّت عشاءً سريعًا.

عندما عاد عمر، دخل إلى المطبخ ليضع بعض الأغراض التي جلبها معه، لكن تفاجأ بمظهر نور. شعر بشيء من الضعف، لكنه سرعان ما استعاد رباطة جأشه وخرج من المطبخ، متجهًا إلى الشرفة حيث جلس مع جهاز الحاسوب.

بعد قليل، خرجت نور من المطبخ وتوجهت إلى الشرفة لتخبره أن العشاء جاهز. حدّق فيها عمر بدهشة، فاختفت ابتسامتها، ثم قالت:

- إيه في إيه؟

- أنا مش منبّه عليكِ قبل كده إنك طالما هتدخلي البلكونة يبقى تلبسي حاجة محتشمة!

ظلت صامتة للحظة، ثم نهض فجأة وأمسك بذراعها بشدة، جاذبًا إياها إلى الداخل. نظرت إليه بعيون مليئة بالألم، ثم قالت:

- إيه في إيه سيبني وجعتلي دراعي!

- أنتِ عايزة إيه بالضبط! من شوية شوفتك واقفة بتتكلمي مع واحد غريب في الشارع معرفش مين ده وليه أصلًا تقفي تتكلمي معاه، ودلوقتي داخلة البلكونة بمنظرك ده مع إني منبه عليكي قبل كده إنك متدخليش وأنتِ كده!

- وأنت إيه اللي مضايقك بقى! هو أنت صدقت اللعبة واتحولت بالنسبالك لحقيقة ولا إيه؟!

- حقيقة إيه!

اقتربت منه بخطوات هادئة، ثم رفعت نظرها نحو عينيه وقالت برقة:

- إيه... بتغيير عليا؟

ازدرد ريقه بتوتر ثم قال بتلعثم:

- أغيير عليكِ! لا طبعًا مش بغيير عليكِ.

- طب يلا عشان الأكل هيبرد بلاش دلع..

- مش عايز آكل.. كلي أنتِ.

- هو إيه اللي آكل أنا! أنا بعمل الأكل ده ليك على فكرة، بقضي واجبي كزوجة..

- مش لما تكوني زوجة بجد!

- يعني إيه؟ قصدك إيه بالكلام ده!

- قصدي إنك مش بتسمعي كلامي فِ أي حاجة..

اقتربت منه مرة أخرى، ثم قالت له بصوتٍ منخفض وعيونٍ دامعة:

- عمر هو أنت معتبرني مراتك بجد! يعني أنت حاسس من ناحيتي ومن ناحية البيت ده، إن ده بيت الزوجية وإن أنا زوجة ليك بجد بتحاول تريحك!

- لو عايزة تريحيني فعلًا.. سيبي الشغل..

- أنت مدرك احنا بقالنا قد إيه متجوزين وعايشين مع بعض على الوضع ده؟

- أنتِ ليه بتغيري الموضوع؟

- عمر لو حد فينا بيغير الموضوع وبيهرب يبقى أنت مش أنا.. جاوبني على سؤالي، هنفضل عايشين كده لحد امتى كل واحد فينا بينام في مكان؟!

- هو ده اللي عندي يا نور..

- وأنا مش هقدر أتحمل الوضع ده كتير، أنا اتحملت وصبرت بما فيه الكفاية وأنت مش حاسس بـ أي حاجة..

- هو إيه ده اللي أنا مش حاسس بيه؟!

نزلت دموعها ثم قالت بألم:

- أنت كل ده مش مدرك إني بحبك ومستعدة أضحّي بنفسي عشانك! مش حاسس بكم المجهود اللي أنا ببذله عشان تبقى مبسوط ومرتاح؟

مسحت دموعها ثم أكملت قائلة:

- مفيش أي حاجة متعلقة بيا فِ قلبك؟

ظل صامتًا، وكانت هي تنتظر منه إجابة، لكن عندما لم يأتي الرد، حركت رأسها بخيبة أمل وقالت:

- كنت عارفة.. كنت عارفة إني هفشل ف إني أخليك تحبني.. على العموم أنا مش هفرض نفسي عليك أكتر من كده..

ران عليهما الصمت قليلًا ثم قالت:

- أسلم حل لينا هو الطلاق.. طلقني يا عمر، طلقني من فضلك..

عادت إلى الغرفة وكان عمر لا يزال واقفًا في مكانه، فاستبدلت ملابسها بهدوء وذهبت إلى سريرها لتنام دون أن تأكل أي شيء.

على الجانب الآخر، كان الجميع في المنزل، وفجأة دخل عادل وألقى عليهم السلام قائلاً:

- كويس إنك لسه صاحية.. أنا جاي مخصوص عشانك يا دكتورة..

تعجبت ملك ثم قالت:

- خير في حاجة حصلت ولا إيه؟

ابتسم عادل ثم جلس بجوارها، وكان جمال وأسماء يراقبانهما باهتمام، قبل أن يتحدث قائلاً بسعادة:

- طبعًا أنتِ شوفتِ سيادة النائب اللي زارني النهاردة لما كنتِ موجودة، آسر..

- أيوة ماله؟

- كلمني عنك وحابب إنه يتقدملك..

تفاجئت ملك ثم قالت:

- يتقدملي أنا؟!

- أيوة يتقدملك أنتِ.. فكري كده وقوليلي عشان ييجي يتكلم مع بابا..

- هو يعرفني أصلًا عشان ياخد قرار زي ده وبالسرعة دي.. دي هي يا دوب وهلة!

- أهي فِ الوهلة دي بقى أنتِ عجبتيه وحابب إنه ييجي يتقدم، اتفاهمتوا يبقى خير وبركة، متفاهمتوش يبقى خلاص مفيش نصيب..

- تاني يا عادل! حكاية نور هتتكرر تاني!

- لا نور دي قصة تانية خالص.. المهم أنتِ لما شوفتيه حسيتِ بقبول ولا لا؟!

- أنا ملحقتش أشوفه يا عادل.. أنا مش فاهمة إيه التسرع والقرارات المفاجأة دي!

تدخل جمال بعد لحظاتٍ من الصمت ثم قال:

- وإيه المشكلة يا ملك.. ما تشوفيه يمكن يكون خير..

- الفكرة إن أنا مكنتش مستعدة لخبر زي ده فِ الوقت الحالي، فمش عارفة أفكر!

- بصي أنا عندي فكرة.. عادل يعزمه عادي على العشا عندنا هنا وبعد كده أنتِ تقرري، ها إيه رأيك!

عندما سمعت ملك هذا الحديث، تذكرت أنه قد حدث من قبل مع سليم ليقابل نور، فشعرت بشيء غريب في قلبها. كان هناك شيء يزعجها، وكانت تخشى أن تواجهه بهذه الطريقة. ثم قالت:

- بلاش فِ البيت يا بابا، خليها برة أحسن..

ضحك عادل وقال:

- يعني أنتِ مشكلتك فِ المكان! طيب يا ستي مفيش أي مشكلة..

- وكمان مش عايزة أي حد غيرنا فِ القاعدة دي يبقى عارف الموضوع ده..

قالت والدتها:

- حد زي مين؟ نور وعمر يعني؟!

- أي حد يا ماما.. طالما لسه مفيش حاجة جد فملهاش لازمة الشوشرة.

رد عادل وقال:

- خلاص ماشي اللي تشوفيه.. أنا هكلمه ونرتبها سوا..

أومأت ملك برأسها وذهبت إلى غرفتها، بينما كان كريم يقف بسيارته في نفس المكان الذي يلتقي فيه مع خالد، وهو يدخن ويتفكر في كيفية الوصول إلى والده ليحقق انتقامه. كان يفكر في الطريقة التي سيتخلص بها من نور، رغم أنه كان يرى أنها ليست المسؤولة عن ما يحدث. كان يعرف مصيرها جيدًا، ولا يريد أن تنهار إذا أصابها أي مكروه.

وصل خالد وأعطى له ورقة من زجاج السيارة، تحمل رقم هاتف وعنوان أحد رجال الأعمال. ابتسم كريم ابتسامة مليئة بالشر والانتقام، ثم انصرف. ألقى عمر السيجارة من نافذة السيارة، وظل يحدق في الورقة التي أعطاها له خالد، بنظرة مليئة بالخبث.

في صباح اليوم التالي، خرجت نور من غرفتها وهي تشعر بصداع شديد، لتتفاجأ بعدم وجود عمر في المنزل. شعرت بأنها تعرف ما سيحدث في الساعات القادمة. عادت إلى الغرفة وأخذت حقيبة كبيرة لتضع فيها ملابسها وأغراضها، ثم استبدلت ملابسها استعدادًا للذهاب إلى العمل. فجأة سمعت صوت باب المنزل، فخرجت لتجد عمر واقفًا أمامها. نظر إليها ببرود، ثم سألها:

- طبعًا أنا مش هسألك أنت كنت فين لأني عارفة الإجابة كويس أوي..

اقترب منها ونظر إليها بتحدٍ، ثم قال بتلك النبرة التي كانت كلما تسمعها تشعر وكأنه شخص آخر:

- كويس إنك عارفة..

تركها وذهب إلى الصالون ليجلس ممسكًا بهاتفه. قررت أن تتجاهله، فارتدت وجهًا من البرود وعودة إلى غرفتها. أخذت هاتفها وحقيبتها الصغيرة، ثم فتحت باب المنزل، وكادت أن تخرج، لكنها توقفت فجأة، التفتت وقالت:

- على فكرة أنا لميت هدومي وهروح أقعد فِ بيت أهلي وهستنى ورقة طلاقي.. مضطرة أرجع آخدها بعد الشغل عشان مش هقدر أروح الشغل بالشنطة دي.. أشوف وشك بخير.

خرجت نور دون أن تسمع أي كلمة منه، بينما كان هو في عالم آخر لا يعيرها أي اهتمام، مشغولًا بالنظر إلى تلك الورقة. وضعها مع هاتفه في المخبأ السري، ثم دخل إلى الغرفة ليخلد للنوم.

حل الليل، وكان الجميع في انتظار قدوم آسر في أحد المطاعم العائمة والفاخرة، عدا نور. عندما وصل آسر، لمحته ملك وشعرت بتوتر شديد. ألقى السلام على الجميع، فوقف جمال وصافحه بحرارة، ثم عرّفه عادل على الحضور بما فيهم والدته. عندما جاء دوره، ألقى السلام على ملك دون أن يصافحها.

تبادل الجميع أطراف الحديث أثناء تناول الطعام، وتعرف جمال على تفاصيل كثيرة عن حياة آسر، الذي أعجب به بشدة وبأخلاقه. في النهاية، أدرك جمال أن هذا هو الشخص المناسب لابنته. كانت ملك ترغب في التحدث مع آسر عن مسيرتها المهنية وحياتها الشخصية، فطلب عادل منهما أن يبتعدا قليلاً ليحظيا بفرصة للحديث، ثم تركهما وعاد إلى عائلته.

نظرت ملك إلى آسر وقالت بنبرة صارمة:

- بص يا سيادة النائب، أعتقد إنك عرفت أنا بشتغل إيه..

ابتسم ثم قال:

- أكيد..

- تمام.. أنا معرفش مدى قربك من عادل بس سواء كانت قريب منه أو لا، فعادل طبعه صعب حبتين ورافض موضوع عمل المرأة، وكان في مشاكل كتيرة جدًا بينه وبين مراته بسبب إنه كان عايزها تسيب شغلها، وكانت علاقته بأختي غير مستقرة تمامًا بسبب إنها صحفية وكانت

بتضطر إنها تشاركه فِ التحقيقات، حابة أعرف بقى هل في مشكلة عندك ف موضوع شغلي؟

ظل آسر صامتًا قليلًا ثم قال لها:

- بصي أنا مش هقولك سيبي وظيفتك وعيادتك عشان مش هخليكِ محتاجة لحاجة، بس طالما ده اللي هيريحك فأنا معنديش مشكلة، هيبقى عندي مشكلة ف حالة واحدة بس..

- اللي هي إيه؟

- إنك تبقي مقصرة ف حقي أو حق بيتك وحق أولادك مستقبلًا.. أنا ضد عمل المرأة المتزوجة خصوصًا إنها مش هتقدر توازن بين بيتها وشغلها..

ابتسمت ملك ثم قالت بثقة:

- لا من الناحية دي متقلقش.. أنت بس لسه متعرفنيش كويس.

- أفهم من كده إنك موافقة؟

- محتاجة شوية وقت وهبقى أبلغ عادل بقراري وهو يبقى يبلغك..

فتركته ملك وعادت إلى عائلتها.

على الجانب الآخر، عادت نور من العمل لتجد عمر نائمًا في الغرفة. شعرت بشيء من الضيق، فدخلت إلى الداخل لتأخذ حقيبة ملابسها. أثناء مرورها، اصطدمت بالطاولة مما جعل عمر يفتح عينيه ببطء، ثم نظر إليها ليجدها أمامه. نهض فجأة وجلس على السرير، فرك عينيه وهو يحاول استيعاب ما يحدث حوله. نظر إليها للحظة، ثم سألها:

- أنتِ رايحة فين؟ وايه الشنطة دي!

ابتسمت بسخرية ثم قالت:

- كمل نوم يا عمر، كمل نوم يا حبيبي..

- لا أكمل نوم إيه بقى.. كده كده لازم أقوم عشان ألحق الشغل..

ضحكت أكثر ثم قالت:

- الساعة دلوقتي ١٠.. احنا بالليل مش الصبح.

انتفض من مكانه فجأة ثم قال بصدمة:

- إيه! تاني!!

- أنصحك إنك تبدأ في العلاج، وياريت تاخد ميعاد تاني من ملك وتروحلها بانتظام.. عن إذنك..

فكادت أن تذهب مرة أخرى ولكن أمسك بذراعها وقال:

- أنتِ رايحة فين بالشنطة دي؟!

- هنفذ اللي قولتلك عليه امبارح.. هروح عند أهلي وهستنى ورقة طلاقي.

- لا يا نور أنتِ مش هتمشي ولا هتروحي أي مكان..

- ليه؟ هتمنعني؟! جرب كده تمنعني وأنا هتصل بـ بابا وعادل وهما اللي يتصرفوا معاك.

- لا أنا مش همنعك بس أنا محتاج لوجودك..

- متأخر أوي الكلام ده يا عمر.. أنا مبقتش طايقة البيت ده ولا طايقة أعيش فيه بالوضع ده.

- طب خلاص نشوف مكان تاني نعيش فيه لو مشكلتك فِ البيت ده..

ابتسمت بألم ثم قالت:

- هو أنت بجد فاكر إن هي دي المشكلة!

اقترب إليها وقال:

- نور أرجوكي متبينيش وتمشي، أنا تعبان بجد ومليش غيرك دلوقتي.. وأنا أوعدك إني مش هزعلك ولا هجرحك بأي كلمة.

- بلاش تصعبها عليا وعليك.. كل حاجة كانت غلط من البداية، أنت هترجع لحياتك اللي كنت فيها وأنا كمان هرجع لحياتي اللي كنت فيها رغم إنه هيبقى صعب عليا أتخطاك بس مسير الوقت ينسيني..

- بس أنا مش هقدر أتخطى غيابك.. فكرة إنك متبقيش موجودة دي أصلًا حتى مش عايز أفكر فيها..

ظلت صامتة تصغي إليه فاقترب إليها أكثر ثم قال:

- طب اعترفلك اعتراف؟ سلمى لما قررت تسيبني أنا محستش بغيابها ولا اتأثرت.. بس بحس بغيابك أنتِ وبتأثر بيه ولما مبتبقيش موجودة بحس بفراغ كبير أوي جوايا.. فاكرة لما قولتلك واحنا فِ المستشفى إني حلمت بيكي وأنتِ سألتيني ساعتها حسيت بإيه؟ أنا حسيت بإحساس عمري ما حسيته فِ حياتي وكنت كل ما بفتكر كان قلبي بيدق وكنت طول الوقت مشغول بالحلم ده..

- أومال ليه بتكابر وبتهرب!

- عشان أنا تعبان.. طول الوقت بفكر فِ اللي بيحصلي وخايف أكون بعمل حاجة او بأذي حد وأنا فِ التوقيت اللي مش فاكر فيه أي حاجة ده..

- أنت جيت الصبح من بره يا عمر وأعتقد إنك كنت طول الليل بره.. فين ومع مين وبتعمل إيه... أنا معرفش.

قعد عمر ووضع رأسه بين يديه، بينما كانت نور تنظر إليه بشفقة. جلست بجواره في صمت، تحاول أن تجد الكلمات المناسبة. بعد لحظة، رفع رأسه ببطء ونظر إليها، ثم قال:

- وحتى لو روحت لملك هقولها إيه أكتر من اللي قولتهولها!

- تحكيلها كل حاجة حصلت معاك من صغرك لحد اللحظة اللي احنا فيها دي.. يمكن تتشخص ويبقى فيه علاج..

فنظر إليها وقال:

- وتفتكري علاج إيه اللي ممكن أخده عشان ميخلينيش أفقد الذاكرة طالما مفيش مرض عضوي؟!

ظلت صامتة، لا تعرف كيف ستجيبه. أمسكَت يده برفق، وحاولت أن تهدئ من روعه وتواسيه. بعد لحظات من الصمت، نظر إليها بحزن عميق وقال:

- ليه ممنعتنيش عن النزول! أنتِ مش وعدتيني إنك هتقفي جنبي؟

- مقدرتش أمنعك لأني كنت فِ حالة صعبة مخليانِي مش عارفة أرتب أفكاري وكله بسببك وبسبب كلامك اللي بتقعد تجرحني بيه طول الوقت..

- أنا آسف يا نور.. آسف بجد على أي حاجة وحشة عملتها معاكِ، أوعدك إني هتغير وكل حاجة هتتغير.. تعالى نمشي من البيت ده يمكن دي تبقى بداية خير..

- صدقني المشكلة مش فِ البيت.. ماله البيت! المشكلة فينا احنا لأننا مش قادرين نعمّره..

- أنا مستني أتعالج وأفوق من اللي أنا فيه.. وأوعدك إن كل حاجة هتتصلح..

ابتسم عمر وقبّل يدها، ولأول مرة يفعل ذلك. نظرت إليه بصدمة، ثم ابتسمت بسعادة. طلب منها أن تعيد جميع ملابسها إلى الخزانة، وبالفعل قامت بترتيبهم مرة أخرى، ثم استبدلت ملابسها وذهبت إلى المطبخ لتحضير طعام العشاء.

كان عمر يجلس في الصالون أمام التلفزيون، فخرجت نور وجلست بجواره. ظلت تنظر إليه بصمت، حتى التفت إليها وابتسم، ثم سألها:

- إيه.. بتبصيلي كده ليه؟

- مبسوطة..

- طب الحمدلله.. يارب دايمًا تكوني مبسوطة.

- طب وأنت؟

- أنا إيه؟

- مبسوط ولا لا؟

- أنا أسعد إنسان في الدنيا..

- أعترفلك اعتراف؟

فضحك ثم قال:

- دي كلمتي دي وأنتِ بتقلديني بس ماشي اعترفي..

- لما طلبت مني إني منزلش من شوية.. حسيت ولأول مرة إنك مش مجبر عليا..

- هنتكلم فِ كل حاجة يا نور.. بس مش دلوقتي، أنا محتاج أفوق الأول من الغُمة اللي أنا فيها دي وبعد كده نتكلم واحنا مرتاحين.

- إن شاء الله خير.. أنا هكلم ملك دلوقتي وهاخد منها ميعاد وتروحلها مرة كل أسبوع فِ ميعاد ثابت..

- خلاص ماشي كلميها..

- هكلمها حالًا..

نهضت نور وجلبت هاتفها، ثم عادت إلى المطبخ لتكمل ما كانت تفعله. اتصلت بأختها، ولكنها لم تجب، مما جعلها تتعجب. بعدها هاتفت والدتها، التي ردت وأخبرتها أنهم في الخارج الآن، وستتصل بها في وقت لاحق. أغلقت نور الهاتف وكانت مشغولة بفكرة ما يحدث معهم، فقد كان الفضول يكاد يقتلها.

حاولت تجاهل الموضوع، ثم جاء عمر وساعدها في إخراج الصحون. جلسا معًا لتناول العشاء، ثم سألها عن مكالمتها مع أختها. أجابته بأنها كانت بالخارج ولا تدري ماذا يحدث معهم.

بعد أن تناولا الطعام، أخذت الصحون إلى المطبخ ثم ذهبت إلى الغرفة. وضعت على جسدها شالًا كبيرًا وعلى رأسها غطاء، ثم خرجت لتجلس مع عمر في الشرفة. عندما نظر إليها، ابتسم وقال:

- بدأتِ تسمعي الكلام أهو..

- أنا امبارح كنت جاية أقولك إن الأكل جاهز، مكنتش داخلة عشان أقف..

- ولو برضو يا نور.. أنتِ متضمنيش مين اللي شايفك من البلكونة لما تدخلي بالمنظر ده..

ظلت نور تنظر إليه، فأومأت برأسها ثم أدرَت نظرها أمامها. كان هو يطيل النظر إليها وهو شارد، ثم قال بتلقائية:

- أيوة بغيير عليكِ..

نظرت نور إليه بصدمة، لتجده يغوص في عينيها بتركيز، فوضعت يدها على قلبها لتشعر بنبضه المتسارع بشدة. فرد عمر ذراعه على كتفيها، وكأنها كانت على وشك أن تطير من السعادة من فرط فرحتها.

مالت برأسها على كتفه، وظلوا هكذا طوال الليل، في صمت يعبر عن كل ما يعجز عن قوله الكلام.

***

استعد الجميع للذهاب، فنهضوا جميعًا. مد جمال يده لآسر كي يصافحه، فاستجاب آسر بسعادة، وأخبره جمال أنه في انتظارهم في منزلهم المتواضع مع العائلة الكريمة. رد آسر عليه بودٍ واحترام، ثم ألقى السلام على الجميع وانصرف. كما أخبرهم عادل أنه سيذهب إلى منزله أيضًا، وعاد الجميع إلى المنزل.

صعدت ملك إلى غرفتها وهي تشعر بالراحة، ثم قررت الاتصال على نور لتعتذر لها. ردّت نور وأدركت أن هناك أمرًا جديدًا، فسألتها عن تفاصيل ما حدث. أخبرتها ملك بكل شيء، وفرحت نور كثيرًا لأجل أختها. بعدها أخبرتها بما حدث مع عمر في ذلك اليوم، ثم طلبت منها تحديد ميعاد ثابت تأتي فيه إليها، لعله يتمكن من مساعدتها في فهم ما أصابه ومعالجته.

أخبرتها ملك أنها ستكون فارغة في تمام الساعة الثالثة عصرًا، فوافقت نور على الميعاد وأخبرتها أنها ستبلغه.

أبلغت نور عمر بالموعد، فوافق على المجيء. استأذنت نور للذهاب إلى النوم، ودلفت إلى الغرفة. بعد فترة قصيرة، دخل عمر إلى الغرفة واستلقى بجوارها. شعرت به ولكنه لم يشعر أنها انتبهت له، فواصلت النوم.

في صباح اليوم التالي، فتح عمر عينيه ليجد وجهه أمامه مباشرة. نظر إليها مبتسمًا، ثم حرّك يده ببطءٍ ووضعها على شعرها، يمسّد عليه برفق. ثم نهض استعدادًا للذهاب. استيقظت نور على صوت المنبه، فنهضت ورأت عمر وهو يتناول قهوة الصباح في الشرفة. قالت له:

- صباح الخير..

- صباح النور.. يلا البسي عشان أوصلك..

فابتسمت ثم قالت:

- أوكي ماشي..

دلفت نور إلى الغرفة وهي في غاية السعادة، استعدت للخروج وجلبت حقيبتها وهاتفها. خرجت من الغرفة لتجده عمر في انتظارها، نظر إليها بابتسامة دافئة وبدأ يمطرها بكلمات المدح والإطراء. ابتسمت بخجل ومضت معه، حيث أوصلها إلى مكان عملها، ثم انصرف إلى عمله.

دخل عمر إلى مكتبه، فتبعته خطوات رامي الذي دخل وراءه وسأله عن حاله وعن سبب غيابه. أخبره عمر أن حادثة النسيان تكررت معه، وأنه استفاق في الساعة العاشرة مساءً وهو يظن أنه في الصباح. شعر رامي بالحزن والشفقة على حالته، لكن عمر طمأنه قائلاً إنه سيصبح على ما يرام، وأنه سيبدأ اليوم جلسات العلاج النفسي. دعم رامي عمر وشجعه، مؤكدًا أنه بجانبه ولن يتركه.

في مكتبها، كانت نور تعمل حتى طرق باب المكتب ليدخل زين دون إذن. رمقته بنظرات مليئة بالاشمئزاز، ثم قالت باستنكار:

- خير يا أستاذ زين.. في حاجة؟

- المقال اللي حضرتك رفعتيه امبارح..

- ماله؟

- مش شايفة إنك زودتيها حبتين؟!

عقدت حاجبيها باستغراب ثم قالت متساءلة:

- زودتها ازاي مش فاهمة؟ ممكن توضحلي أكتر؟!

- يعني حضرتك عمالة بتذمي فِ راجل مفيش أي دليل ضده.. وممكن فِ أي لحظة يرفع عليكِ قضية سب وقذف وممكن كمان قضية تشهير.

قالت وهي ترتب مكتبها وتجمع الأوراق المبعثرة التي كانت تعمل عليها:

- والله يعمل اللي يعمله.. أنا مبسرقش.

- أنتِ مش خايفة على نفسك وعلى شغلك؟!

- ممكن أفهم حضرتك مهتم أوي بالموضوع ده كده ليه؟

- لأنك ماشية فِ طريق غلط، طريق كله وجع دماغ وقلق.

- لا شكرًا.. مش محتاجة حد يقلق عليا وبالذات أنت لأني عارفة أنا بعمل إيه كويس أوي.. ممكن تتفضل بقى عشان عندي شغل!

اقترب إليها وقال بهدوء:

- هتصدقيني لو قولتلك إني خايف عليكِ لتتأذي!

نفخت نور في الهواء ثم نهضت وقالت:

- لو سمحت اطلع بره وياريت تقطع أي كلام معايا..

نظر إليها بغضب، ثم خرج من مكتبها وعاد إلى مكتبه. أخذ هاتفه واتصل بكمال قائلاً:

- حاولت أعمل اللي حضرتك طلبته مني.. بس هي راكبة دماغها ومش شغالة على حاجة غير سعادتك..

- أنت لازم توقع البت دي فِ أقرب وقت يا زين، حاول تقرّبها منك بأي طريقة أومال أنا كنت باعتك ليها ليه.. عشان تشتغل صحفي بجد!

- والله بحاول يا كمال بيه بس هي مش مدياني أي فرصة..

- من هنا وجاي أنت لازم تراقب كل تحركاتها.. تشوفها بتروح فين وبتقابل مين ولو في أي معلومة مهمة ممكن تفيدنا ياريت تبلغني بيها على طول..

- حاضر يا باشا..

- زين أنا مش هوصيك!

- اللي حضرتك تؤمر بيه هيتنفذ..

***

(17)

"لا تتركيني وَحدي"

كان عمر في طريقه إلى عيادة ملك، مشحونًا بمزيج من القلق والتوتر، يخشى أي شيء قد يصيبه بشكل مفاجئ. أوقف سيارته، وترجل متجهًا نحو العيادة. انتظر دوره بصبر حتى أتى، ثم دخل وألقى التحية على ملك. لم يستطع كبح فضوله فسألها عن المريضة التي غادرت للتو، لتضحك ملك وتقول:

- وشها متبهدل زي مانت شوفت كده، ده غير جسمها اللي مليان جروح وآثار ضرب.

قال عمر وقد بدا عليه الذعر:

- مين اللي عمل فيها كده!

- جوزها..

- جوزها!

- أيوة.. وللأسف دي مش أول مرة يحصلها كده..

- وهي ازاي ساكتة على كده.. ازاي مبلغتش عنه لحد دلوقتي؟!

- من أول يوم جتلي فيه العيادة وأنا بقولها إنها لازم تتخلص منه ومش هتتخلص منه غير لما تبلغ عنه وساعتها اديتلها رقم عادل ومكان شغله عشان تروحله بس هي مرضيتش..

- ازاي!

- عشان عندها متلازمة ستوكهولم.. وده كان تشخيصها لما شرحتلي كل حاجة..

- أول مرة أسمع عن الموضوع ده..

- متلازمة ستوكهولم هي إن الضحية تقع فِ حب الجلّاد ودي بتحصل كتير، جوزها شخص سادي وبيحب يعذبها وهي بتحبه ومتقبلة أي حاجة منه.. بس الحمدلله هو اتقبض عليه وروحت معاها المستشفى عشان تعمل تقرير وقريب أوي هيتحاكم.

- ربنا يستر والله أنا مش عارف إيه الناس دي..

- سيبك أنت.. نور كلمتني امبارح وقالتلي إن أعراض فقدان الذاكرة بدأت ترجعلك تاني..

- للأسف الشديد حصل.. اتفاجئت إني صحيت الساعة ١٠ بالليل وآخر حاجة كنت فاكرها كانت قبلها بـ ٢٤ ساعة ونور قالتلي إني رجعت البيت الساعة كانت ٩ الصبح..

- حاولت تفتكر آخر موقف كان إيه وإيه اللي حصلك بعده؟

- أنا فاكر آخر موقف.. حصلت مُشادة بيني وبين نور وبعدها مش فاكر أي حاجة.. بس أنا مش فاهم أنا بنزل أروح فين أو مع مين أو إيه اللي بيحصل، أنا خايف لأكون بعمل حاجة تغضب ربنا من غير ما أحس يا دكتورة..

- ملاحظتش أي حاجة غريبة فِ موبايلك؟

- حاجة غريبة زي إيه؟

- مكالمة مع حد أو رسالة.. أي تواصل يعني..

- لا مفيش أي حاجة.. حتى أنا مش معايا أرقام ناس كتير، هما بتوع الشغل وأنتم وبس..

- طب بص يا عمر.. أنا عايزاك تكلمني عن كريم مش عن عمر.. عايزاك تكلمني عن طفولتك واللي مريت بيه.. فترة الجامعة وفترة المدرسة.. وحياتك مع الست اللي ربيتك.. كل تفصيلة من تفاصيل حياتك أنا عايزة أعرفها..

- للأسف أنا مش من النوع اللي الأحداث ممكن تتسجل فِ ذاكرته على هيئة ذكريات بس أنا هحكيلك اللي فاكره..

- ياريت..

- أنا فاكر اللحظة اللي حلمت بيها بأمي وقررت أنزل ساعتها عشان أدور عليها.. كنت قاعد على الرصيف لوحدي في الشارع ومكنتش لاقي أمي ولا عارف أرجعلكم تاني.. فضلت ماشي لحد ما بعدت ومن كتر التعب قعدت تاني على الرصيف وكنت بعيط.. لحد ما شافتني ست وفضلت تسألني مالك وأنا كنت بقولها إني عايز أشوف أمي ولو لمرة واحدة لأنها وحشتني..

- أنا آسفة لو كنت هقلّب عليك.. هي مامتك راحت فين؟

صمت هنيهة ثم قال بعد لحظاتٍ من الصمت:

- مش عارف.. أنا لحد دلوقتي بسأل نفسي السؤال ده، هل أمي ماتت بالفعل زي ما بابا قالي زمان ولا راحت فين..

- قبرها فين يا عمر!

نظر إليها بتفاجؤ ثم قال:

- قبرها!

- لو توفّت زي ما والدك قال يبقى أكيد فيه قبر!

- عمي ميعرفش مكانه؟!

- بابا عمره ما جاب لحد فينا السيرة دي..

- يعني إيه! يعني أمي ممكن تكون عايشة!

- بص يا عمر أنا من رأيي تروح تتكلم مع بابا وتسأله عن الموضوع ده لأن هو أكتر واحد هيفيدك بس أنا عايزاك تكملي بقيت الحكاية جايز تكون اتعرضت لصدمة نفسية وأنت صغير عشان كده ده بيحصلك دلوقتي..

- طب واللي بيحصلي ده اسمه إيه؟!

- متقلقش ومتستعجلش.. أنا مش عايزاك تفكر ف أي حاجة دلوقتي غير إنك تحكيلي..

- بعد ما قولتلها إن أمي وحشتني سألتني عن مكان بيتي قولتلها إني معرفوش فقررت تاخدني معاها ولما كبرت عرفت منها إنها كانت ناوية ترجعني لأهلي بس خافت عليا واتعلقت بيا ومقدرتش تتخلى عني..

- يعني هي كانت عارفة العنوان!

- لا مكانتش تعرف عنكم أي حاجة.. هي كانت ناوية تودّيني مركز الشرطة وهما يشوفوا ساعتها بس خافت لمحدش يعرف يوصل لحاجة لأن

وقتها مكانتش التكنولوجيا اتطورت بالشكل ده.. فخافت لياخدوني فِ الأحداث..

- تمام كمل..

كانت تدوّن جميع الملاحظات فاستأنف قائلًا:

- فضلت معاها وعرّفتها اسمي بالكامل وكان في حد تبعها شغال فِ الداخلية طلبت منه إنه يطلعلي شهادة ميلاد باسمي زي ما هو عشان تقدر تقدملي فِ المدرسة..

ضحكت ملك وقالت:

- معقول مجاش على بال بابا إنه يدور على اسمك فِ المدارس!

فضحك عمر هو الآخر بخيبة أمل ثم قال:

- تلاقيه اكتفى بالمستشفيات والمراكز وفقد الأمل بعدها..

- طب كمل..

- دخلت المدرسة عادي وبدأت أتعود على العيشة معاها لأني كده كده لسه مكنتش اتعودت على العيشة مع عمي ومعاكم.. كان كل تفكيري فِ أمي وبس، بس من فرط حنية الست دي عليا أنا نسيت كل حاجة لحد ما كبرت ودخلت الجامعة..

- مقابلتكش أي مواقف خلال الفترة دي كلها معلمة عليك لحد دلوقتي!

- بصراحة لا.. أنا كنت شخص انطوائي جدًا بحب أكون لوحدي، معرفتش أعمل صحاب وندمت جدًا على ده بعد كده بس مكنش فيه أي مواقف مأثرة عليا لحد دلوقتي..

- طب ممرتش بأي تجربة حب خلال فترة الدراسة؟

- بصراحة لا.. وكنت واخد قرار مع نفسي إن يوم ما أحب يبقى هدخل البيت من بابه..

- قرار سليم جدًا.. طب وبعد الجامعة عملت إيه؟

- محبتش أشتغل فِ المحاماة بالرغم من إن جالي فرص شغل كتير فِ مكاتب محاماة بس أنا كنت حابب شغل الشئون القانونية أكتر.. اشتغلت شوية فيها وحصلت مشكلة ومشيت وكنت بشتغل كل شوية فِ مكان غير التاني لحد ما اشتغلت فِ الكافيه..

- طب الست اللي ربيتك.. حياتك معاها كانت عاملة ازاي؟

- كانت تعبانة فِ الفترة الأخيرة قبل ما يحصل اللي حصلها ده.. بس كانت حياتنا طبيعية جدًا مفيهاش أي مشاكل..

- هي متجوزتش خالص؟!

- لا.. كانت متكفلة بتربيتي بس.

- تعبت ازاي.. يعني أقصد حصلها إيه؟

- هي كانت ممرضة وكانت بتبات فِ المستشفى كتير مناوبات، لحد ما جتلها جلطة والدكتور وقتها قال إنها اتعرضت لصدمة جابتلها جلطة..

- مقدرتش تفهم منها إيه الصدمة دي؟!

- للأسف مكانتش بتتكلم بعد اللي حصلها.

- طب أنت لما كبرت وبدأت تفهم الدنيا.. محاولتش تدور علينا؟

- الحقيقة الموضوع ده كان شاغلني طول الوقت، بس من كتر الضغط اللي كنت فيه مكنش عندي وقت أدور على أي حاجة.

- الموضوع ده بدأ يحصلك قبل ما تتجوز ولا بعد؟

- لا من قبلها بفترة..

- تمام.. بص يا عمر احنا كلنا بلا استثناء أكيد اتعرضنا ف حياتنا لمواقف صعبة وحاجات ممكن متتنسيش بس الحياة ماشية وأدينا عايشين.. ونظرًا لأنك مش بتعاني من أي مرض عضوي ومن كلامك أنا مش شايفة حاجة جامدة حصلتلك عشان ممكن تكون سبب فِ ده.. أنت لازم تجيلي باستمرار ويمكن مع مرور الوقت أقدر أحدد أنت عندك إيه بالضبط، دلوقتي أنا مش هقدر أكتبلك أي علاج غير إني هكتبلك على منوم تاخده بالليل على الساعة ١١.. لازم تاخده كل يوم عشان ميبقاش فيه أي فرصة تخرج بره البيت وترجع مش فاكر أي حاجة..

- تمام بس ياريت ميكنش له أي آثار جانبية..

- متقلقش.. تقدر تتفضل وهنتظرك تجيلي فِ ميعادك..

- تمام يا دكتورة.. شكرًا، سلام عليكم.

- وعليكم السلام..

خرج عمر تاركًا ملك تحدق في الباب، تشعر أن هناك أمرًا كبيرًا يحيط به. فقررت أن تتصل بزميلتها الطبيبة في المصحة النفسية لتأتي وتناقش معها حالة عمر. وبعد ساعتين، وصلت الطبيبة، وصافحت ملك بحرارة، فدعتها ملك للجلوس والراحة، ثم بدأت الحديث قائلة:

- أخبارك إيه يا دكتورة فرح..

- أنا الحمدلله كله تمام.. خير يا ملك قلقتيني..

- دلوقتي أنا فِ مشكلة ومحدش غيرك هيقدر يساعدني فيها.

- مشكلة إيه خير؟

- ابن عمي عنده ٣٠ سنة.. حكايته طويلة بس أنا هختصرلك.. هو وحيد أمه وأبوه، الاتنين مش موجودين.. مقدرش أقول عليه يتيم لأنهم يكاد يكونوا لسه عايشين بس سايبينه..

- هو عايش معاكم؟

- هو جوز أختي نور..

- إيه ده والله؟

- أيوة.. اسمه الحقيقي كريم بس احنا بنقوله عمر.. أمه اختفت وأبوه قرر يستغنى عنه فبابا قرر إنه يتكفل برعياته ويربيه معانا بس صحينا من النوم فجأة لقيناه اختفى.. الكلام ده كان من أكتر من ٢٠ سنة، ويشاء القدر ويرجعلنا تاني بس بعد عُمر.. الكلام ده داخل على سنتين أهو..

- تمام وبعدين؟

- الموضوع اللي أنا عايزة أكلمك فيه إن عمر مصاب بمرض نفسي خطير وهو الفصام.

- لا ده الموضوع كبير بقى.. احكيلي من الأول..

- بصي أنا لحد دلوقتي مش متأكدة بس جوايا شكوك كتير بتقولي كده.. بس أنا هحكيلك كل حاجة من الأول..

***

كان جمال منشغلًا في متابعة سير العمل، وقد انطلقوا في تأسيس شركته الخاصة. كان يساعد العمال ويوجههم، حتى تلقى اتصالًا من عمر. أجاب جمال، واستمع إلى طلب عمر للقائه، فعرض عليه أن يأتي إليه فوراً وأخبره بأنه سيرسل موقعه الحالي. وافق عمر، وبعد حوالي نصف ساعة وصل، وألقى التحية على عمه. ابتعدا قليلًا عن الضجيج والازدحام، وقف عمر أمامه وقال:

- عمي أنا عايز أسأل حضرتك على حاجة..

- خير يا ابني قلقتني!

- أمي يا عمي..

- الله يرحمها.. مالها يابني؟

- قبرها فين؟

تفاجأ جمال بسؤال عمر، إذ لم يكن لديه أي فكرة عما يتحدث عنه، فأجابه بأنه لا يعلم شيئاً. عندها عقد عمر حاجبيه في دهشة وصدمة، وقال بألم:

- ازاي متعرفش! هو حضرتك مكنتش حاضر الجنازة؟

- بص يا ابني أنا هقولك على الحقيقة بس مش دلوقتي.. أديك شايف اللخبطة اللي أنا فيها..

- وفكرك هقدر أستنى دقيقة على معرفة الحقيقة!

- طب أنا هعرّفهم إني همشي.. وهنقعد أنا وأنت فِ مكان هادي وهنتكلم فِ كل حاجة..

- متستني حضرتك.

وبعد فترة قصيرة، ذهب عمر بصحبة عمه إلى مقهى قريب من موقع الإنشاء. طلب جمال فنجانين من القهوة، ثم التفت إلى عمر، وسأله:

- إيه المشكلة؟ وإيه اللي خلاك تفتكر الحكاية دي دلوقتي؟!

- المشكلة إني مريض يا عمي ومش فاهم أي حاجة بتدور حواليا وكنت هخسر نور لولا ستر ربنا إني قدرت أقنعها متسبنيش وأنا فِ الحالة دي..

- هو في إيه بالضبط أنا مش فاهم حاجة!

- أنا كنت بنسى أجزاء كبيرة من يومي لحد ما روحت لدكتور مخ وأعصاب بس مطلعش فيه أي مرض عضوي وروحت للدكتورة ملك يمكن يكون السبب نفسي زي ما الدكتور فهمني.. تقريبًا هي عرفت عني كل كبيرة

وصغيرة بس أنا مش قادر أفتكر أي حاجة حصلت لي قبل ما أتوه ويحصل اللي حصل ده!

- طب وملك قالتلك إيه!

- ملك شاكة إني اتعرضت لصدمة نفسية ف مرحلة من مراحل عمري.. والحقيقة إن مفيش حاجة من دي حصلت.. ده اللي فاكره من وأنا عندي ٦ سنين، لكن قبل السن ده أنا مش فاكر أي حاجة..

- طب هل ده متعلق بجوازك من نور!

- نور ملهاش دعوة بأي حاجة لأن ده حصلي من قبل ما أتجوزها.. عمي أنا كنت بضحك على نفسي وكنت فاكر إني بحب واحدة تانية، أتاريني كنت تعبان ومكنتش داري بالدنيا عشان أقدر أستوعب مشاعري، مستوعبتهاش غير لما لقيتني بتأثر بغيابها وبحس بفراغ كبير لما مش بتكون معايا.. ومحستش بده أكتر غير لما قررت إنها تسيبني وتنفصل عني..

- أنتوا لسه زي ما أنتوا على نفس الوضع!

- للأسف أيوة.. مش هقدر آخد أي خطوة أو حتى أعترفلها بحبي ليها وجوازنا يتحول لحقيقة غير لما أعرف أنا عندي إيه بالضبط وأتعالج منه..

- طب أنا أقدر أساعدك ازاي!

- أنا عايز أفهم حكاية عيشتي معاكم.. بابا وماما راحوا فين!

خفض جمال بصره للحظات، ثم قرر أن يبوح لعمر بكل ما كان يخفيه. تنهد بعمق، وقال له بصوت خافت:

- أبوك وأمك كانوا دايمًا فِ مشاكل، أكيد أنت فاكر البيت اللي كنا عايشين فيه وإن الباب كان فِ الباب، كنا بنسمع خناقتهم بس مكناش نعرف تفاصيل ومكناش حابين نعرف حاجة، بس أنا كنت دايمًا بنصح نبيل وبوجّهه وخاصةً عشان سلامتك النفسية بس هو مكنش بيسمع غير صوته وبس لحد ما عرفنا إن....

فصمت ثم سأله عمر بتوتر:

- إن إيه؟!

- إن والدتك سابت البيت ومحدش قدر يعرف هي راحت فين..

- يعني إيه! يعني أنا أمي مماتتش!

- الله أعلم فين أراضيها.. بس محدش فينا عرف عنها أي حاجة من ساعتها لحد دلوقتي..

فقال بعيون تلمع بالدموع وصوت مرتجف:

- هي مفكرتش مرة تيجي تسأل عليا!

- الحقيقة لا.. محدش فينا شافها، لحد ما ربنا أكرمني ومهنتي كبرت وجبت بيت كبير..

- طب وبابا.. راح فين هو كمان!

- أبوك من بعد الحادثة دي وهو بقى إنسان تاني.. جتله فرصة سفر حتى مقاليش هيسافر فين، وكان ناوي إنه...

توقف جمال عن الكلام مرة أخرى، خافضًا رأسه بخجل وحزن. رأى عمر دموعه تنساب بهدوء، شعر بألم عميق ودمعت عيناه هو الآخر، ثم سأله بصوت متهدج:

- إنه إيه يا عمي كمل!

- كان ناوي يحطك فِ دار أيتام..

ابتسم عمر من فرط صدمته ثم قال بخيبة أمل:

- دار أيتام!

- وقتها أسماء اتدخلت والموضوع كبير وقلب بخناقة كبيرة بيني وبينه، وساعتها قررنا إننا هنتكفل برعايتك وهنربيك مع أولادنا.. وفعلًا أبوك مكنش عنده أي اعتراض لأن المهم عنده إنه كان يشوف مصلحته ويسافر وهو متخلص منك..

- هو ازاي كده بجد! أنا مش قادر أصدق اللي حضرتك بتقوله.. ازاي قدروا يعملوا معايا كده!

- أنا عارف إنها حقيقة مُرّة وصعب إنك تتقبّلها بس للأسف هي دي الحقيقة..

- هو أنا مصعبتش عليهم! هُنت عليهم بالبساطة دي!

- أنا مش عايزك تفكر فِ أي حاجة فاتت.. فكر فِ اللي جاي وبس..

- عمي أنا متأكد إن في حاجة حصلتلي قبل سن ال٦ سنين.. حاسس إن يوم ميلادي كان يوم ما تُهت!

- أنت فعلًا قعدت فترة فاقد النطق.. ولما كشفنا عليك الدكتور قالنا إنك اتعرضت لصدمة خليتك فاقد النطق بس مع الوقت هتتعافى..

- أيواااا.. أنا بقى عايز أعرف إيه الصدمة اللي اتعرضتلها دي اللي بسببها أنا حياتي بتتدمر دلوقتي!

- للأسف إجابة السؤال ده عند أبوك مش عندي..

- وأنا هلاقي فين أبويا ده.. هلاقيه فين دلوقتي!

- أنا كل اللي أقدر أساعدك بيه دلوقتي إنك تقول لملك اللي أنا قولتلهولك جايز هي تقدر تشخص حالتك وتدلك على الطريق الصحيح..

- ادعيلي كتير يا عمي.. ادعيلي كتير عشان أنا مبقتش قادر أتحمل اللي بيحصلي..

- قرب من ربنا أكتر وخلي نور جنبك.. بلاش تعمل معاها مشكلة من غير سبب، بلاش تخسر حد بيحبك بجد..

- متقلقش يا عمي.. نور أنا هفتح معاها صفحة جديدة ومش هدي أي فرصة للشيطان إنه يتدخل بينا..

***

كانت الدكتورة فرح تقلب صفحات دفتر الملاحظات الخاص بملك بتمعن، ثم رفعت عينيها نحوها وقالت:

- أنا مش شايفة إن في حاجة غريبة فِ كلامه..

- طب تقدري تفسري خروجه بالليل ويرجع مش فاكر أي حاجة ده يبقى اسمه ايه؟

- جايز بيمشي وهو نايم!

- بس هو مبيبقاش نايم.. ده بيبقى واعي وفايق وفجأة بيجيله صداع وكأنه بينقله لشخص تاني ولعالم تاني خالص غير اللي هو عايش فيه!

- على العموم أنا من رأيي إنك تبدئي تسجلي كلامه من الجلسة الجاية وتقعدي تسمعيه بتأني جايز لو فعلًا عنده انفصام.. الشخصية التانية ممكن تحضر..

- مش محتاجة أسجل لأن عندي كاميرا فِ المكتب بتسجل كل حاجة صوت وصورة..

- طب دي حاجة كويسة جدًا.. وطبعًا نظرًا لميثاق أخلاقيات المهنة مينفعش تعرفي أختك أي حاجة فِ الوقت الحالي.. الشكوك لوحدها مش كفاية، لازم تتأكدي الأول.. لأن الموضوع كبير ومش سهل..

شعرت ملك بموجة من الخوف والتوجس تسري في جسدها، ثم نظرت إلى الدكتورة فرح وقالت:

- ربنا يستر..

***

حل المساء وعادت نور إلى المنزل لتجد عمر نائمًا في غرفته. دخلت بهدوء، نظرت إليه بابتسامة رقيقة، ثم استبدلت ملابسها واستلقت بجواره، تراقب ملامحه بابتسامة هادئة. فتح عينيه برفق وقال لها إنه يشعر بوجودها. كادت أن تبتعد، لكنّه أمسك بيدها برفق، طلب منها بضعف أن لا تتركه وأن تبقى بجانبه. ابتسمت وطمأنته بأنها لن تتركه أبدًا.

ابتسم هو الآخر وأمسك يدها، وضعها برفق تحت وجنته، ثم أخبرها عن المنوم الذي سيتناوله بانتظام من الآن فصاعدًا. سألته نور إن كانت ملك هي من طلبت منه أن يأخذه، أم أنه قرر ذلك من تلقاء نفسه، فأجابها بأنه كان طلب منها كي لا يذهب في المساء. ابتسمت نور وقالت له إنها لن تسمح له بالذهاب سواء تناول المنوم أو لم يتناوله.

ابتسم عمر مرة أخرى وأغمض عينيه بطمأنينة، ثم غرق في النوم. أما هي، فقد استلقت بجانبه، وسرعان ما غلبها التعب ونامت هي الأخرى.

في صباح اليوم التالي، استيقظت نور لتجد عمر غارقًا في نومه بجوارها. ابتسمت بسعادة ونهضت لتحضر طعام الإفطار. بعد فترة قصيرة، عادت لإيقاظه، لكنها تفاجأت بأنه ما زال نائمًا، فقالت له:

- أنت كويس!

- أنا نمت هنا!

- أيوة نمت هنا.. اوعى تقولي إنك مش فاكر حاجة!

فنهض واعتدل في جلسته ثم قال:

- لا فاكر.. وفاكر إني أخدت المنوم واترميت على السرير لحد ما أنتِ جيتِ بس كنت ناوي أقوم أنام بره..

- الجو برد.. أنا مش هسيبك تنام بره تاني.

صمت برهة ثم قال:

- أنا هقوم أجهز نفسي عشان الشغل.

- جهز نفسك بسرعة عشان تفطر.. أنا حضرتلك فطار هيعجبك أوي، متتأخرش..

ابتسمت نور برقة، وابتسم هو الآخر بحنين، وظل ينظر إليها وهي تخرج من الغرفة. استعد ثم خرج من الغرفة وبدأ يتناول طعامه، فطمأنته نور قائلة إن كل شيء سيسير على ما يرام، ولكن عليه أن يلتزم بتعليمات ملك وأن يفعل ما طلبته منه. أومأ برأسه موافقًا، ثم بعد أن انتهيا، خرجا من المنزل. أوصلها إلى عملها، وعندما نزلت من السيارة، رآها زين واقفًا أمام مبنى الجريدة، ينظر إليها بغضب. انفجر غيظًا عندما رآها تنزل من سيارة يقودها رجل، وتجلس بجواره.

دلفت نور إلى المبنى بعد أن انصرف عمر، لكنها لم تنتبه إلى وجود زين الذي تابعها ودخل المصعد الذي كانت تنتظره. وفوجئت به يقف بجوارها. وعندما وصل المصعد، طلبت منه أن يدخل أولًا، لكنه رفض وأصر على أن تدخل هي أولًا. فدخلت، ثم تبعها هو، وضغط بسرعة على زر الطابق. نظرت إليه بصدمة، وقالت له:

- أنت مجنون! أنا طلبت منك تدخل أنت عشان ابقى لوحدي.. تقوم مغفلني وداخل ورايا!

- طب وإيه المشكلة؟ وبعدين مين اللي أنتِ نزلتي من عربيته ده؟!

- وأنت مالك! بتسأل ليه؟ يخصك فِ إيه أصلًا!

- هتعرفي يخصني فِ إيه بس مش دلوقتي..

وصلا إلى الطابق، فخرج زين أولًا، متجهًا إلى مكتبه. بينما بقيت نور ثابتة في مكانها، تنظر أمامها بغضب. بعد لحظات، خرجت وذهبت إلى مكتبها، حيث طلبت من مريم أن تأتي إليها. أخبرتها بما حدث، فاستمعت مريم لها باهتمام، ثم قالت:

- ده مجنون ده ولا إيه؟!

- مش عارفة.. أنا مش مستريحة أبدًا للشخص ده وحاسة إنه وراه حاجة، شكله مش مظبوط.

- على العموم خليكِ بعيدة عنه وبلاش تحتكي بيه لا من قريب ولا من بعيد..

- عملي مشكلة مع عمر من يومين..

قالت مريم بتعجب:

- مشكلة إيه؟ وعمر شافه فين أصلًا!

- أول امبارح لما خرجت من الجريدة لقيت عمر جاي ياخدني.. لحد ما وصل كان الأستاذ واقف فِ الشارع مش سايبني فِ حالي..

- يا خبر أبيض! وبعدين؟!

- عمر طنش وجوده بس اتخانق معايا بسببه..

- هو عارف إنك متجوزة؟

- أكيد طبعًا.. الجريدة كلها عارفة!

- أومال عايز إيه أنا مش فاهمة!

- ولا أنا فاهمة.. بس كل اللي أقدر أقولهولك إن الشخص ده وراه حاجة كبيرة أوي، وهتقولي نور قالت..

***

كان عادل في مكتبه عندما دخل عليه حسن، وأخبره أن محاكمة القاتل ستُعقد اليوم في الساعة الثانية عشر ظهرًا، وسأله إن كان سيحضرها أم لا. أجابه عادل بأنه بالطبع سيكون هناك قبل الموعد، فطلب منه حسن أن يمر عليه في مكتبه كي يذهبا معًا. وبعد مرور بعض الوقت، خرج عادل ومر على حسن كما طلب منه، ثم خرجا معًا من المديرية متوجهين إلى دار القضاء العالي. دخلا القاعة، وكانا في انتظار وصول القاضي والمستشارين.

سأل عادل حسن، "هل الجاني معه محامي أم أنه بمفرده؟" فأجابه حسن قائلاً، "لقد وكّل محاميًا بالفعل، لكنه تركه في منتصف الطريق، والآن أصبح بمفرده بلا محامي. أما بالنسبة لمرام، فقد تبرأت منه كما أخبرتك من قبل." ثم سأل عادل عن الساحر الذي كان السبب في هذا

المأزق، فأجاب حسن قائلاً، "لقد اختفى بعد وقوع الحادثة، ولا أثر له الآن."

دخل القاضي إلى القاعة، وبدأ بالحديث مطولًا عن تفاصيل الحادثة، ليعلن في النهاية حكمه على الجاني قائلاً:

- حكمت المحكمة حضوريًا بإعدام المتهم "....." شنقًا، على أن يتم تنفيذ العقوبة في ميدان عام لتكون عبرة لكل من يفكر في ارتكاب مثل هذه الأفعال.

ابتسم عادل بابتسامة انتصار، بينما أنهى القاضي حديثه بالجملة الشهيرة:

- رُفعت الجلسة..

(18)

"اختطاف"

ابتسم عادل ابتسامة انتصار، ثم عانق حسن بشدة، حامدًا الله وشاكرًا إياه على نعمه التي لا تحصى. رغم حزنه العميق على وفاة سليم، إلا أن تحقيق مراده بفضل الله أولًا، ثم القاضي الذي حكم بالعدل، كان يعزيه. بعد ذلك، غادر عادل المحكمة بصحبة حسن.

مرت الأيام، وتم تأسيس شركة جمال الخاصة التي أطلق عليها اسم G.M للعقارات. أما حالة عمر، فلم تتغير، فقد ظل مستمرًا في تناول المنوم الذي نصحته به ملك، وكانت نور تهتم به وتعتني به. في ذلك اليوم، قرر عمر ترك المقهى بعد تقديم استقالته لإلهام، التي عرضت المقهى للبيع. في الوقت نفسه، تم قبول رامي في وظيفة جديدة بشركة جمال. كانت الشركة تسير على ما يرام، وكان عمر يدير قسمًا كبيرًا فيها، وكان سعيدًا جدًا بالعمل مع عمه.

بعد أسبوع، تم إعلان خطبة ملك على النائب آسر، مما جعل الجميع في غاية الفرح. في هذه الأثناء، استمرت نور في عملها، وواصلت كتابة المقالات التي تهاجم فيها كمال الجندي، كما اعتادت. كان زين يحاول دائمًا إيقافها، لكنها كانت تتجاهله تمامًا. حتى أنه ذهب إلى رئيس التحرير وقدم شكوى ضده، لكن رئيس التحرير سخر منه وأمره أن يكتب عن كمال أيضًا أو سيطرده من العمل. رفض زين هذا الحديث، واعتبره فارغًا، فقرر أن يقدم استقالته. ذهب إلى شركة كمال، حيث أخبره بكل شيء وقال إنه ترك العمل وفشل في مهمته.

لم يكن أمام كمال سوى مراقبة نور، فقرر أن يثق في زين مرة أخرى، وطلب منه أن يوافيه بكل تفاصيل حياتها.

حان موعد عقد قران ملك في إحدى القاعات الفخمة بفندق كبير، كانت القاعة مفتوحة تحيط بها الحدائق والأشجار والورود، مما أضفى على المكان منظرًا رائعًا. في ذلك الوقت، علم زين بخطوبة ملك، فطلب منه كمال أن يذهب إلى الفندق فورًا ويحاول التقرب من نور، ويعترف لها بمشاعره. وبالفعل، حجز زين غرفة في الفندق.

في جناح ملك، كانت تتجهز بمساعدة نور وندى وبعض الأصدقاء المقربين. بينما رن هاتف نور، وكان عمر على الطرف الآخر، طلب منها أن تخرج من الغرفة لأنه يريد التحدث إليها. أخبرته بأنها ستخرج له، فكان في انتظارها في الحديقة المجاورة للقاعة. عندما اقتربت منه، نظر إليها بانبهار وقال: "أنتِ في غاية الجمال." ابتسمت نور ببراءة وشكرته. كان يرتدي بنطالًا أسود وسترة سوداء وقميصًا أبيض، وكان مظهره أنيقًا جدًا.

وأثناء حديثهما، خرج زين من الغرفة ورآهما معًا، ففوجئ لرؤيتهما معًا. كان في حيرة لأنه لم يكن يعلم بعد بخطبة نور. نظر إليهما للحظة ثم اقترب من نور وقال:

- ابقي فكريني أقولك حاجة بس لما اليوم يخلص..

ابتسمت ثم قالت بتلعثم:

- حاجة إيه؟

- لما اليوم يخلص.

- مش هقدر استنى.. قول دلوقتي.

- لا.. خليها مفاجأة.

- هحاول أستحمل لحد كتب الكتاب ما يخلص.

رنّ هاتف نور وكان المتصل مريم، فطلبت نور الإذن من عمر وابتعدت قليلًا لترد على المكالمة. أخبرتها مريم أنها تنتظرها في القاعة، ووصفت لها كيفية الدخول. بينما كانت نور تسير نحو القاعة، اصطدمت بشخص ما، فسقط هاتفها على الأرض. نظرت نور إلى الشخص الذي اصطدمت به، ثم قالت:

- أنت!

- نورا! معقول؟! أنتِ بتعملي إيه هنا؟

- أنت اللي بتعمل إيه هنا!

- أنا نزيل هنا فِ الفندق، وأنتِ..

انحنت نور لالتقاط هاتفها من على الأرض، ثم نظرت إلى الشخص الذي اصطدمت به باشمئزاز. كادت أن تبتعد وتكمل طريقها، لكنّه أمسك بذراعها وأوقفها قائلاً:

- استني يا نور..

كان عمر يتحدث مع رامي عبر الهاتف، وعندما استدار، تفاجأ بما رآه. رأى زين وهو يمسك بذراع زوجته، فأنزل الهاتف ببطء من شدة صدمته، وبدأ يقترب منهما، وقد بدا عليه الغضب الشديد. أغمض زين عينيه ثم قال:

- نور أنا معجب بيكِ من أول يوم شوفتك فيه..

اتسعت عينيها من الصدمة.. ثم قالت:

- أنت بتقول إيه هو أنت متعرفش إني....

تفاجأت نور بعمر الذي سحب زين إليه بغضب، ثم وجه له لكمة قوية سقط على إثرها زين أرضًا. اقترب عمر منه وهو ملقى على الأرض، يتألم من شدة اللكمة، وكاد أن يخنقه وهو يقول:

- أنت بتحب مراتي أنا يا حيوان!

لكمه عمر مرة أخرى، وظلت نور تصرخ كي يتركه وشأنه، لكن عمر كان في قمة غضبه وكاد أن يقتله. تجمع الجميع حولهم، وحاول جمال التدخل بشجاعة، فأنقذ زين من بين يدي عمر. ثم قال زين، وهو يتنفس بصعوبة:

- أقسم بالله ما أعرف إنها متجوزة!

أمسك عمر بيد نور وسحبها بغضب إلى غرفته بالفندق، ثم أغلق الباب وراءه. نظرت إليه نور بتوتر وقالت:

- إيه اللي أنت عملته ده! أنت كنت هتقتله!!

- أنا فعلًا كنت هرتكب جناية لولا إن عمي حاشه من إيدي..

- وبعد ما ترتكب جناية وتروح فِ داهية هتبقى استفدت إيه!

فصاح عمر بصوتٍ جهوري:

- أنتِ تخرسي خالص، كمان ليكِ عين تتكلمي!

- وميبقاش ليا عين ليه! كنت عملت إيه عشان أبص فِ الأرض!

- ده نفس الشخص اللي شوفتك واقفة معاه فِ الشارع يا مدام..

- بس متقولش مدام!

تفاجأ عمر ثم قال:

- هو أنتِ بتتكلمي بجد ولا بتهزري! أنتِ عارفة الست المتجوزة اللي بيبقى ليها....

فوضعت يدها على فمه ثم قالت:

- اسكت.... متكملش.. أنت واعي للي كنت لسه هتقوله!

- أومال عايزة تبرريلي اللي حصل ده بـ إيه!

- أقسم بالله العظيم أنا معملتش أي حاجة.. البني آدم ده اتفاجئت بيه جيه عندنا الجريدة وبدأ شغل معانا ومن ساعتها وهو مش سايبني فِ حالي وأنا دايمًا بصده وزمان مريم وصلت حتى لما تنزل ابقى أسألها!

- إيه اللي جابه هنا! أنتِ اللي عزمتيه؟!

- لا طبعًا، إيه اللي أنت بتقوله ده!

ضرب عمر الباب بقبضته بعنف من شدة غضبه، ثم قال بنبرة مليئة بالاستياء:

- أومال إيه اللي جابه هنا! إيه اللي جابه هنا....! استحالة تكون صدفة واوعي تقنعيني إنها صدفة!

- اللي أنا متأكدة منه إنها مش صدفة، هو جاي هنا عن عمد وعارف كل حاجة بس أنا مش قادرة أفهم الشخص ده تبع مين ويطلع مين!

- من الآخر كده يا نور.. أنا مش هتنازل عن اللي حصل من شوية ده..

- يعني إيه!

- يعني قدامك لحد بالليل وتاخدي قرارك.. يا تختاريني، يا تختاري شغلك..

تفاجأت ثم ابتسمت بحزن، والدموع تتساقط من عينيها، قائلة:

- أنت مدرك أنت بتخيرني بين إيه!

- هو ده اللي عندي يا نور.. أنا اتحملت كتير وكنت فاكر إني بطريقتي هخليكِ تسيبي الشغل بس أنا جربت معاكي كل حاجة والظاهر كده إن مفيش فايدة..

فاقتربت إليه ثم توسلت قائلة:

- عمر أرجوك بلاش تخيرني بينك وبين مستقبلي!

- مستقبلك اللي كله اختلاط ده هيدمرك يا نور.. اللي أنتِ فيه ده مش اسمه مستقبل، اسمه عك.

- بس هو خلاص قدم استقالته ومشي من بدري.

- واحنا دلوقتي مش فِ الجريدة وجيه وراكِ لحد هنا.. لولا الشغل اللي أنتِ فيه مكنش حد اتعرضلك بالطريقة دي.

- طب ممكن تهدا دلوقتي عشان خاطري، ملك زمانها لوحدها وهي ملهاش أي ذنب ننكد عليها فِ يوم زي ده..

- أنا قولت اللي عندي يا نور.. قدامك تفكري لحد ما اليوم يخلص، ومستني قرارك.

فتح عمر الباب وخرج، متوجهًا إلى الأسفل حيث جلس بجوار عمه، غارقًا في غضب شديد. ربّت جمال على كتفه محاولًا تهدئته، فابتسم عمر رغمًا عنه. ثم جاءت العروس برفقة أختها وزوجة أخيها. كانت نور تراقب عمر بنظرات مليئة بالحيرة والألم. خلال عقد القران، كان عمر في عالم آخر، غارقًا في أفكار تتعلق بما ستفعله نور، وكان يخشى أن تختار مسيرتها المهنية وتتركه، لأنه أصبح لا يستطيع العيش بدونها.

خلال الاحتفال، كانت نور تجلس مع مريم، وأخبرتها بكل ما حدث. وعندما علمت مريم عن شرط عمر، نصحت نور قائلة:

- أنا لو مكانك هسيب الشغل..

- بعد كل ده يا مريم! أنتِ نسيتِ قضية كمال الجندي! هسيب الشغل ازاي بعد ما كنت قربت خلاص؟

- تهون أي حاجة يا نور.. ربنا موجود والبلد فيها قانون مسيره هيقع فِ يوم من الأيام..

- لا يا مريم.. أنتِ عارفاني استحالة أسيب حاجة فِ نصها ومكملهاش..

- يعني هتعملي إيه دلوقتي، الحفلة قربت تخلص هتقولي إيه لعمر!

***

حل الليل وعاد الجميع إلى منازلهم. كانت نور مع عمر في طريقهما إلى المنزل، وكان طوال الطريق في صمت تام. وعندما وصلا أمام العمارة، توقف عمر بالسيارة، ونزلت نور مسرعة وصعدت إلى شقتها. دخل عمر بعدها، وأغلق الباب خلفه، ثم وقف أمامها وسألها:

- قررتِ إيه يا آنسة نور!

نظرت إليه بدهشة، وشعرت أنه قد تعمد جرح مشاعرها. فابتلعت ريقها، وأخذت نفسًا عميقًا قبل أن تقول:

- لسه مقررتش..

- يعني إيه لسه مقررتيش!

- يعني أنت مخدتش رأي أي حد فِ الكلام اللي أنت قولتهولي، وطبعًا مكنش وقته ولا مكانه وأنا مش هاخد أي قرار قبل ما تتكلم مع أهلي فِ الموضوع ده..

- أهلك دول لو احنا مخطوبين.. ساعتها كنت دخلتهم فِ حياتنا وغير كده أنا لو خطيبك فأنا مليش أي حكم عليكِ، إنما أنا دلوقتي جوزك وأنتِ مسئولة مني مش مسئولة من أهلك يعني لازم تطيعي أوامري.

- أنا نفسي أعرف أنت شايف الجواز ازاي من وجهة نظرك! هو أنت ليه أناني؟ ليه عايز كل حاجة لوحدك وليه عايز تمشّي كلامك وتمشّي رأيك!

- عشان المفروض ده اللي يحصل.. المفروض إنك تسمعي كلامي فِ كل حاجة وده مش كلامي على فكرة ده كلام ربنا سبحانه وتعالى.. وقال فِ القرآن «وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ» ومعنى إنك بتخالفي أوامر ربنا وأوامر جوزك يبقى أنتِ كده ناشز.

تفاجئت بحديثه ثم قالت باندهاش:

- أنا ناشز!

- آه طبعًا ويحقلي كمان إني أعنّفك طالما مش هتسمعي الكلام وربنا اللي قال «وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ».

فضحكت نور بصوتٍ عالٍ ثم قالت:

- روح افهم معنى الآية الأول وتعالى كلمني بالقرآن والسنة وأنت أصلًا مبتعملش بيهم.. وأحب أفكرك برضو إن ده كلام ربنا مش كلامي «أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ» وأنت فاهم قصدي كويس.

فرمقته بنظراتٍ حادة ثم قالت باستنكار:

- أنا هروح أنام عشان عندي شغل الصبح بدري.

- لا بقى ده أنتِ قاصدة تستفزيني، مفيش نوم غير لما تاخدي قرارك..

- وأنا قولتلك مش هاخد أي قرارات غير فِ وجود أهلي..

- هتاخديه يا نور ودلوقتي حالًا..

نفخت في الهواء ثم نظر إليها قائلًا:

- لآخر مرة هسألك.. أنا ولّا شغلك؟!

- الشغل يا عمر.. خلاص! ارتحت؟

فابتسم بخيبة أمل كبيرة ثم قال:

- كنت عارف إن ده هيكون اختيارك، بس كنت بكذّب نفسي.. روحي نامي يا نور، روحي نامي.

تركت نور عمر ودخلت إلى الغرفة، حيث أغلقت الباب بالمفتاح وظلت واقفة تنظر أمامها بعينين شاردتين، تغمرها مشاعر الغضب. استبدلت ملابسها واستلقت على السرير، ثم غلبها النعاس فغفت. وعندما حل الصباح، فتحت عينيها ونظرت إلى ساعتها، فنهضت سريعًا وخرجت من الغرفة. وجدت عمر نائمًا على الأريكة، فقررت تجاهله ودخلت إلى الحمام. بعد دقائق، خرجت وعادت إلى الغرفة لتستعد للخروج. وعندما فتحت الباب، فوجئت بعمر واقفًا أمامها ينظر إليها بغرابة، فتأملته بتعجب وقالت:

- في إيه؟

- أنا منمتش طول الليل وكنت قاعد بفكر فِ مصيري معاكِ لحد ما خدت قرار..

- هو أنت كنت لسه بتفكر تاخد قرار! طب ما أنا قولتلك امبارح.. عايز إيه تاني؟!

- عارف إنك اخترتِ شغلك.. بس أنا اكتشفت إني مقدرش أتنفس من غير وجودك.

ازدردت ريقها ثم قالت:

- عمر احنا خلاص وصلنا لنهاية الطريق.. كل مرة كنت بتنازل وبرجع فِ كلامي عشان بحبك، بس حب إيه ده اللي يخلي الواحد عايش مدفون بالحياة!

عقد حاجبيه ثم قال باندهاش:

- أنتِ حاسة إنك مدفونة بالحياة بسبب عيشتك معايا؟!

- للأسف هي دي الحقيقة حتى لو كانت هتوجعك.. أنا اتحملتك كتير، من أول يوم كنت لازم أخد قراري لما أنت كذبت عليا وكل واحد فينا نام فِ مكان، بس أنا اللي اتنازلت وعيشت معاك أسوأ أيام حياتي وخلاص طاقتي خلصت ومش هقدر أتحمل أي حاجة تاني.. ياريت نخرج بالمعروف أحسن.

- مش هطلقك يا نور..

- لا هتطلقني يا عمر.. وياريت تطلقني بمزاجك أحسن ما تطلقني غصب عنك.

- يعني إيه غصب عني! هتعملي إيه مش فاهم؟

- هرفع عليك قضية خلع وهكسبها وكده كده أنا معنديش حاجة أتنازل عنها.

- هتخلعيني!

- لو فضلت مصمم على قرارك آه يا عمر هخلعك.

- اعملي اللي أنتِ عايزاه.. أنا مبتهددش.

- أنا مبهددكش.. أنا بعرّفك اللي هيحصل لو متطلقناش بالتراضي.. عن إذنك.

***

وصل إلى الشركة ودخل مكتبه دون أن يتبادل الحديث مع أحد، حتى مع عمه. لكن وجهه أصبح شاحبًا من شدة القلق والاختناق الذي كان يعتصره. كان يفكر في كلام نور، لا يعرف هل هو مجرد تهديد أم أنها ستنفذ ما قالته له. الأسئلة كانت تدور في ذهنه وهو يدير القلم على سطح المكتب. لكن مع مرور الوقت، بدأ يشعر ببعض الاطمئنان، إذ أدرك أن نور لن تستطيع اتخاذ خطوة كهذه دون استشارة والدها وأخوها، وأنهما لن يوافقا على ذلك. فهدأ قليلاً وركّز في عمله.

من جانبها، كانت نور في مكتب المحامية التي حصلت على رقم هاتفها من مريم منذ فترة، حيث استفسرت عن إجراءات القضية. وبعد أن تأكدت من كل التفاصيل، طلبت منها المحامية أن تتخذ الإجراءات اللازمة. وفي تلك الليلة، قررت نور زيارة منزل والدها بحجة أنها اشتاقت لهم ولغرفتها. حينها استغرب والدها من زيارتها المفاجئة لأنه كان مع عمر طوال اليوم ولم يخبره عن خطط نور. أخبرته نور أن عمر سمح لها بذلك لكنه لن يأتي لأنه مشغول بأعماله في الخارج.

كانت نور في غرفتها، تفكر في عمر وفي مستقبلها. لكنها كانت دائمًا تختار طريقها بنفسها، وتقنع نفسها بأن إذا كان يحبها حقًا، لما كان يضغط

عليها لاختيار بينه وبين عملها. لكنها كانت ترى فيه أنانية، وأنه لا يحب سوى نفسه. وفي الجهة الأخرى، كان عمر في منزله مع رامي الذي أخبره بكل ما حدث بينه وبين نور. قال رامي إنه تصرف بشكل صحيح لأنه رجل ملتزم. لكن عمر ضحك بسخرية وقال له إن نور اختارت عملها وتركته وحيدًا رغم حبه لها. حاول رامي تهدئته، مؤكدًا له أن كل شيء سينقلب لصالحه، وأن نور تحتاج فقط لبعض الوقت لتستعيد توازنها وتفكر بهدوء بعيدًا عن الضغوط.

في صباح اليوم التالي، استفاق عمر على صوت الباب. فتحه ليجد رجلًا يحمل ورقة من المحكمة. أخبره الرجل أن زوجته رفعت دعوى ضده. صُدم عمر وأصابه صداع من المفاجأة، ثم طلب منه الرجل أن يوقع على الأوراق. بعد التوقيع، دخل عمر منزله وهو يحمل الورقة في يده، ورأسه في يده الأخرى. جلس على الأريكة وقرأ الورقة، فشعر بدوار شديد. كانت الصدمة كبيرة عليه؛ لم يكن يتوقع أبدًا أن نور ستفعل ذلك. كان يظن أنها كانت مجرد تهديد.

في المستشفى، كان زين يتلقى العلاج بعد الضربة التي تلقاها من عمر. كان كمال في زيارته، وشرح له كل ما حدث. أخبره كمال أن نور أصبحت متزوجة، وهو شعر بضيق شديد واعتذر لزين عما حدث له بسبب ذلك. لكن زين أخبره أنه لن يتراجع عن موقفه. وأكد له أنه سيعود للعمل في الجريدة وسيوهم رئيس التحرير بأنه سيتحدث عن كمال كما أراد، لكنه في الواقع لن يفعل ذلك. وأعلن أنه يخطط لجعل نور تقع في فخه.

في نفس اليوم، عادت نور إلى منزل والدها بعد يوم طويل في العمل. عندما دخلت، تفاجأت بأن جميع أفراد العائلة كانوا مجتمعين، ينظرون إليها بنظرات مليئة بالغضب، وكان عمر بينهم. دخلت وقالت:

- خير في إيه!

نهض جمال من مكانه، ووقف أمامها بثبات، ثم مد يده إليها وهو يوجه الورقة التي وصلت إلى عمر في صباح هذا اليوم، وقال بنبرة حادة:

- إيه ده يا نورا! هو ده بجد؟!

ازدردت نور ريقها بتوتر ثم قالت:

- أيوة يا بابا بجد..

صفعها والدها على وجنتها في لحظة مفاجئة، لينهض الجميع في صدمة. بينما كان الجميع في حالة ذهول، دخل عمر من الباب بسرعة وتوقف أمام نور، قائلًا بنبرة توسل:

- أرجوك يا عمي.. أرجوك بلاش.

كانت نور تضع يدها على وجنتها، والدموع تتساقط من عينيها في حالة صدمة شديدة. ثم نظر إليها جمال بحزم وقال:

- طول عمري وأنا كنت فاكر إنك عندك مبادئ ومتربية صح.. عمرك ما أخدتِ قرار قبل ما ترجعيلنا، روحتِ فركشتِ خطوبتك الأولى من غير ما ترجعيلنا وحطيتِ راسنا فِ الأرض، ويوم ما جوزتك لابن عمك استغربت على موافقتك وساعتها كنت مستريح لأني مأجبرتكيش على جواز بغض النظر عن إني كنت بحميكِ لكني كنت متأكد إن عمر هو الإنسان الوحيد اللي هيقدر يحافظ عليكِ، وسواء كان متقبل جوازه منك أو لا أنا كنت عارف إن مع مرور الوقت والعِشرة هيتقبلك، وجاية دلوقتي تتخلي عنه عشان شغلك القذر اللي مش هيجيلك من وراه غير المشاكل..

ظلت صامتة تبكي فقط ثم استطرد جمال قائلًا:

- يمكن لو كنتِ جيتِ واتكلمتِ معايا وأخدتِ رأيي ورأي والدتك واخواتك مكنش هيبقى ده رد فعلي، واللي هيجنني إنك بتحبيه يبقى ليه أصلًا تحطيه فِ خانة الاختيار!

رد عمر وقال:

- أرجوك يا عمي سيب نور على راحتها.. أنا هنفذلها رغبتها وهطلقها بس من غير محاكم.

- اسكت يا عمر.. مفيش حاجة من دي هتحصل.

اقترب جمال من نور وأمسكها من ذراعها وضغط عليه قائلًا:

- اسمعي يا بنت أنتِ.. أنتِ الصبح تروحي تقدمي استقالتك وهترجعي بيتك مفيش طلاق، والقضية اللي أنتِ روحتي رفعتيها من غير ما تستشيري حد دي تروحي تتنازلي عنها.. يإما قسمًا بالله العظيم لهخليكِ تطلقي وبرضو هتسيبي الشغل وابقي فرجيني بقى هتعملي إيه لما تلاقي نفسك خسرتِ كل حاجة..

مسحت نور دموعها ثم قالت:

- خلاص! خلصت كلامك! أيوة أنا اتعمدت أعمل كده من غير ما آخد رأيكم عارف ليه! عشان كنت هتعارضني وعارفة وحافظة صم كل الكلام اللي هتقولهولي فاختصرت على نفسي الطريق وحليت مشكلتي بنفسي، حضرتك اتخليت عني وجوزتني واحد مبيحبنيش ولحد النهاردة كل واحد فينا بينام فِ مكان، عمر مش معترف بيا كزوجة يا بابا، عمر عايز يمارس رجولته بأنانية وبيثبتلي بآيات القرآن اللي مش بيعمل بيه أصلًا.. ودي مش حياة، أنا بقالي سنتين فِ الهم ده وساكتة ومفيش مخلوق يعرفه بس أنا تعبت.. من حقي أكون زوجة بجد ومن حقي أكون أم، هو لو كان

حسسني بـ ده من الأول مكنتش وصلت للي وصلتله دلوقتي.. ومكنتش حطيته فِ خانة الاختيار، بس كل واحد بيحاسب على مشاريبه.

ضغط على ذراعها مرة أخرى ثم قال:

- أنا اللي دلعتك وسيبتك على راحتك.. بس المرة دي مش هسيب الموضوع يعدي بمزاجك.. وقدامك اختيارين، يا ترجعي بيتك وتقدمي استقالتك يا تطلقي وهتقعدي هنا وبرضو هتقدمي استقالتك، فأنتِ فِ الحالتين هتسيبي الشغل.

بكت أكثر ثم قالت:

- أرجوك يا بابا أنا مش هقدر أدمر مستقبلي بإيدي..

- مش أحسن م.....

وضع جمال يده على قلبه، وشعر بألم شديد جعل وجهه يعبس من شدة المعاناة، وظل يتأوه من فرط الألم. اتسعت عيني نور من الصدمة، وتقدمت نحوه بسرعة، وقالت بلهفة:

- بابا.. مالك يا بابا! بابا....!

***

كانت نور تجلس مع الجميع في غرفة الانتظار، وكلهم يشعرون بالخوف الشديد من حالة والدها. وعندما خرج الطبيب، أخبرهم بضرورة أخذ

عينة دم من جمال لإجراء بعض التحاليل، بالإضافة إلى ضرورة إجراء أشعة على قلبه. وعندما ذكر الطبيب كلمة "قلب"، ارتعبت أسماء وتجمّد دمها. طلب الطبيب منهم بطاقة التأمين الصحي الخاصة بجمال، لكنهم أخبروه أنها ليست معهم في تلك اللحظة. عندها، عرضت نور أن تذهب إلى المنزل لتجلب البطاقة. وعندما عرض عليها عمر أن يرافقها، رفضت بشدة وأخبرته أنها ستذهب بمفردها.

وصلت نور إلى منزل والدها، ودخلت غرفته بسرعة وأخذت محفظته بما فيها من أوراق. خرجت مسرعة وهي تتجه نحو سيارة أجرة، لكنها فوجئت بوصول سيارة أخرى أمامها. نزل منها رجلان، فنظرت إليهما بقلق، وحاولت أن تبتعد، لكنهما أمسكا بها من ذراعيها وأجبراها على ركوب السيارة. كانت تصرخ وتستغيث، لكنها فشلت في مقاومتهم.

غطوا عينيها بقماشة سوداء حتى لا تتمكن من رؤية شيء. بعد فترة، توقفت السيارة في مكان ناءٍ، أمام منزل كبير في منطقة شبه صحراوية، لا يوجد حوله إلا بعض الفلل المتناثرة. كانت نور لا تعلم إلى أين وصلوا بسبب القماشة التي كانت تغطي عينيها.

نزلوا بها من السيارة وأدخلوها إلى المنزل، ثم رفعوا القماشة عن عينيها. نظرت حولها بتأنٍ، لتكتشف أنها في منزل غريب تمامًا. تفاجأت حينما رأت كمال وزين يخرجان من إحدى الغرف، وكان زين يحمل كأسًا من النبيذ بيده. شعرت وكأنها في مشهد من فيلم درامي أكشن، حيث تمثل هي دور المخطوفة. نظرت إليهما بحيرة ثم قالت:

- كنت حاسة إن أنت اللي هتطلع ورا كل ده يا كمال يا جندي!

(19)

"من أجلِكَ أنتِ"

ابتسم بخبث ثم قال:

- ده أنتِ مطلعتيش بس بتشهّري بالناس، ده أنتِ طلعتِ عندك الحاسة السادسة كمان..

فنظر إلى رجاله الذين كانوا يمسكون بنور فنظرت إليه بازدراء ثم قال:

- سيبوها..

هكذا وجّه حديثه لهؤلاء الرجال فتركوها فنظرت إليهم بغضب ثم أعادت النظر إلى كمال قائلة:

- والله مكنش فيه أي داعي لكل ده.. لو كنت طلبت إني أجيلك لحد عندك مكنتش هرفض!

- ده أنتِ طلعتِ جريئة كمان!

ابتسمت بسخرية ثم قالت بنبرة ثقة:

- طبعًا.. واحدة زيي بتشتغل فِ أكبر وأهم قسم فِ الجريدة كلها وبسببك حققت مشاهدات مهولة وقربت تجيب حقوق ناس كتير لازم تبقى جريئة..

تلاشت ابتسامته وهو يرمقها بنظراتٍ حادة ثم استطردت قائلة:

- وبعدين واحد زيك ماشي فِ السليم زي ما بتدّعي ده، إيه لازمته تبعتلي واحد حقير زي اللي واقف وراك ده وتعمل الشويتين دول! كان أخره يعمل إيه معايا مثلًا عشان أبقى فاهمة!

- كنت فاكرك أضعف من كده وكنت فاكر إنه بكلمتين كان هيقدر يوقّعك بس طلعت حمار..

- دي حقيقة..

فاقترب إليها وقال بغضب:

- عارفة ليه طلعت حمار! عشان كنت المفروض أعمل معاكِ اللي أنا عملته دلوقتي من الأول.. بس أنا كنت حنين معاكي..

ضحكت نور بسخرية مرة أخرى، ثم طلبت منهم أن يأخذوها إلى أي مكان لا تدري عنه. كانت تصرخ وتخبرهم بأنها يجب أن تذهب إلى والدها لأنه مريض، ولكن كمال تجاهلها تمامًا ولم يعيرها أي اهتمام. أخذها رجاله إلى غرفة مظلمة وفارغة، كالسجن، وأغلقوا الباب بإحكام من الخارج. بدأت نور تضرب الباب بيديها وقدميها وهي تصرخ وتستنجد، لكن لم يكن هناك من يسمعها. ظلت في مكانها، في صمت مطبق، لا أمل في النجاة.

في الجهة الأخرى، كان الجميع ينتظر قدومها بقلق، ولكن تأخرها كان أكثر من المعتاد. أخبر عادل الجميع أنه سيذهب للبحث عنها ويجلب بطاقة التأمين الصحي. وعندما وصل إلى منزلها، لم يجدها هناك. ظل ينادي عليها ويبحث في كل زاوية، لكنه لم يعثر على أي أثر لها. حاول الاتصال بها، لكن جميع محاولاته باءت بالفشل. تواصل مع عمر وطلب

منه الذهاب إلى منزل نور، ربما تكون هناك. وافق عمر على الفور وركب سيارته متجهاً إلى المنزل، في حين عاد عادل إلى المستشفى ليكمل مهمته.

وصل عمر إلى منزل نور، وظل يبحث في كل مكان لكنه لم يجد أي أثر لها. شعوره بالقلق بدأ يزداد، وكان لا يعرف ماذا يفعل. في تلك اللحظة، رن هاتفه الآخر، وبدت نظراته متوترة وهو يجيب. كان خالد على الخط، وأخبره بأنه حاول الوصول إليه منذ فترة طويلة، وطلب منه أن ينتظره في مكان معين. بعد فترة قصيرة، وصل كريم إلى المكان، فوجد خالد واقفًا في انتظاره. نظر إليه عمر وقال بقلق:

- أنت فين من بدري وإيه اللي بيحصل!

- أنا مش عارف.. مش فاهم أي حاجة، عمر بيروح لبنت عمه الدكتورة.. وهي متابعة علاجه ونظراتها له كلها شك بس هو مش واخد باله، ملك لو عرفت الموضوع أنا هنتهي!

- وناوي تعمل إيه وعملت إيه فِ موضوع فؤاد الديب!

- هو أنا لحقت! المنوم اللي ملك اديته لعمر تأثيره صعب، مش قادر أسيطر..

- هو فيه إيه عند عمر اليومين دول؟

- عمر هيطلق نور وجمال فِ المستشفى دلوقتي بيموت ونور.....

فصمت ثم انتفض فجأةً فقال:

- نور! نور مش موجودة يا خالد!

- يعني إيه نور مش موجودة؟!

- من شوية نور راحت تجيب حاجة لأبوها مرجعتش المستشفى وأخوها راحلها ملقهاش وموبايلها مقفول، ومش موجودة فِ بيت عمر!

- يعني إيه الكلام ده!

ظل يفكر قليلًا ثم تحولت ملامح وجهه فقال:

- هو مفيش غيره..

- هو مين ده!

- زين.. زين اللي كان بيشتغل مع نور فِ الجريدة، مكنش سايبها فِ حالها الفترة اللي فاتت..

- طب وده هتوصله ازاي!

- مش عارف.. لازم أعمل حاجة قبل ما عمر يرجع!

- يعني هو عمر هيسكت!

- مش هيسكت بس مش هيجي على باله أي حاجة..

أمسك برأسه عندما شعر بصداع قد أصابه فجأةً فنظر خالد إليه بتوتر ثم قال:

- كريم أنت كويس!

- امشي بسرعة يا خالد.. امشي بسرعة!

- امشي ازاي واسيبك كده!

- عمر لو شافك هتبقى كارثة.. امشي بسرعة..

ذهب خالد مسرعًا إلى سيارته وانطلق بأقصى سرعة، بينما عاد كريم إلى سيارته هو الآخر وعاد إلى المنزل سريعًا. بعد أن وصل، أغلق هاتفه وأخفاه في مكانه السري، ثم استلقى على الأريكة محاولًا استعادة هدوئه. مرّت ساعتان قبل أن يستيقظ فجأة من نومه، فانتفض بسرعة، وهو يحدّث نفسه بقلق:

- هو أنا ازاي نمت كده!

فصمت برهة ثم قال:

- عمي! نور...

أمسك ليجد الكثير من المكالمات الفائتة، كان أبرزها مكالمة من عادل. شعر بشيء من التوتر وهو يضغط على زر الإجابة:

- إيه يا عمر أنت فين ومش بترد ليه!

- مش عارف يا عادل تعبت فجأة وحسيت إن حد ضربني على دماغي.. اتفاجئت إني نايم ومش دريان بالدنيا..

- لقيت نور ولا لسه!

- نور مش فِ البيت..

- يعني إيه مش فِ البيت! هتكون راحت فين يعني!!

- مش عارف.. أنا ملحقتش أعمل أي حاجة.

- طب أنا مش عارف أسيب بابا دلوقتي حاول تتواصل مع مريم صاحبتها يمكن هي تعرف مكانها..

- معرفش أوصلها ازاي..

- أنا عارف عنوانها، هبعتلك اللوكيشن فِ مسدچ.

- تمام.. هستناك تبعت.

بعد ساعة، وصل عمر إلى منزل مريم وطرق الباب ثم رن الجرس. عندما فتحت مريم ووالدتها، اعتذر لهما وسألهما عن نور، وأخبرهما أنها مفقودة. تفاجأت مريم بشدة وأخبرته أنها لم ترَ نور منذ مغادرتها العمل. أومأ عمر برأسه في صمت، ثم اعتذر لهما مرة أخرى. طلبت مريم منه بقلق أن يطمئنها حالما يجد نور، فطمأنها ووعدها أنه سيفعل ما في وسعه، ثم انصرف. استمر في البحث عنها بالقرب من منزل والدها ومنزلها، لكن دون جدوى.

في الجهة الأخرى، ظلّت نور محبوسة في الغرفة المظلمة حتى حل الصباح. فتح زين الباب ودخل ليجدها جالسة في أحد أركان الغرفة، يملأ وجهها الرعب. نظر إليها ضاحكًا بسخرية، ثم قال:

- كنت فاكرك ذكية وهتعرفي أنا مين من أول لحظة بس خيبتِ توقعاتي..

رفعت رأسها ثم قالت:

- ومين قالك إني مكنتش شاكة فيك من البداية!

- كل ده مش هيغير حاجة..

- أنتوا جايبني هنا ليه! عايزين مني إيه؟!

- عايزين نأدبك.. مش هنسيبك غير لما تمضي تعهد إنك مش هتجيبي سيرة كمال بيه فِ أي خبر هتنشريه أو أي مقال هتكتبيه..

- نجوم السما أقربلك من إني أقف مع الباطل..

- يا بنتي ريحي نفسك وانجدي نفسك من هنا.. كمال بيه مش سهل، وسهل أوي يخلّص عليكِ ويخلص منك خالص.

- وأنت بقى بتقولي الكلام ده بناءً على إيه! خايف عليا؟!

- للأسف خايف عليكِ ومش حابب إنك تتأذي، كل الحكاية إنك هتعملي حاجة بسيطة خالص.. هتوقّعي على تعهد وخلاص..

- وأنا أضمن منين إنه ميستخدمش التوقيع ده ضدي!

- أكيد مش هيستخدمه طالما مش هتجيبي سيرته..

- وأنا استحالة أخون شرف المهنة..

- خلاص خليكِ هنا وسط الحشرات والزبالة..

تركها زين في الغرفة وخرج دون أن يكلف نفسه ويترك لها رشفة ماء. ظلت نور جالسة على الأرض، ضامة ركبتيها إلى صدرها، ورأسها بين يديها، تبكي بحرقة وتفكر في عمر وتساءل عن مصيرها.

في المستشفى، طمأن الطبيب الجميع على صحة جمال، وقال إنه سيخرج اليوم بعد أن تحسنت حالته، لكنه بحاجة للراحة والابتعاد عن أي توتر أو ضغوط نفسية. وعندما سألته أسماء عن نتائج التحاليل والأشعة، صُدمت عندما أخبرها الطبيب أن جمال يعاني من مرض في القلب منذ فترة طويلة، ولكنه قد تحسن بعد العلاج. نظرت إليهم جميعًا، والدموع في عينيها، وسألتهم: "هل كان أي منكم يعلم بذلك؟" فأجابوها أنهم كانوا في غاية الصدمة ولا يعرفون شيئًا عن حالته الصحية.

دخلوا جميعًا إلى غرفة جمال، وفي تلك اللحظة، انفجرت أسماء في البكاء. طمأنها الطبيب قائلاً: "إنه بخير الآن، لا داعي للقلق." قررت أسماء أن تتركه يستريح دون أن تحدثه في أي شيء، حتى ذهبوا إلى المنزل حيث استلقى جمال على سريره ليأخذ قسطًا من الراحة.

في الأسفل، كان عمر يخبر عادل بما حدث. شعر عادل بالغضب الشديد وقرر التوجه إلى المديرية للاستعلام عن تسجيلات كاميرات المراقبة. اكتشف أن نور كانت تنتظر شيئًا ما في الخارج، فخمّن أنها كانت تنتظر سيارة أجرة. انتظر عادل قليلاً حتى شاهد ما حدث لها على الكاميرا، وعاد إلى المنزل حاملاً معه التسجيل، ليعرضه على عمر الذي أصيب بصدمة عندما رأى الفيديو. طلب عمر من عادل أن يقرب الصورة أكثر، لأنه بدأ يشك في شخص ما. وبالفعل، اقترب عادل بالكاميرا، ليكتشف أن زين كان ظاهرًا بوضوح في التسجيل. ازداد غضب عمر بشكل لا يوصف، وأخذ أنفاسه بسرعة وهو يشعر بشحنة غاضبة تجتاحه.

خرج عمر من المنزل مسرعًا دون أن يخبر عادل إلى أين سيتجه. حاول عادل أن يلتقط أرقام السيارة، لكنه اكتشف أنها بلا أرقام.

اتجه عمر بسرعة إلى مبنى الجريدة، حيث التقى بمريم التي سألته عن نور. لكنه تجاهلها تمامًا وذهب إلى مكتب رئيس التحرير ليسأله عن عنوان منزل زين. فاجأ رئيس التحرير عندما رأى عمر هناك، وسأله عن سبب حاجته إلى عنوان زين. أخبره عمر بأن نور زوجته، وأن زين هو من اختطفها مساء البارحة. نهض رئيس التحرير في صدمة، وبعد دقائق، خرج عمر من الجريدة في طريقه إلى منزل زين.

تواصل مع عادل وأخبره بما حدث، فطلب منه عادل أن يظل هادئًا وألا يتصرف بعنف حتى تصل القوة اللازمة من الشرطة لاعتقال زين. وعندما

وصل عمر إلى منزل زين، نزل من سيارته بسرعة وبدأ يطرق الباب بعنف شديد، حتى كاد أن يخلعه. فتحت له أخت زين، فسألها عن مكانه.

خرج زين من الداخل، ليجد عمر أمامه. وما إن رآه حتى لكمه عمر في وجهه، ثم ألقاه أرضًا، وصعد فوقه ممسكًا بياقته، وقال بصوتٍ عالٍ مليء بالغضب:

- فين نور!

- نور! وأنا أعرف منين فين نور!

- أنت هتستعبط! أنت خطفت نور قولي هي فين يإما هقتلك..

- قولتلك معرفش هي فين سيبني هتموتني!

دخلت الشرطة وعلى رأسها عادل ليأخذوا زين، فوقف عادل أمامه ثم قال:

- هو سؤال واحد ومش هعيده، وديت أختي فين!

ظل زين صامتًا، وعينيه لا تفارقان الشاشة التي تعرض وجهه بوضوح، ثم التفت إلى عادل، الذي كان ينظر إليه بترقب. كانت الإجابة التي ينتظرها عادل واضحة من ملامح وجهه، ولكنه لم يقل شيئًا، فقط ابتلع الكلمات التي كان يريد أن يقولها.

أغلق عادل جهاز الحاسوب بهدوء، ونظر إلى زين بعينين مليئتين بالجدية، ثم قال بصوت منخفض، لكنه حازم:

- من الواضح إنك مش لوحدك.. وإن في حد باعتك والحد ده هو اللي طلب منك تعمل كده، ياريت تعترف لأن الدليل واضح..

أخذ زين نفسًا عميقًا، ثم رفع عينيه إلى عادل وقال بصوت بارد:

- أنا اللي خطفت نور.. محدش بعتني..

- خطفتها ليه! وهي فين دلوقتي؟؟

- مش هتكلم غير فِ وجود المحامي بتاعي.

نادى عادل على أمين الشرطة بصوتٍ عالٍ ليعطيه هاتف زين، وأمره بإرساله إلى الجهات المختصة لفحص المكالمات والرسائل التي يحتوي عليها الهاتف. شعر زين بتوتر شديد وبدأ يراوده الخوف من العواقب، لكن رغم محاولات عادل الضغط عليه للاعتراف، ظل زين صامتًا ولم يكشف عن أي شيء.

بعد فترة من الانتظار، خرج زين من مكتب التحقيق بصحبة أمين الشرطة الذي كان يرافقه لنقله إلى الحجز. نظر عمر إلى زين وهو يراه يغادر، وكان الغضب يملأ عينيه، لكن حاول أن يسيطر على أعصابه قبل أن يدخل مكتب عادل.

داخل المكتب، أخبره عادل أن زين لم يعترف بأي شيء بعد، لكن الأدلة التي تم جمعها ضده كانت قوية. وطمأن عادل عمر بأن هاتف زين سيكشف الكثير من المعلومات المهمة.

- إيه قال مكانها فين!

- لا مش عايز يعترف بأي حاجة.

- وأنت سيبته عادي كده!

- مفيش فِ إيدي أي حاجة أعملها دلوقتي.. الموبايل بتاعه مع الجهات المختصة بيفتحوه وبيجيبوا آخر مكالمات، اهدا يا عمر إن شاء الله خير.

- لا مش ههدا ومستحيل أبقى ببرودة الأعصاب بتاعتك دي، دي أختك يا سيادة الرائد أختك!

نهض عادل وقال:

- ما أنا عارف إنها اختي وانا مش ساكت والتحريات شغالة..

- على العموم أنا مش هستنى التحريات بتاعتك دي لما تخلص، أنا هدور على نور بطريقتي..

خرج عمر من مكتب عادل وهو غارق في مشاعر الغضب والتوتر، دون أن يمنح عادل فرصة لقول المزيد. توجه مباشرة إلى منزل زين، وعندما وصل، وقف أمام الباب وطرق عليه بعنف. فتحت أخته الباب لتجد عمر يقف أمامها، ملامحه مليئة بالقلق والغضب. نظر إليها للحظة ثم سألها بصوت حازم، ولكن مع قليل من التردد:

- أخوكِ بيشتغل لصالح مين!

- أنا معرفش أي حاجة أقسم بالله.. هو مفهمني إنه شغال فِ جريدة أخبار..

- يعني أنتِ متعرفيش إن شغل أخوكِ كله كوارث!

- كوارث!

- أخوكِ خطف مراتي وأنا أقسم بالله ما هسيبه غير لما أعرف مكانها..

ترك عمر الباب بعدما لم يحصل على إجابة شافية من أخت زين، وعاد إلى سيارته. لكنه لم ينطلق فورًا، بل جلس في مكانه يراقب المنزل بعينين متوترتين. مرت ثلاث ساعات على هذا الحال، بينما لم يحدث أي شيء جديد في المنطقة. كان الوقت يمر ببطء، وكان عمر يشعر بأن الانتظار يلتهم أعصابه ببطء، ومع ذلك، ظل عينيه ثابتتين على المنزل، ينتظر أي حركة أو تغيير قد يعطيه خيطًا جديدًا للوصول إلى زين.

***

كانت أسماء تساعد جمال في تناول طعامه، وتراقب وجهه بقلق شديد، حيث كانت الأعراض التي مر بها لا تزال تؤرقها. حاول جمال أن يطمئنها قائلاً إنه بخير، وأكد أنه لا داعي لكل هذا الخوف. لكنها لم تقتنع بكلامه وسألته مجددًا عن مرضه. ظل جمال صامتًا للحظة، وأخذ نفسًا عميقًا قبل أن تكرر السؤال مرة أخرى، ولكن هذه المرة بتعبير أكثر إصرارًا، مما دفعه أخيرًا ليرتشف جرعة من الماء ويجيب.

- خبيت عليا ليه يا جمال!

- كنت فاكر إن المرض لسه فِ أوله وإني هقدر أتعالج منه بس موضوع الشركة خلاني أنسى وأكسل..

- ازاي متقوليش حاجة زي كده، على الأقل كنت أنا اهتميت بيك..

- أهو اللي حصل بقى يا أسماء، مكنتش حابب أعرّف حد فيكم عشان ميخافش ويقلق على الفاضي.

- يعني حلو إنك توصل للمرحلة اللي وصلتلها امبارح دي وتخلينا كلنا نموت من الخوف عليك!

- «قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا».

- وبرضو ربنا سبحانه وتعالى قال «وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ» يعني مينفعش تسيب نفسك للتعب وتقول إن ده مكتوبلك بس وأنت مش بتاخد بالأسباب!

- الحمدلله على كل حال، قدّر الله وما شاء فعل، الفترة الجاية هنتبه على صحتي بإذن الله وده وعد مني..

- ربنا يستر، يلا خُد الدوا ونام شوية عشان تستريح..

***

كان كمال في منزله البعيد، يتحدث في الهاتف ويسأل عن زين، وعندما علم أنه تم إلقاء القبض عليه، شعر جمال بأن حياته أصبحت مهددة. فقرر أن يتصرف بسرعة، وذهب بنفسه إلى الغرفة التي كانت نور محتجزة بها. فتح الباب ودخل، وأخذ يعنفها بشدة، مهددًا إياها بالقتل إذا قام أخوها بفعل أي شيء له. نظرت إليه نور بغضب شديد وأجابته بصوت مرتفع:

- إن شاء الله أنت واللي زيك هتروحوا فِ ستين داهية بصرف النظر عن وجود أخويا..

- أنتِ فاكرة نفسك بتتحامي فيه! لا يبقى أنتِ متعرفيش كويس مين هو كمال الجندي..

ما زال عمر يراقب منزل زين عن كثب، حتى لمح شخصًا مفتول العضلات يطرق الباب. بعد لحظات، خرج هذا الشخص وركب سيارته، فقرر عمر متابعته بسرعة. وصل إلى منزل بعيد، وتوقف بسيارته على بعد مسافة، ثم دخل هذا الرجل على كمال الذي كان لا يزال مع نور. أخبره أنه لم يجد زين، فزاد غضب كمال وأخبره أنه يعلم بما حدث. وكان ينظر إلى نور بعينين مليئتين بالغضب، ثم طلب من الرجل أن يفعل بها ما يشاء.

عندما اقترب الرجل منها، حاولت نور أن تستغيث وتطلب منه الابتعاد عنها، لكنها كانت عاجزة عن التهرب. في تلك اللحظة، دخل عمر المنزل بسرعة، وبدأ يبحث عنها حتى سمع صوت صراخها. ركض مسرعًا نحو الصوت، وبمجرد أن وصل إلى الغرفة، هجم على الرجل بكل قوته وأوقعه على الأرض. ثم أمسك بيد نور وأخذها على الفور إلى السيارة.

خارج الغرفة، دخل كمال ورجاله ليجدوا الرجل مستلقيًا على الأرض، لكنهم تفاجأوا بعدم وجود نور. بسرعة، تواصل عمر مع عادل وأخبره بما حدث، وأرسل له الموقع. أخذ نور إلى المستشفى فورًا، وأخبر الطبيبة أن أحدهم حاول الاعتداء عليها. بعد إجراء الفحص، طمأنته الطبيبة أن حالتها مستقرة، رغم وجود بعض الخدوش والجروح الطفيفة على جسدها.

عندما دخل عمر إلى غرفتها، وجدها تبكي بحرقة. جلس بجوارها، وحاول أن يهدئها، قائلاً:

- خلاص متخافيش.. أنتِ فِ أمان دلوقتي..

ظل عمر ممسكًا بها، يحاول تهدئتها بينما كانت دموعها تتساقط بغزارة على صدره. شعر بآلامها وكأنها تخترق قلبه. ظل صامتًا للحظات، محاولًا استيعاب كل ما حدث، ثم قال بصوت خافت:

- ياما نصحتك يا نور وقولتلك إن الاختلاط ده آخرته مصيبة أنتِ مسمعتيش الكلام، ومكنتيش بتسمعي غير صوتك وبس.. ده بغض النظر عن إنك بتشتغلي فِ قسم كله خطر..

- قبضوا على كمال ولا لا!

- للأسف هرب هو ورجالته وتليفون زين ملقوش عليه أي حاجة..

- يعني إيه! يعني إيه بجد!

- يعني ده راجل مش سهل واحمدي ربنا إنك بخير وإنها جت على قد كده..

- طب وبعدين! اللي اسمه زين ده هيحصل فيه إيه؟

- هيخلوا سبيله لأنهم فتشوا بيته وأنتِ مكنتيش فيه ومفيش أي دليل ضده غير كاميرات المراقبة وللأسف قال إنك جيتي معاهم بمزاجك..

نظرت نور إليه بصدمة ثم قال:

- الحيوان ده بيحاول يسوّأ سُمعتي!

- هو ده اللي قاله فِ التحقيق، قال إن كان في بينك وبينه علاقة وإنك كنتي مستنياه قدام بيتكم عشان يجي ياخدك وإنك سبتيه ومشيتي لما النهار طلع.. التقارير اللي طلعت فِ المستشفى هتروح على القسم لحد ما يلاقوا كمال واللي عمل فيكي كده، أتمنى تكوني اتعلمتي من الدرس ده..

- عمر... أنا آسفة على كل حاجة..

- لا متعتذريش.. المهم إنك بخير دلوقتي وصحيح أنا هحققلك رغبتك..

- أنا هقدم استقالتي يا عمر.. مش هشتغل فِ الجريدة تاني..

- دي حاجة ترجعلك.. أنتِ حرة يا نور اعملي اللي أنتِ عايزاه واللي يريحك.

- يعني إيه؟!

- يعني أنا هنفذلك قضيتك وهطلقك..

- إيه! بعد كل اللي حصل؟؟

- مش ده اللي كنتي عايزاه! من غير أي قواضي أنا هريحك وهنفذلك رغبتك..

- عمر أنا... أنا عرفت غلطي وهصلحه، أرجوك سامحني.

- قومي يا نور عشان زمان أهلك هيموتوا من القلق عليكي، وبالمناسبة عمي بقى بخير وخرج من المستشفى، يلا عشان أوصلك عشان أروح لعادل وأديله التقارير دي.

ظلت نور تنظر إليه بعيونٍ مليئة بالدموع، وكأنها تعكس كل الألم الذي مرت به. ثم قالت بنبرة مليئة بالندم:

- أنا آسفة.. بتمنى تسامحني..

- ظبطي حالك وأنا مستنيكِ تحت فِ العربية..

***

بعد مرور ساعة، كانت نور في منزلها برفقة والدها في غرفته. تقدمت إليه، قبّلت جبينه واعتذرت له عن ما بدر منها وهي تبكي، وأخبرته بأنها تعلمت درسًا لن تنساه طوال حياتها، وأنها ستترك عملها كما طلب منها عمر. ابتسم والدها بسعادة كبيرة، قبّل جبينها وشعر بفرح عميق عند سماعه لهذه الأخبار. طلب منها العودة إلى منزلها والانتظار حتى يعود زوجها، وفي الصباح، عليها الذهاب إلى المحامية للتنازل عن الدعوى التي رفعتها ضده. أومأت نور برأسها وغادرت منزل والدها عائدة إلى بيتها، حيث قامت بتنظيفه بالكامل، ثم استحمت وارتدت ملابس جديدة، وتوجهت إلى المطبخ لتحضير طعام الغداء.

عندما وصل عمر، تفاجأ بكل ما رآه، حتى استقبال نور له كان مليئًا بالود والترحاب. دخل لاستبدال ملابسه وأخبرها بأنه تناول طعام الغداء في الخارج، مما جعلها تشعر بخيبة أمل، لكنها أومأت برأسها بصمت. انتظرته حتى خرج من الحمام، وجلست معه معتذرة بشدة، معربة عن ندمها العميق. لكنه أخبرها بأنه لا يصلح أن يكون زوجًا لها ولا لأي شخص آخر، وأنه لا يرغب في ظلمها بالبقاء معه. بدأت تشعر بالقلق

من أنه يمر بمشكلة، فسألته إذا كان هناك جديد، لكنه طمأنها بأن كل شيء يسير على ما يرام، لكنه سئم من حديثها المستمر حول ما يحب ويكره، لأنها تعانده ولا تستمع إلى كلامه. وعدته بأنها ستصغي له، لكنه لم يقتنع وأخبرها للمرة الأخيرة أنهما سيذهبان إلى المأذون بعد تحسن حالة عمه، ثم تركها وتوجه إلى غرفة المعيشة.

وقفت نور بعد مغادرته، بدّلت ملابسها وخرجت من المنزل. استقلت سيارة أجرة وتوجهت إلى مقر الجريدة. عند دخولها، تفاجأت برؤية مريم التي اقتربت منها واحتضنتها بشدة، معربة عن شكرها لله لأنها اطمأنت عليها. أخبرتها نور بأنها ستترك عملها وأنها ستوضح لها كل التفاصيل بعد إنهاء إجراءات الاستقالة. ذهبت إلى مكتب رئيس التحرير وأبلغته باستقالتها النهائية. على الرغم من قبوله، بدا عليه الحزن الشديد. وعندما خرجت لتأخذ أغراضها من مكتبها، تفاجأت بوجود زين في انتظارها، فنظرت إليه بدهشة وقالت:

- هو أنت! ولسه ليك عين تيجي لحد عندي يا حقير!

- اسمعيني يا مدام نور.. أنا جايلك فِ الخير..

- خير! وهو اللي يشوف وشك يشوف خير!

- أنا جاي أديكِ الملف اللي فيه كل الأوراق اللي تثبت جرايم كمال..

ضحكت نور بسخرية ثم قالت:

- امشي اطلع بره..

- صدقيني أنا مش جاي أؤذيكِ، أنا جاي أديكِ الملف وهمشي على طول، أنا عرفت غلطي وجاي أطلب منك السماح.. مفوقتش غير لما افتكرت

أختي وعرفت إنها محتاجة لوجودي عشان كده أنا قررت اخدها واسافر، وبتمنى إنك تسامحيني على الكلام اللي قولته فِ التحقيق فِ حقك، مكنش قدامي اختيار تاني غير التزييف عشان أخرج وأروح لأختي.. ملهاش غيري، وعلى العموم أنا مش جاي عشان أضايقك.. اتفضلي الملف أهو تقدري تسلميه للسيادة الرائد أخو حضرتك.. بالإذن.

(20)

"محاولة اغتيال"

غادر دون أن ينبس بكلمة أخرى، وظلت تنظر إليه وهو يبتعد، ثم حولت أنظارها إلى الملف الذي بين يديها. قررت أن تأخذه إلى المنزل دون أن تخبر مريم أو أي شخص في الصحيفة. بدأت بقراءة محتوى الملف، فصُدمت بحجم الجرائم التي ارتكبها كمال بعيدًا عن الأعين. شعرت بالاختناق والحزن، إذ كانت تعلم أن مصائر كثيرين كانت تحت رحمته، لكنها استبشرت بأن الحق سيعود إلى أصحابه أخيرًا.

قاطع شرودها دخول عمر إلى الغرفة، ليجدها جالسةً تتأمل الملف الذي حدثته عنه فور رؤيته. سألها كيف وصل إليها، فأخبرته أن زين هو من سلمه لها بعد أن اعتذر. شعر عمر بالضيق، فسحب الملف من يديها وأصرّ أنها لن تتصرف بأي شيء يتعلق به. طلبت منه أن يعيد الملف، لكنه رفض بعناد، مما أثار غضبها، فسألته: إن كان مصرًّا على الطلاق، فلماذا يخشى عليها الآن؟

أجابها بصرامة أنه سيسلم الملف لعادل، وأن عليها ألا تتدخل، فقد عانت ما يكفي. قالت بصوت متماسك، تحاول أن تسيطر على انفعالاتها:

- لو سمحت اديني الملف، أنت مشوفتكش كم وصولات الأمانة والشيكات اللي الناس كاتبينها على نفسهم! الحاجات دي لازم تتسلم لأصحابها لأنها لو اتسلمت للنيابة الناس دي هتروح فِ داهية!

- أنا ميهمنيش كل ده، المهم إنك متجرعيش للخطر اللي كنتِ فيه.

أشاحت بنظرها إليه بدهشة، ثم قالت بصوت مليء بالاستغراب:

- ميهمكش إن الناس تروح فِ داهية وتتسجن ظلم! فرقت إيه أنت عن كمال دلوقتي!

- أكيد لا طبعًا مش ده قصدي، ده مش شغلك أنتِ يا نور، الملف ده هيروح لعادل وهو اللي هيتصرف.

- لا يا عمر الملف ده مش هيروح لعادل، عادل مكنش معايا لما كنت بحقق فِ موضوع كمال مع الناس المظلومة دي، عادل هيشوف شغله وهو إن كل الأوراق دي هتتسلم للنيابة والنيابة ساعتها هي اللي هتتصرف.

- يبقى خلاص تقوليلي الناس دي أماكنهم فين وأنا هروحلهم بنفسي أديتهم حاجتهم..

- وأنا أضمن منين إنك مبتاخدنيش على قد عقلي دلوقتي وإنك هتنزل من هنا تروح على عادل!

- أنتِ للدرجة دي مش بتثقي فيا!

- تخيّل! على العموم أنت تديني الشيكات وخد باقي الملف اديه لعادل..

- مش هسيبك تتصرفي من دماغك..

فصمت هنيهة ثم قال:

- طب أقولك على فكرة حلوة! إيه رأيك نحرق الورق ده ونخلص منه خالص!

ضحكت نور بسخرية ثم قالت:

- يا سلام! أنت كده حليتها يعني؟ أنت كده عقدتها أكتر.. ولما تحرق الورق يا ذكي، كمال هيتقبض عليه بتهمة إيه؟!

- أنا بتكلم على الشيكات ووصولات الأمانة مش على الورق بتاع الجرايم.

- على العموم الناس دي لازم تطمن إن حقها رجعلها وكمان إحنا ممكن نلاقي معاهم حاجة تدين كمال.

- أنتِ ليه مدخلتيش شرطة يا نور!

- مش وقت تريقة الله يخليك.. اديني الحاجة خليني أشوف هعمل إيه..

- قولت لا يعني لا!

- أنت مش كنت هتطلقني! مطلقتنيش ليه! أنا اتخنقت منك يا أخي، من ساعة ما دبيت رجلي فِ البيت ده وأنا مشوفتش معاك يوم عدل! عايز مني إيه تاني بقى سيبني فِ حالي!

- أوعدك إني هطلقك أول ما أخلص من التهمة اللي معانا دي لأني أنا كمان تعبت زيك بالضبط..

- كفاية تمثيل الله يرضى عليك، متعملش نفسك خايف عليا!

- أنا مش خايف غير على عمي.. لأن أنتِ إنسانة طايشة وكفاية اللي حصله بسببك آخر مرة.

- أنت السبب يا عمر مش أنا، أنت اللي عيشتني فِ جحيم وأنا كنت فاكرة إني أخيرًا لقيت فتى أحلامي بس الحلم طلع كابوس وصحيت منه على أبشع أيام حياتي..

- للدرجة دي بتكرهيني!

- على قد ما حبيتك على قد ما قدرت تكرهني فيك من طريقتك وأسلوبك وحياتك وتصرفاتك معايا، أنا مبقتش طايقة أقعد معاك فِ مكان واحد دقيقة واحدة، طلقني واديني الملف وسيبني فِ حالي.

- انتي طالق يا نور واتفضلي الملف أهو.. خديه واعملي اللي أنتِ عايزاه.. أنا سايبلك البيت وماشي.

- كده كده أنا كنت هنزل فريح نفسك ووفر على نفسك المشوار.. عن إذنك.

أخذت الملف وحقيبتها وغادرت المنزل، بينما جلس هو يتأمل أمامه بحسرة، مدركًا أن عملها ومسيرتها المهنية أهم بكثير من كل شيء آخر. توجهت إلى العناوين المدونة على الشيكات وبعض أوراق الملف، وقامت بإعادة الحقوق إلى أصحابها. أخبروها أنهم مستعدون للشهادة في قضية كمال، وأنهم على أتم استعداد لمواجهته والتعاون في التحقيق معه في هذه القضية.

***

كان كمال في منزله الذي لا يعرف عنه أحد سوى رجاله الذين يعملون معه. دخل إلى غرفة مكتبه ليأخذ ماله وأوراقه من الخزينة، ليفاجأ بوجود المال، لكن الأوراق اختفت. شعر برعب شديد، تبعه غضب هائل، فصاح بصوته الجهوري مناديًا على زين، لكن لم يرد عليه أحد.

دخل أحد رجاله ليخبره أن زين لم يحضر، فطلب منه كمال الاتصال به ليأتي على الفور. بالفعل، حاول الرجل الاتصال، لكن كمال علم أن زين لا يمكن الوصول إليه، فزاد غضبه وخرج من المنزل مع حاشيته، متوجهًا إلى شركته. ظل يبحث في كل مكان عن الأوراق التي كان متأكدًا أنه قد خبأها في خزينة منزله، لكن الآن اكتشف أنها قد سُرقت وعليه أن يتصرف.

عاد إلى منزله، وكان في انتظار سماع خبر عن زين. دخل عليه أحد رجاله وأخبره أن زين هو من سرق الأوراق. انتفض كمال من مكانه، مملوءًا بالصدمة والذعر. بدأ يتساءل كيف يمكن لزين أن يخونه بهذه الطريقة. طلب من أحد رجاله أن يتصرف بشكل فوري.

في الوقت نفسه، كانت نور في مكتب عادل، حيث سلمته الأوراق وأخبرته بشهادات الرجال الذين كانوا ضحايا كمال. أرسل عادل الأوراق إلى النيابة، وفتح التحقيق في القضية، وتم استدعاء الضحايا للاستجواب. كانت نور في غاية السعادة، وقررت العودة إلى المنزل لتحزم ملابسها وأغراضها، لأنها قررت الانفصال عن عمر.

عندما وصلت إلى المنزل وفتحت الباب، تفاجأت بظلام دامس. نادت على عمر، لكنه لم يكن في المنزل. وعندما أضاءت الأنوار، اكتشفت أن كمال ورجاله في انتظارها، وهم يمسكون ببعض الأسلحة المتنوعة. نظرت إليهم بصدمة وكادت أن تصرخ، لكن كمال وقف خلفها ووضع يده على فمها ليكتم صراخها، ثم سألها:

- فين الورق اللي خليتِ المرحوم يسرقه!

اتسعت عينيها من شدة الصدمة، ظنت في البداية أنه يتحدث عن عمر، فحاولت المقاومة بكل قوتها، لكن محاولاتها باءت بالفشل. عندها، قال كمال بصوت هادئ وقوي:

- لو سمعتك بتصرخي هتحصلي المرحوم زين يا مدام نور..

فتركها ثم قالت وهي تتنفس بسرعة شديدة:

- أنت قتلت زين! قتلته!

- وأي حد هيفكر يخوني هيبقى ده مصيره.. انطقي فين الورق!

- ورق إيه! أنا مش فاهمة حاجة ولا عارفة أنت بتتكلم عن إيه أصلًا!

- أنتِ بتستعبطي صح! لو مستغنية عن روحك قوليلنا واحنا نوفر عليكِ وعلى نفسنا كتر الكلام وتضييع الوقت..

- الورق اتسلم للنيابة يا كمال يا جندي..

ضحك كمال ثم نهض ووقف أمامها، فتلاشت ابتسامته فجأة. نظر إليها بنظرات مليئة بالشر، وفجأة، وبلا سابق إنذار، صفعها على وجهها، مما جعل صرختها تعلو في المكان. في تلك اللحظة، رنّ هاتفها، فأمسكه كمال وأجاب على المكالمة دون أن ينطق بكلمة. كان عمر على الطرف الآخر، وقال:

- ياريت ترجعي البيت دلوقتي عشان لازم نتكلم.. أنا بركن تحت وطالع، ياريت متتأخريش..

فغلق كمال المكالمة وأمر رجاله بالخروج فورًا وأخذ نور معهم. لكن نور ظلت تصرخ، فبادر كمال بوضع يده على فمها ليكتم صراخها، لكنها قاومت بشدة وكادت أن تهرب. إلا أن أحد الرجال ضربها على رأسها بالحديدة التي كان يحملها، فسقطت على الأرض فاقدةً وعيها تمامًا.

خرج كمال مسرعًا مع رجاله من الشقة، وركبوا سياراتهم مغادرين المكان بسرعة. في تلك اللحظة، كان عمر في سيارته، يتحدث مع رامي عبر الهاتف، لكنه لم يرَ كمال أو رجاله وهم يغادرون. وبمجرد أن انصرفوا، نزل عمر من السيارة وهو يقول لرامي:

- على العموم اعمل اللي قولتلك عليه، كلّم العميل وفهّمه براحة، بلاش شغل الهمجية بتاعك ده، يلا سلام دلوقتي هبقى أكلمك شوية كده..

غلق عمر المكالمة ودخل إلى العمارة، صعد إلى شقته ليجد الباب مفتوحًا على مصراعيه، مما أثار دهشته. وعندما دخل، تفاجأ بنور مستلقية على الأرض. ترك كل شيء في يده وركض نحوها، ينادي عليها بصوت عالٍ، ثم وضع يده على نبضها ليكتشف أنها لا تتنفس. حملها بسرعة وركض بها إلى الخارج، ثم قاد السيارة بأقصى سرعة إلى المستشفى. وصل وهو يصرخ بأعلى صوته طالبًا النجدة، بينما حملوها إلى الداخل.

كان عمر في حالة انهيار تام، مرعوبًا من أن يصيبها مكروه. دخل إلى المستشفى وأخبر عادل بما حدث. لم تمضِ نصف ساعة حتى وصل الجميع، وكانت علامات الرعب والفزع واضحة على وجوههم. سألوا عمر عن حال نور وما حدث لها، فأجابهم بما رآه، مؤكدًا أنه لا يعرف أكثر مما رأى. كانت والدتها في حالة انهيار شديد، فأسندها عادل وطلب منها أن تجلس وحاول تهدئتها. قرر عمر أن يخرج من المستشفى لبعض الوقت ليجلس أمام الغرفة، وعندما جلس تذكر المقعد الذي جلس عليه سابقًا عندما تحدث مع نور عن منامه. وضع يده على المكان الذي كانت تجلس فيه، يشعر بالألم والخوف في قلبه. نزلت دموعه دون أن يشعر، وكان أكثر ما يقلقه هو احتمال أن تفارق نور الحياة ولن يراها مجددًا. ظل يدعو الله أن يحفظها وينجيها.

بعد فترة، أخبرهم الطبيب أنها تجاوزت مرحلة الخطر، لكنه أكد أنهم سيقومون بنقلها إلى العناية المركزة لأنها لا تزال في حالة غير مستقرة. طمأنهم الطبيب بأنها ستكون بخير في النهاية، وأوضح أن نور الآن في غيبوبة، ولا يعرف متى ستستفيق منها. شكرت أسماء الله كثيرًا، واطمأن الجميع بشكل مؤقت.

خرج عادل ليتحدث مع عمر، فهدأ قليلاً، لكن عندما طلب منه عادل أن يدخل معه، رفض وقال إنه يريد البقاء بمفرده لبعض الوقت. تركه عادل وعاد إلى الداخل. في تلك اللحظة، تحول عمر إلى شخص آخر، فشعر بصداع لكنه كان أقل حدة من المعتاد. قرر الذهاب إلى أحد الأكشاك لشراء السجائر، وعندما عاد إلى مكانه، رآى آسر ينزل من سيارته وهو يتحدث مع امرأة على الهاتف. سمعه عمر وهو يقول لتلك المرأة إنه سيتخلص من ملك قريبًا. ابتسم كريم بسخرية وهو يسحب نفسًا من السجائر، مستمعًا إلى خيانة آسر. همس في نفسه قائلاً:

- ده أنت محظوظ أوي.. بس أنا اللي مش محظوظ بسبب مكانتك وإن الدنيا هتتقلب بعد اللي هيحصلك يا كلب!

غلق آسر المكالمة وظل واقفًا في مكانه، وفجأة لاحظ كريم ملك وهي تتجه نحوه. ترك السجارة في يده، وعندما وقفت أمامه، أخبرته بما حدث. وعندما لمحت عمر، ادعى كريم أنه حزين. اقتربت ملك منه وطمأنته كما طمأنه عادل، فشعر آسر بتوتر شديد لأنه لم ينتبه لوجود عمر. حاول أن يظهر هادئًا، وقرر أن يبقى ثابتًا حتى لا يلفت الأنظار. ربت على كتفه وطمأنه، مؤكدًا لها أن نور ستكون بخير وأن كل شيء سيسير على ما يرام.

نهض كريم بعد ذلك وقال لملك: "نور ليست على ذمتي الآن."

تفاجأت ملك بشدة وسألته:

- يعني إيه؟

ابتسم كريم ابتسامة غريبة بالنسبة إلى ملك ثم قال:

- طلقتها النهاردة الصبح..

اقتربت إليه ونظرت داخل عينيه ثم قالت:

- مين اللي عمل فيها كده يا عمر!

- والله أنا معرفش، أنا وصلت البيت لقيتها مرمية على الأرض سايحة فِ دمها، شيلتها وجبتها على هنا..

تعجبت ملك كثيرًا من لهجة عمر، الذي كانت تراه منهارًا منذ قليل، والآن يتحدث بنبرة توحي بأنه لا يبالي. نظرت إليه بدهشة وقالت:

- وأنت طلقتها بسهولة كده!

- هي اللي طلبت ده وأنا نفذتلها رغبتها..

- هو أنت ازاي بارد كده! نور جوه بتموت وأنت بتكلمني بكل برود كأنها وقعت وهي بتمسح مثلًا، نور احتمال يكون عندها نزيف فِ المخ وأنت قاعد هنا أعصابك باردة ولا على بالك أي حاجة..

- مين قالك إني مش على بالي أي حاجة!

- يعني كل اللي أنت فيه من شوية ده كان تمثيل يا أستاذ عمر!

- تمثيل إيه! إيه اللي أنتِ بتقوليه ده!

فجأة، دخل عادل وألقى السلام على آسر، ثم أخبرهم أنه يجب أن يذهب لأنه تلقى هاتفًا مهمًا للغاية. التفت إلى عمر وأخبره أنهم عثروا على جثة زين، الشخص الذي اختطف نور. تفاجأ كريم وآسر، وأشار آسر إلى أنه سيرافق عادل في هذا الأمر. ذهبوا بالفعل بعد أن أوصى عمر بأن يحميهم جميعًا حتى يعود.

عادت ملك إلى الداخل، بينما كان كريم غارقًا في التفكير، يخطط لكيفية التخلص من آسر.

وصل عادل إلى موقع الجريمة، الذي كان يقع في منطقة شبه صحراوية بالقرب من التجمع الخامس في محافظة القاهرة. طلب من الجميع أن يتركوا كل شيء في مكانه، ثم جاء المحقق ليخبر عادل بما يلي:

- في حد بلّغ إنهم لقوا واحدة بتستنجد بيهم وقالتلهم إن أخوها مرمي على الأرض، أول ما شافوا كل ده جالنا بلاغ باللي حصل واتضح إن أخته هي اللي قتلته..

- ثانية واحدة ثانية واحدة، فهمني من الأول كده!

- التحريات أثبتت إنك أخت المجني عليه لقوا بصماتها على السلاح الناري اللي اتقتل بيه المدعو زين و....

قاطعه عادل قائلًا:

- فين البنت والناس اللي بلّغت!

- متحفظين عليهم يا فندم..

- اطلبوا الطب الشرعي والبنت دي هي والشهود يبقوا على مكتبي دلوقتي..

تركهم عادل وذهب إلى السيارة، معتذرًا لآسر وأخبره بما حدث. طلب آسر من عادل أن يذهب إلى عمله، وأوضح أنه سيتولى أمر هذه القضية، فأومأ عادل برأسه وانصرف مسرعًا إلى المديرية.

وبمجرد وصوله، كانت "نرمين" أخت زين في انتظاره، وهي في حالة صدمة شديدة. أمر عادل بأن يدخل الشهود أولًا، وعندما دخل رجل وزوجته، أخبراه بما حدث. قالوا إنهما كانا في طريقهما إلى منزلهما في منطقة التجمع الخامس، وفجأة شاهدا نرمين تقف، تعرج بقدميها وتشير إليهما وهي تبكي. ركبوا معها السيارة، وأخبرتهم عن أخيها الذي قُتل وكان مستلقيًا في الصحراء. فور أن علموا بذلك، تقدموا ببلاغ فوري. هذا كان كل ما حدث معهم. شكرهم عادل وطلب منهم ترك أرقام هواتفهم في حال احتاج إليهم في التحقيقات المستقبلية.

بعد أن غادر الزوجان، أمر عادل بدخول "نرمين". عندما دخلت، كانت عيونها مثبتة على الأرض، وكانت شاردة تمامًا. نظر إليها عادل وسألها بهدوء:

- قتلتِ أخوكِ ليه يا نرمين!

نظرت إليه ثم قالت بهدوء والدموع تسيل من عينيها:

- أنا مقتلتوش.. أنا مكنش ليا غيره ازاي أقتله!

- المسدس اللي زين اتقتل بيه عليه بصماتك.. تقدري تفسريلنا ده بإيه؟

- حصل هجوم عندنا فِ البيت من عصابة..

- لا احكي من الأول كده واحدة واحدة..

بدأت نرمين في سرد ما حدث، قائلة إنها كانت تحضر حقيبتها كما طلب منها أخوها من أجل السفر، حيث كان يخطط للذهاب مباشرةً إلى فندق قريب من المطار حتى تنتهي إجراءات السفر. لم تكن تدري لماذا فعل كل ذلك، لكنها لم تستطع إلا أن تصغي له. وبالفعل، فعلت ما طلبه منها، وعندما فتح باب المنزل، تفاجأ بوجود عصابة مكونة من خمسة رجال، وكان على رأسهم رجل كبير في السن.

سألها عادل عن مظهر رئيسهم، فأجابته قائلة: "لم يكن طويلًا، وليس قصيرًا أيضًا، وكان سمينًا نوعًا ما، وشعره أسود، لكن كان هناك بعض الشعر الأبيض فيه. لحيته كانت مختلطة بين الأبيض والأسود مثل شعره، وكان يرتدي بذلة سوداء." لكنها لم تتذكر ملامحه جيدًا.

سألها عادل عما حدث بعد مداهمة المنزل، فأجابته بأن هناك حوارًا عنيفًا نشب بين أخيها وبينهم، حتى هاجموه وأخذوا يضربونه بشدة حتى فقد وعيه. ثم هاجمها أحدهم وأعطاها إبرة مخدرة. أكملت قائلة إنهم أخذوها هي وأخيها إلى السيارة، وكانت في حالة تخدير ولكنها كانت قادرة على رؤية ما يدور حولها، لكنها لم تتذكر ما كانوا يقولون.

ثم شبّ حريق في المنزل، وسرعان ما انصرفت السيارة. لم تتذكر ما حدث بعد ذلك حتى استيقظت من الإغماء لترى أخاها مستلقيًا أمام عينيها جثة هامدة، والدماء تحيط به من كل ناحية.

سألها عادل عن اسم رئيس العصابة، فأجابته بأنها لا تعلم. تنهد عادل، وأخذ رشفة من الماء ثم قال لها:

- أنتِ تعرفي إن أخوكيطِ كان بيشتغل فِ أعمال غير قانونية!

ردت بصدمة قائلة:

- أعمال غير قانونية ازاي!

- الراجل اللي قتله كما بتدعي ده، احتمال وبنسبة كبيرة يكون هو نفس الراجل اللي أخوكِ كان بيشتغل عنده.. تحبي تعرفي الراجل ده شغال إيه؟

ظلت تصغي إليه فقال:

- محتال.. وأخوكِ كان واحد من رجالته ومش حابب أصدمك وأقولك إنه كان دراعه اليمين..

وضع يديها على أذنها لتقول وهي تغمض عينيها بتوتر شديد:

- لا لا.. أنا مش قادرة أصدق.. مستحيل، مستحيل يكون زين عمل كل ده وأنا معرفش عنه حاجة مستحيل!

- من الواضح كده إنه كان مفهمك إنه بيشتغل شغلانة شريفة، بس للأسف الواقع بيقول إن أخوكِ كان بيشتغل لصالح واحد معندوش ضمير ولا يعرف حاجة عن الدين.. يعني بيشتغل فِ أعمال غير مشروعة.

ظلت تبكي ثم قالت:

- طب أنا مصيري هيكون إيه!

- احنا مضطرين نحتجزك هنا لحد ما التحقيق يكتمل، ومفيش أي دليل ضد كمال فِ الوقت الحالي إن هو فعلًا اللي عمل كده، وكمال هربان بس اللي هنقدر نعمله دلوقتي إننا هنأمن كل المطارات عشان ميعرفش يخرج بره مصر..

- أنا مقتلتوش..

- وأنا مصدق كلامك، بس للأسف القانون مفهوش عواطف، احنا بنشتغل بالأدلة وبس.

- صحيح يا حضرة الضابط في حاجة نسيت أقول لحضرتك عليها..

- إيه هي!

- رئيس العصابة وهو بيتخانق مع زين كان بيسأله على أوراق تخصه، واتهم زين إن هو اللي سرق الأوراق دي ولما سأله هي فين مكنش عايز يقول لحد ما كان هيموت فِ ايده ساعتها زين اعترف وقاله إنه اداها لصحفية اسمها نور..

- نور!

- أسوة يا فندم وساعتها رئيس العصابة قال إنه مجرد ما يخلص من زين هيروح يخلص على نور بعد ما ياخد منها الورق..

- يعني كمال الجندي هو اللي كان عايز يقتل أختي هي كمان!

ردت نرمين بصدمة قائلة:

- أختك!

فحدّث نفسه قائلًا:

- أنا لازم أتحرك فورًا..

فنادى عادل على الأمين ليأخذ نرمين إلى الحجز، وأرسل قوة إلى شركة كمال وكذلك إلى منزله الشخصي، بالإضافة إلى المنزل الذي تمّت فيه

عملية خطف نور. ولكنهم لم يجدوا أي شيء في تلك الأماكن. فقرر عادل أن يُحدِث آسر تليفونيًا ليخبره بما وصل إليه، قائلاً:

- كمال اللي ضرب نور والظاهر إنه حاول يقتلها، وكمال برضو هو اللي قتل زين ولفّق التهمة لأخته، كمال لو هرب، البريئة دي هتلبس القضية!

عالم آخر

(21)

"بين الحياة والموت"

- لا واحدة واحدة عليّا.. أنت فين دلوقتي!

- أنا كنت فِ المكتب وحاليًا راجع تاني، دورنا على كمال فِ كل مكان بس ملوش أي أثر..

- طب ابعت للمطارات وأي....

فقاطعه عادل قائلًا:

- عملت كل حاجة متخلهوش يقدر يهرب برة مصر.. المهم أنا راجع على المديرية ولا تحب أجيلك النيابة؟

- أنت إيه الاقرب ليك دلوقتي!

- مش هتفرق.. أنا هجيلك على النيابة، أنت لسه فِ موقع الجريمة!

- أيوة بس هتحرك دلوقتي.

- مسافة السكة وأكون عندك..

***

ما زال عمر جالسًا على المقعد، وقد غلبه النوم، وعندما استفاق شعر بصداع شديد يعتصر رأسه. نهض ببطء وأمسك برأسه، ليفاجأ أنه في المستشفى. آخر ما يتذكره هو أنه خرج وجلَس في المكان نفسه الذي استفاق فيه الآن. حاول أن يُكذب شعوره، مُدعيًا أنه ربما نام من فرط التعب، لكن إحساسه بعدم الراحة كان أقوى من أن يُنكر.

دخل إلى الداخل ليجد العائلة مجتمعة. كان جمال في حالة مزرية، فسأل عمر عن نور، فأجابته أسماء بأنه لا جديد حتى الآن. بينما كانت ملك ترمقه بنظرات غريبة. سأل عمر عن عادل، فتفاجأت ملك وأخبرته أنه ذهب بعد أن تلقى مكالمة عمل. تعجب عمر لأنه لم يتذكر ما قالت، لكنه لم يبدِ أي اعتراض وأخبرها أنه كان متعبًا ومرتبكًا. تجاهلت ملك حديثه، فجلس بجوار عمه، وربت على كتفه في محاولة لطمأنته، رغم أنه هو نفسه كان في أمس الحاجة لمن يطمئن.

لاحظت أسماء أن جمال يشعر بالألم في جسده، فاقتربت منه وسألته:

- أنت أخدت الدوا النهاردة!

رد عليها قائلًا:

- أيوة.. بس مش عارف مالي، حاسس إني تعبان وبتنفس بالعافية..

- طب تعالى نخلي الدكتور يشوفك.. إيدك معايا يا عمر.

نهض جمال، وساعده عمر، وأسنَده حتى وصلوا إلى غرفة الطوارئ. وقف الطبيب أمام جمال وقاس ضغطه، مطمئنًا إياهم بأن السبب هو التوتر فقط. ثم أعطاه مهدئًا خفيفًا لا يسبب أي آثار جانبية. شكرهم

الجميع على مساعدتهم وخرجوا إلى الخارج. طلب عمر طعامًا خفيفًا لهم لأنهم لم يتناولوا شيئًا منذ وصولهم.

عندما جلسوا، نظر جمال إلى عمر وسأله:

- إيه اللي حصل يا ابني.. أنا لحد دلوقتي مش فاهم حاجة!

نظر عمر إلى أسماء ثم نظر إلى جمال وأجاب بتوتر:

- بصراحة يا عمي احنا خبينا عليك..

طالعه جمال بنظراتٍ مليئة بالخوف ثم استأنف عمر قائلًا:

- اليوم اللي حضرتك تعبت فيه ونقلنالك على هنا.. نور اتخطفت.

نظر إليه بصدمة ثم قال:

- اتخطفت!

- أيوة.. واحد اسمه كمال الجندي هو اللي عمل كده..

- مش ده الراجل النصاب اللي نور كانت بتكتب عنه!

- بالضبط كده.. ولو حضرتك فاكر يوم كتب كتاب الدكتورة ملك، ساعتها حصلت خناقة بيني وبين واحد حاول يتعرض لنور.. الشخص ده اللي اسمه كمال هو اللي كان باعته لنور، ونفس الشخص هو اللي خطف نور بأمر من كمال.

- طب وخطفها ليه!

- عشان يخليها توقّع على تعهد إنها متجبش سيرته فِ أي مقال تكتبه.. بس الحمدلله إني قدرت أوصلها فِ أقرب وقت وأنقذها.

- وبعدين!

- نور قالتلي إنها هتستقيل وفعلًا راحت قدمت استقالتها بس مرجعتش فاضية..

- يعني إيه مرجعتش فاضية؟!

- يعني كان معاها ملف فيه كل الجرايم اللي تخص كمال.. واللي اداها الملف ده هو زين اللي خطفها..

- يعني نور رمت نفسها فِ الخطر للمرة التانية ومتعلمتش من المرة الأولى!

- بالضبط، أنا ساعتها قولتلها تديني الملف وحصلت بيني وبينها مشادّة لحد ما.....

فصمت عمر ونظر إلى الأرض بخجل فسأله جمال بقلق:

- لحد ما إيه؟

رفع عمر رأسه ونظر إلى عمه بعيونٍ دامعة ثم قال:

- لحد ما طلبت مني الطلاق وأنا طلقتها..

اتسعت عيون جمال وكذلك أسماء من فرط الصدمة ثم قال جمال:

- طلقتها!!!

- نور اللي أصرّت يا عمي وأنا بصراحة كنت تعبت من تصرفاتها وكنت ناوي أصدّرك ليها بس خُفت على صحتك..

نظر جمال إلى أسماء ثم قال:

- شوفتِ آخرة تربيتك فِ بنتك وصلتها ووصلتنا لـ إيه!

قالت أسماء وهي تبكي:

- نور دلوقتي بين الحياة والموت مش وقته الكلام ده أنا فيا اللي مكفيني..

نظر جمال إلى عمر وسأله:

- اللي اسمه كمال ده له علاقة باللي حصل لنور دلوقتي صح!

- مفيش دليل ضده بس مفيش غيره اللي ممكن يعمل كده..

- هو عادل راح فين!

***

وصل عادل إلى النيابة ودخل إلى مكتب النائب آسر، حيث روى له تفاصيل ما حدث في التحقيق مع نرمين، أخت زين. أخبره أن الفتاة ليست لها علاقة بالجريمة، وأنها مجرد مشتبه بها لا أكثر.

رد آسر بنبرة هادئة وقال:

- البيت بتاعهم شبّت فيه حريقة فعلًا!

- أيوة يا سيادة النائب.. والتقرير موجود، وحاليًا بنشوف كاميرات المراقبة..

- طب طالما كانوا ناويين يولعوا فِ البيت، ليه عملوا كل الخطة دي! ما كان ممكن يسيبوهم فِ البيت وينفذوا خطتهم..

- كان ذكاء منهم عشان يبقوا ضربوا عصفورين بحجر واحد، يخلصوا من زين ويلبّسوا الجريمة لأخته المسكينة.. وكمان عشان بصماتهم متبانش فِ البيت عشان يبعدوا التهمة عن نفسهم..

- بالعكس يا سيادة الرائد.. ده كان غباء منهم لأن وقتها كانت القضية هتتقفل إنها حادثة مش بفعل فاعل خاصةً إن اللي اسمه زين ده شخص عادي جدًا، العين مش عليه عشان نشك إنها بفعل فاعل..

- كل اللي حصل ده حصل بسبب نور..

- أختك معملتش غير كل خير، اوعى تجيب اللوم عليها.. الأستاذة نور كان بتحاول توصل لطريق الحق وهو إننا نقبض على العصابة دي.

- بس ودت نفسها للخطر وأديك شايف وصلت لـ إيه، واحد بريء اتقتل وواحدة بريئة لبست قضية قتل عمد والجاني ملوش أي أثر!

- أولًا المجني عليه مكنش بريء وطبيعي إن دي تكون نهايته، وهو اللي كتب نهايته بـ ايده لما قرر إنه يشتغل مع واحد أعماله كلها غير مشروعة، وبالنسبة لأخته فالله أعلم يمكن هي اللي عملت كده وبتداري على نفسها..

- لا لا.. الحكاية دي وراها سر ومش هنعرف أي حاجة غير من نور.. أتمنى إنها تفوق فِ أقرب وقت..

- صحيح يا سيادة الرائد.. مش ممكن يكون اللي حصل لنور كمال هو السبب فيه!

نظر عادل إليه بصدمة ثم قال:

- إيه!

- ابعت قوة دلوقتي حالًا تعاين المكان اللي حصلت فيه حادثة مدام نور..

***

عاد عمر مع عمه وزوجته إلى الداخل، وكانت ملك جالسة، تنظر إلى الأرض في شرود. سأل عمر إذا كان بإمكانه رؤية نور، فأجاب عمه بأنها ما زالت نائمة ولا أحد يعرف متى ستستفيق من غيبوبتها. طلب عمر من الطبيب أن يسمح له برؤيتها لمدة خمس دقائق فقط، فوافق الطبيب ودخل عمر إليها. تقدم ببطء شديد وهو ينظر إليها بحزنٍ وألم لم يشعر بهما من قبل.

وقف بجانب السرير لبرهة، يتأمل وجهها قليلًا، ثم جلس على الكرسي المجاور لها. أمسك يدها برفق، وقال:

- أنا عارف إني بقيت متحرم عليكِ، ويمكن دي أول مرة ألمس بنت متكنش من محارمي، وعايز أقولك إني حتى مليش بنات يبقوا من محارمي عشان ألمسهم..

فضحك بألم ثم أكمل قائلًا:

- بس الحقيقة إني مش قادر ملمسكيش، أنا عارف إنه غلط بس فعلًا مش قادر معملش كده.. سامحيني لو كنت جرحتك أو جيت عليكِ فِ يوم من الأيام، عارف إني كنت غلط وغلطت فِ حقك كتير أوي وأنتِ ملكيش أي ذنب، أنا آسف لو كنت كسرتلك قلبك فِ يوم من الأيام من غير قصد وآسف على كل حاجة وحشة عشتيها معايا، عارف إنك مكنتيش تستحقي كل ده، كنتِ تستحقي الأفضل دايمًا بس أنا اللي كنت غبي ومعرفتش قيمتك غير دلوقتي، لما بدأت أحس إنك ممكن تروحي مني..

فابتسم ونظر إليها وكان يحدّثها وكأنها تسمعه، فاستطرد قائلًا:

- بس أنتِ برضو كان عليكِ عامل كبير أوي من اللي حصل ده، كلنا نصحناكِ ووجهناكِ ووصلنا إننا كنا بنمنعك بس أنتِ مكنتيش سامعة غير صوتك وبس، مكنتيش مقتنعة بأي حاجة غير رأيك وبس.. كنتِ دايمًا بتقنعينا وتقوليلنا سيبوني أنا عارفة أنا بعمل إيه كويس وشوفي أديكِ وصلتِ لـ إيه بسبب العناد والإصرار.. بتمنى تكوني سامعاني وسامعة كل كلمة قولتهالك، بس أنا مش عايز منك غير حاجة واحدة بس.

مسح دموعه التي كانت تنزل على وجنتيه دون أن يشعر ثم قال:

- عايزك توعديني إنك هتقومي وهتفوقي وهترجعيلي، وأنا بوعدك إني هعوضك عن كل حاجة وحشة شوفتيها سواء معايا أو قبل ما تعرفيني..

بوعدك إن كا حاجة هتتغير وكل حاجة هتحصل زي ما أنتِ عايزة، وأنا عارف إنك اتعلمتِ من اللي حصلك ده وبوعدك ومن قلبي إني مش هسكت لحد ما آخدلك حقك.. بس أرجوكِ قومي.. قومي يا نور ومتستسلميش أنتِ طول عمرك قوية، أنتِ أقوى وأحسن إنسانة فِ الدنيا وأنا واثق إنك هتقومي وهترجعي.. مش هبطل أدعيلك.

نهض عمر واتجه نحو الباب، وعندما وصل إليه توقف لبرهة، استدار لينظر إليها للمرة الأخيرة قبل أن يخرج من غرفة العناية المشددة. ثم خرج وهو يذرف الدموع. رآه عمه وهو يبكي، فاقترب منه بحزن وعانقه، محاولًا طمأنته كما كان يفعل سابقًا.

نظر جمال إلى عمر وقال له:

- مين اللي عمل فِ بنتي كده يا عمر!

رد عمر بغضب قائلًا:

- أنا متأكد وواثق إنه مفيش غيره..

- هو مين ده!

- كمال الجندي.. هو اللي حاول يقتل نور، وأنا مش هسيبه غير لما أقتله..

تركه عادل وانصرف، بينما استمر عمه في مناداته دون أن يرد عليه. حاول التواصل مع عادل، لكن هاتفه كان خارج الخدمة أيضًا. عاد عمه إلى مكانه، واضعًا رأسه بين كفيه في حالة من القلق.

ركب عمر سيارته وتوجه إلى منزل زين، ليجد أن المكان محاط بالكامل بالشرطة. عندما اقترب وسألهم عما يحدث، لم يجيبوه على الفور. فأخبرهم بأنه قريب من الرائد عادل صقر والنائب آسر البارودي،

فاستجاب له أحد المحققين وأوضح أن المنزل قد شب فيه حريق، وأنهم عثروا على جثة صاحبه في الصحراء، وقد تبين أن القاتل هي شقيقته.

تفاجأ عمر من الإجابة، وعاد مسرعًا إلى سيارته محاولًا الاتصال بعادل، لكنه فشل مرة أخرى. وعندما وصل إلى المنزل، فوجئ بوجود الشرطة هناك أيضًا، وكان عادل وآسر في مقدمتهم. سأل عمر عادل عن ما يحدث، فأجابه عادل أن كمال كان موجودًا في المنزل مع عدة أشخاص آخرين، وتم التعرف عليهم عبر بصماتهم، مما يؤكد أن كمال هو الفاعل، وأنه كان وراء محاولة قتل نور.

خبط عمر بقبضتيه على الحائط في حالة من الغضب الشديد، ثم رفع سبابته في الهواء قائلاً بانفعال:

- الكلب ده لو متقبضش عليه النهاردة بالكتير أنا مش هسكت.. ولو شوفته هقتله!

اقترب عادل إليه ثم قال:

- وطي صوتك يا عمر واهدا شوية، احنا بنحاول نعمل اللي نقدر عليه.. أنا واثق ومتأكد إنه هيروح شركته، مش هيقدر يسبها على الوضع ده ويهرب، هو مش هيروح هناك غير لما يضمن إن الدنيا هديت شوية.

- وبالنسبة لبيته!

- ملوش أي أثر مع الأسف..

- إيه حوار زين اللي اتقتل ده! أنا لسه جاي من هناك وعرفت إن أخته هي اللي قتلته..

- البنت فعلًا مشتبه فيها قانونيًا، لكن الحقيقة بتقول عكس كده واحنا مع الأسف مش بنشتغل غير بالأدلة..

- كمال هو اللي قتله!

- بالضبط.. وحرق البيت عشان ميبقاش وراه دليل، ولفّق التهمة للمسكينة أخته.

- وهي فين أخته دلوقتي!

- محبوسة على ذمة التحقيق..

- يعني ممكن واحدة بريئة ملهاش أي ذنب تاخد إعدام فِ حاجة هي معملتهاش!

- لا مش للدرجة دي.. احنا مستنين تقرير المستشفى لأنها اتخدرت، وهنشوف تقرير الطب الشرعي هيقول إيه.

تنهد عمر ثم قال:

- المهم دلوقتي نور يا عادل.. أنا مش عايز حاجة غير أنها تبقى كويسة وتفوق من اللي حصلها ده وإن حقها يرجع وبس.

- متقلقش يا عمر أنا ببذل قصارى جهدي عشان ده يحصل.. اطمن.

ربت عادل على كتفه، ثم تركه وانصرف إلى عمله. أغلق عمر الباب بعدما خرج الجميع، ودلف إلى الغرفة ليستلقي على سريره. أمسك بالوسادة التي كانت نور تنام عليها، وظل يشتم رائحتها مستنشقًا إياها حتى غلبه النوم.

في صباح اليوم التالي، نهض عمر وفتح جهاز الكمبيوتر ليبحث عن كل ما يتعلق بكمال الجندي. قرر أن يذهب إلى شركته بنفسه. وعندما وصل، دخل مسرعًا وسأل موظفة الاستقبال عنه، فأجابته بأنها لم تره بعد. فتركها ودخل إلى الداخل، حيث حاول رجال الأمن منعه، لكنهم لم يستطيعوا إيقافه حتى وصل إلى مساعدة كمال. سألها عنها، فأجابته بأنها لا تعرف مكانه ولا متى سيصل.

خبط بقبضتيه على طاولة مكتبها، مما أحدث صوتًا عاليًا، ثم قال بلهجة غاضبة:

- طب ياريت توصليله الرسالة دي.. قوليله لو روحت المريخ كريم صقر هيجيبك ويا قاتل يا مقتول.

خرج عمر من الشركة وهو في قمة غضبه، ركب سيارته، لكن سرعان ما توقف عندما لاحظ رجلاً قوي البنية يرتدي ثوبًا أسود، كان يتجه نحو الشركة حاملاً ملفًا أزرق اللون. ظل عمر يراقبه عن كثب، متخيلًا أنه من رجال كمال. بقي في مكانه، لم يتحرك، ثم تواصل مع عادل ليخبره بما شاهده. طلب منه عادل أن يتصرف على الفور، وكان عليه أن يفعل التالي...

بعد قليل، خرج الرجل من الشركة. نزل عمر مسرعًا من سيارته، وتوقف أمام نافذة الرجل، قائلاً له:

- في حاجة!

- عربيتي عطلت وكنت عايز أروح لأقرب بنزينة، لو ينفع تاخدني معاك فِ سكتك..

- لا يا حبيبي مش هينفع عشان أنا مستعجل..

- متقلقش مش هعطلك.. أرجوك مفيش حد غيرك دلوقتي ووالدتي تعبانة وفِ المستشفى ولازم أروح أدفع فلوس العملية يإما هتموت!

طلب منه الرجل أن يركب السيارة، وأرسل عمر موقعه الفعلي (live location) إلى عادل ليتأكد من وجهته. أخفى عمر هاتفه في مكانٍ ما بالسيارة دون أن يلاحظ الرجل القوي. بعد فترة قصيرة، وصلوا إلى المكان الذي كان يهدف إليه، فشكره عمر ونزل من السيارة، بينما انصرف الرجل.

عاد عمر إلى مكان الشركة وحاول الاتصال بعادل باستخدام هاتف أحد أفراد الأمن ليُخبره بما حدث. أبلغه عادل أنه قريب من المكان، فطلب منه أن ينتظره. وصل عادل بعد لحظات، وركب عمر في سيارته ليتبع سيارة عادل. توجهوا معًا إلى الهدف المنشود، وأوقفوا السيارتين بعيدًا عن المكان المطلوب الوصول إليه، في انتظار الفريق الذي أرسلته الشرطة إلى هناك.

وصل الفريق أخيرًا، واقتحم عادل المكان بالسلاح. داخل الڤيلا الضخمة، كان رجال كمال يقفون في أماكنهم، وعندما سألهم عادل عن كمال، تجاهلوه. عندها، دخل عمر من دون أن يلاحظ عادل فعلته، وبدأ في البحث عن كمال في أنحاء الڤيلا، بينما كان يناديه بصوتٍ عالٍ:

- اطلع يا كمال يا جندي.. مش هتقدر تستخبى أكتر من كده، لو عندك الشجاعة اخرجلي دلوقتي وكلمني هنا..

فصمت هنيهة ثم أكمل قائلًا:

- متحاولش تهرب البوليس بره فِ كل حتة..

شعر عمر بشخص يقترب منه من الخلف، وعندما استدار فجأة، اكتشف أنه كمال الذي كان سيطعنه لولا أنه أمسك بذراعه. حاول مقاومة الهجوم بكل قوته، وهو يقول بصوتٍ خافت:

- هو أنت بقى جوز الست! هخليك تحصلها دلوقتي..

قال عمر وهو يقاوم بصوتٍ مكتوم:

- مش هتقدر تعمل حاجة واللي أنت عملته فِ نور هتدفع ثمنه غالي أوي..

شعر عمر بصداع مفاجئ، لكن سرعان ما تحول إلى كريم وازدادت قوته بشكل كبير. وبفضل هذه القوة، استطاع أن يقاوم كمال، فدفعه للأمام وأخذ السكين منه، ثم ابتعد إلى الوراء. في تلك اللحظة، دخل عادل ورجاله، لكن كمال هاجم كريم محاولًا طعنه، لكن كريم كان أسرع، فطعنه في بطنه ليسقط كمال أرضًا فاقدًا وعيه. ركض عادل نحو كريم وسأله:

- أنت كويس!

كان كريم ممسكًا بيده التي تنزف بغزارة، فأمر عادل بسرعة أن يتم طلب الإسعاف. تم نقلهما إلى المستشفى حيث قام الطبيب بفحص كمال وأخبرهم أن الجرح سطحي. بينما كان كريم نائمًا في غرفة الطوارئ، استفاق فجأة ليفتح عينيه وينظر حوله. دخل عليه عادل وطمأنه بأنه بخير. ثم سأل عمر كريم بحذر:

- هو إيه اللي حصل!

- أنت مش عارف إيه اللي حصل؟

- لا!

فانتفض من مكانه وسأله قائلًا:

- هي نور جرالها حاجة!

- اهدا.. نور حالتها مستقرة مفيش أي حاجة، من الواضح كده إن النزيف اللي أنت نزفته أثر عليك، كمال اعتدى عليك وجرحلك إيدك وأنت دافعت عن نفسك وطعنته..

تفاجأ عمر ونظر إليه بصدمة ثم قال باندهاش:

- إيه! أنت قولت إني طعنته!

- أيوة.. أنت البِنج اللي أنت أخدته مأثر عليك جامد..

نظر عمر إلى يده ثم نظر إلى عادل وقال:

- الظاهر كده! طب وبعدين هيحصل فيا إيه دلوقتي!

- متقلقش.. أنت عملت كده دفاع عن النفس يعني مش هتاخد فيها يوم..

- هو كمال مات؟

- لا اطمن عايش، والجرح طلع سطحي كمان.. حاول تفوق عشان لازم تيجي معايا..

- آجي معاك فين!

- لازم تحكي كل حاجة حصلت، في التحقيق.

- أنا هاجي معاك دلوقتي..

- لا لا لما تحس نفسك كويس..

- لا أنا كويس.. خليني أخلص من الحكاية دي عشان أفوق لنور بقى أنا تعبت..

- متقلقش أنت هتقول كل حاجة حصلت وخلاص..

- طب وكمال!

- أول ما صدر تقرير خروجه هيتحول على النيابة على طول.. كفاية إنك بطل وقدرت توصلنا لي.

ضحك عمر بسخرية ثم قال:

- بطل إيه بس.. ده أنا كنت هموت.

- برضو بطل.. قصرت علينا مسافة كبيرة، يلا يا بطل فوق كده واستناني برة لحد ما أخلص الاجراءات.. وآه بالمناسبة، بابا وماما وملك محدش فيهم لسه جيه، مش عايز حد يعرف حاجة عن اللي حصلك ده، ولو سألوك قولهم إنك اتعورت عادي..

- حاضر ماشي اللي تشوفه..

***

اقترب عمر من سرير كمال في الغرفة، حيث كان الأخير مستلقيًا ويداه مقيدتان حتى لا يتمكن من التحرك أو الهروب. قام عمر بنزع قناع الطبيب من وجهه ببطء ثم نظر إلى كمال مبتسمًا بشماتة. كان كمال ينظر إليه بذهول قبل أن يوجه له سؤالًا بصوت ضعيف قائلاً:

- أنت بتعمل إيه هنا!

- جاي أشمت فيك.. صحيح نرمين اعترفت على كل حاجة..

- نرمين! نرمين مين؟

- نرمين مين؟! نرمين أخت زين اللي أنت قتلته ولبستها هي الجريمة..

- أنت بتقول إيه.. أنا معرفش حاجة عن اللي أنت بتقوله ده.. وبعدين أنت ازاي هنا! ده أنا هوديك فِ داهية عشان حاولت تقتلني.

- صحيح هو أنا مقولتلكش إني روحت المديرية وحكيت اللي حصل والملف اتقفل على إنه دفاع عن النفس ومش قتل عمد! أنت نسيت إن الداخلية كلها كانت شاهدة ولا إيه! على العموم أنت هتتحول على النيابة على طول مع إني كان نفسي تتحبس كام يوم على ذمة التحقيق عشان تتعذب شوية، بتمنى إنك من اللحظة دي لحد ما تروح لعشماوي إنك تدوق العذاب ومتحسش بلحظة حلوة يا أحقر إنسان أنا شوفته فِ حياتي..

سمع عمر أنهم يقولون أن الحالة "نور" قد استيقظت من الغيبوبة، فشعر بضربات قلبه تتسارع عندما سمع تلك الكلمات وذهب مسرعًا نحو الباب ولكنه توقف ونظر إلى كمال ليخبره بحقيقة صادمة:

- بالمناسبة أنت مفكر إنك قتلت نور بس أحب أبشرك وأقولك إن نور عايشة وشوية وهتلاقي كل حاجة اتثبتت عليك.. أشوفك يوم القيامة، بالإذن..

عالم آخر

(22)

"لن أعود"

ارتفعت الأصوات، وسمع عمر أن الحالة "..." قد أفاقت من غيبوبتها، فتسارعت دقات قلبه عند سماع تلك الكلمات، وانطلق مسرعًا نحو الباب. لكنه توقف ونظر إلى كمال ليكشف له حقيقة صادمة:

- بالمناسبة أنت مفكر إنك قتلت نور بس أحب أبشرك وأقولك إن نور عايشة وشوية وهتلاقي كل حاجة اتثبتت عليك.. أشوفك يوم القيامة، بالإذن..

غادر عمر الغرفة وخلع الثوب الذي كان يرتديه، ثم دخل إلى غرفة العناية المركزة ليجد نور تتنفس وتنظر باتجاه الباب. لكن عندما وقع بصرها عليه، أدارت وجهها إلى الجانب الأيمن، فتلاشت ابتسامته. اقترب منها ووقف بجانبها، ثم قال:

- حمدالله على سلامتك يا نور، أنا مش قادر أصدق إنك فوقتِ!

ظلت كما هي لم تعطيه أي وجه ثم قال:

- طب ممكن أعرف أنتِ مش عايزة تبصيلي ليه؟

دخل أحد المحققين إلى غرفة العناية المركزة، وعرّف بنفسه لعمر وطلب منه أن يتركه وحده مع نور، حيث يحتاج إلى التحدث معها حول ما حدث. حاول عمر إقناعه بأن حالتها ما زالت غير مستقرة ولن تتمكن من الحديث الآن، لكن نور تدخلت لتؤكد له أنها بخير وتحثه على متابعة

عمله. أومأ عمر برأسه وخرج ليبقى منتظرًا في الخارج. جلس المحقق وبدأ بتدوين ما ستقوله نور، ثم سألها:

- قوليلي يا مدام نور اللي حصل بالتفصيل.

قالت بصوتٍ متقطع:

- أنا كنت صحفية بشتغل فِ جريدة "..." في قسم التحقيقات، مقدرش أقول إن الدنيا كانت طول الوقت ماشية كويس، بس اللي حصل المرة دي كانت حاجة أول مرة أتعرضلها فِ حياتي بسبب شغلي.. من فترة شوفت هاشتاج على تطبيق تويتر بيتكلم عن رجل الأعمال المشهور كمال الجندي إنه محتال ونصاب ونصب على رجال أعمال كتير جدًا بس مكنش فيه أي دليل ضده، ساعتها بدأت أكتب عنه عشان أساعد الناس دي فِ رد حقوقها.. الهاشتاج بدأ يكبر والمقالات بقت تحقق مشاهدات مهولة، لحد ما جيه شخص عندنا اسمه زين واتعين فِ الجريدة وبدأ يصدني كل ما أتكلم عن كمال، وفِ نفس الوقت كان بيتعرضلي كتير جدًا..

- اسمه إيه بالكامل؟

- لا مش عارفة بصراحة.

- طب اتفضلي كملي.

- كنت بصده دايمًا وكنت طول الوقت شاكة فيه، لحد ما بابا تعب من فترة وفِ اليوم ده كمال باعتلي زين ورجالته عشان يخطفوني.

- زين من رجالة كمال؟

- أيوة.. هما عصابة بيشتغلوا مع بعض.

- وبعدين؟

- زين وقتها قالي خروجك من هنا مقابل إنك توقّعي على تعهد بيقول إن مش هجيب سيرة كمال فِ أي مقال ولا هذكر اسمه نهائي.. ساعتها أنا رفضت لأني مقدرش أخون شرف المهنة حتى لو هيقتلوني.. عمر أنقذني وقتها..

- عمر مين؟

- نظرت نور إلى الخارج ثم نظرت إلى المحقق وقالت:

- عمر يبقى طليقي..

- اسمه بالكامل بعد إذنك..

أخبرته عن اسمه الحقيقي وذكرت له اسمه بالكامل ثم أكملت قائلة:

- هو يبقى ابن عمي.. بعد ما أنقذني أنا روحت الجريدة عشان أقدم استقالتي، وفِ اليوم ده زين جيه الجريدة واداني ملف يخص كمال الجندي.

- الملف ده كان فيه إيه بالضبط؟

- حضرتك الملف اتسلم للنيابة من بدري.. ولو حضرتك متعرفش أنا أبقى أخت الرائد عادل صقر.

فرحب بها ثم أكملت قائلة:

- الملف كان فيه وصولات أمانة بتاعت رجال الأعمال اللي منصوب عليهم، ده غير الشيكات اللي كانوا موقعين عليها..

- طب وزين عمل كده ليه وهو واحد من رجالة كمال؟

- عايزة أقول لحضرتك إن زين مكنش مجرد واحد من رجالته كده وخلاص لا، ده كان دراعه اليمين كمان ويمكن يكون فاق فِ آخر أيامه قبل ما كمال يقتله.

- يعني كمال هو اللي قتله!

- أيوة يا فندم هو اللي قتله وكمال اللي عمل فيا كده هو ورجالته..

- واحدة واحدة يا مدام نور.. ممكن تحكيلي براحة؟

- فِ اليوم اللي زين اداني فيه الورق أنا كنت ف البيت وعمر منعني إني أرد للناس حقوقها عشان متأذيش منهم.. قصدي كريم..

- اللي هو طليقك؟

- أيوة..

- ممكن أعرف إيه سبب الطلاق؟

- كان سببه شغلي..

- طب اتفضلي كملي.

- وقتها أنا اعترضت وقولتله اني هسلم الشيكات ووصولات الأمانة لأصحابها عشان يطمنوا وبقيت الورق هديه لأخويا الرائد عادل.. فِ نفس اليوم رجعت البيت كريم مكنش فيه، كنت راجعة آخد حاجتي عشان أرجع بيت أعلى لأننا خلاص كنا انفصلنا.. اتفاجئت بكمال ورجالته قاعدين مستنيني وكانوا عايزين الورق، فِ الأول أنكرت إني أعرف

حاجة عن الورق ده بس لما قالي إنه قتل زين وإنه هيقتلني أنا كمان لو مقولتلوش على مكان الورق ساعتها أنا قولتله إنه اتسلم للنيابة..

- مقالكيش أي حاجة تانية تخص جريمة المدعو زين؟

- لا يا فندم.. ساعتها كريم اتصل وكمال اللي أخد موبايلي وفتح المكالمة، وكريم كان بيقول إنه عايزني أرجع البيت وإنه واقف تحت البيت مستنيني، ساعتها كمال اتلخبط واتوتر، حاول يخطفني فصرخت راح ضربني على دماغي ومن ساعتها وأنا معرفش إيه اللي حصل..

- على العموم شهادتك دي هتفيد فِ التحقيق ويمكن تكوني سبب فِ براءة المسكينة اللي اتهموها فِ قتل زين..

- مين دي اللي اتهموها!

***

كان عمر ينتظر خارج الغرفة خروج المحقق، وعندما خرج سأله عمر عن وضع كمال، فأخبره المحقق أنه بمجرد صدور قرار خروجه من المستشفى، سيحال فورًا إلى النيابة للتحقيق معه. شكر عمر المحقق الذي انصرف، ثم عاد إلى داخل الغرفة ووقف أمام نور، التي كانت تتجنب النظر إليه. تنهد عمر وقال:

- لو أنتِ عندك ذرة شعور إني ممكن أكون من ضمن الأسباب اللي وصلتك لكده فأنا آسف..

نظرت إليه ثم قالت:

- لا أنت مش السبب.. أنا اللي وصلت نفسي لكده بسبب دماغي وبسبب إني مسمعتش كلام حد فيكم وكانت النتيجة إن واحد اتعرضلي وحاول يتحرش بيا، وكنت هتقتل وفعلًا على رأي عادل دي آخرة الاختلاط.

- خلاص يا نور اللي حصل حصل، مش عايزك تفكري فِ أي حاجة تاني..

- أنت جيت ليه يا عمر؟

عقد حاجبيه متعجبًا فقال:

- يعني إيه جيت ليه؟

- يعني أنت مهتم بيا ليه دلوقتي؟ أنت مش طلقتني!

- أنا طلقتك عشان أنتِ اللي كنتي عايزة كده ونفذتلك رغبتك، وده عمره ما هيغير مشاعري من ناحيتك..

ابتسمت بسخرية ثم قالت:

- فين أهلي!

- زمانهم على وصول، ممكن أعرف أنتِ قولتي إيه للظابط اللي كان هنا؟

***

ما زال كمال في غرفته عندما دخل عليه آسر بابتسامة نصفية، فحدّق فيه كمال بتعجب وسأله عن هويته. قدّم آسر نفسه، فشعر كمال بالتوتر وأكد أنه لم يفعل شيئًا. أخبره آسر أنه لن يحقق معه الآن، لكن عليه أن يستعد لما سيواجهه من مشقة في الأيام المقبلة، ثم غادر الغرفة. في الخارج، وجد ملك وأسرتها يدخلون غرفة نور بعد نقلها من العناية المشددة إلى غرفة خاصة، حيث اطمأنوا عليها.

مع مرور الوقت، عادت نور إلى منزلها، وتمت إحالة القضية إلى النيابة. ورغم إنكار كمال لكل شيء، فقد أُعلم بأن النيابة استندت إلى شهادة نور واعترافاتها، بالإضافة إلى شهادة أخت زين حول جرائمه. وبعد فترة من الإنكار، اعترف كمال بكل شيء وتمت إحالته إلى المحكمة الجنائية، وأُخلي سبيل نرمين، أخت زين، بمساعدة عادل الذي وعدها بوظيفة في شركة والدته وتوفير سكن صغير لها. وبالفعل حدث ذلك، وخلال عملها، لاحظ رامي نرمين وأبدى إعجابه بها، حتى أنه صارح عمر برغبته في الزواج منها. تحدث عمر مع عمه في الأمر، وطلب جمال رأي نرمين، فاحمرّ وجهها خجلًا وأبدت موافقتها. تكفل جمال بمصاريف زواجهما.

في تلك الأثناء، كانت نور في منزلها تشعر بالرتابة ولا جديد في حياتها. اقترحت عليها ملك أن تواصل دراستها، لكنها نصحتها باختيار مجال يفيدها ويفيد المجتمع دون أن يعرضها للخطر. تطرقت نور إلى مسألة الاختلاط، فصمتت ملك قليلاً ثم فكرت قبل أن ترد بتوتر:

- مفكرتيش ترجعي لعمر!

ابتسمت نور بألم يصاحبه خيبة أمل لتقول:

- ملك.. في حاجات كتير أوي أنتوا متعرفوش أي حاجة عنها، أنا عمري ما كنت زوجه له ولا هو كان زوج ليا..

- يعني إيه؟ للدرجة دي مكنتوش متفاهمين!

- الموضوع مش موضوع تفاهم.. احنا كل واحد فينا كان بينام فِ مكان غير التاني من أول يوم يا ملك..

- يعني إيه؟!

- يعني أنتِ فهمتي أنا أقصد إيه..

تفاجئت ملك ثم قالت:

- أنتِ بتهزري!

- للأسف دي الحقيقة، احنا بقالنا سنتين عايشين مع بعض وكل واحد فِ ناحية..

- طب ازاي! هو عمر مش بيحبك؟

- لا مكنش بيحبني.. الموضوع كبير ومش حابة أتكلم فيه، ولا مش بفكر أرجعله..

- طب بصي.. احنا ناخد رأي بابا فِ موضوع الدراسات العليا ده وإن شاء الله خير..

- أنتوا صحيح حددتوا الفرح ولا لسه؟

- آسر كان هيجي النهاردة عشان يتكلم مع بابا فِ الموضوع ده..

- أنا آسفة يا ملك إني أجلتلك جوازك.. لولايا كان زمانك اتجوزتِ واستقريتِ..

- إيه يا نور الهبل اللي أنتِ بتقوليه ده، يعني جوازي كان هيبقى أهم منك؟

- برضو لخبطلكم دنيتكم.

- كل شيء بميعاد وكلها تدابير ربنا سبحانه وتعالى.. احنا مكتوبلنا ميعاد نتجوز فيه وإن شاء الله خير.

بعد مرور نصف ساعة، وصل جمال وجلس مع نور التي أخبرته عن حديثها مع ملك، وكيف نصحتها الأخيرة بأن تتابع دراستها بدلًا من قضاء كل وقتها في المنزل. أبدى جمال إعجابه بالفكرة ودعمها كثيرًا، ففرحت نور وقررت التقديم على رسالة الدكتوراه في صباح اليوم التالي.

بعد قليل، حضر آسر وألقى التحية، فسألته نور عن تطورات قضية كمال، فأخبرها أن المحاكمة ستُعقد بعد يومين، وطمأنها ألا تقلق. ابتسمت نور، وبدأ آسر يتحدث مع جمال عن موعد الزفاف، فاقترح جمال الإسراع في حجز قاعة الاحتفالات ليكون الزفاف بعد شهر، مما أشاع جوًا من السعادة بين الجميع.

في اليوم التالي، ذهبت نور إلى الجامعة وقدمت طلب رسالة الدكتوراه، وبقيت تنتظر النتيجة. وبعد يومين، أُعلن قبولها، فاستكملت الأوراق اللازمة واستعدت لبدء الدراسة.

ومع بداية الدراسة بعد عشرة أيام، بدأت نور مسيرتها الأكاديمية تحت إشراف أستاذ متميز. لاحظ الأستاذ جديّتها وتفانيها، وازداد إعجابه بها، حتى جاء ليعترف لها بإعجابه الشخصي، لكنها رفضت ذلك بلطف، فاعتذر قائلاً:

- لا لا لا أنتِ فهمتيني غلط، أنا كنت حابب أزور الوالد وأطلبك منه..

كادت أن تبتسم ولكنها تمالكت نفسها فقالت:

- أنا آسفة يا دكتور علي.. وآسفة لو كنت أسأت الظن بحضرتك بس أنا في الوقت الحالي مش هقدر آخد خطوة الجواز مرة تانية..

- مرة تانية؟

- أنا كنت متجوزة قبل كده ومحصلش نصيب.

- طب وإيه المشكلة؟!

- حضرتك متجوزتش ليه لحد دلوقتي؟

ابتسم ثم قال بعد تنهيدة عميقة:

- أنا كنت ناسي موضوع الجواز ده لحد ما شوفتك وعرفتك، لأني ببساطة كده قضيت عمري كله فِ الدراسة والشغل.

- بس حضرتك عمرك ما اتجوزت.. ازاي عايز تتجوز واحدة مُطلقة؟

- أنا مش شايف فيها أي مشكلة، على العموم فكري كويس وأنا مستني الرد..

أومأت برأسها وكادت أن تذهب، لكنها توقفت، وأغمضت عينيها لبرهة. ثم استدارت واقتربت منه. نظر إليها بتعجب، فابتسمت وقالت:

- ده الكارت فيه أرقام تليفونات بابا، تقدر تكلمه وتحدد معاه ميعاد.

ابتسم علي بسعادة ثم طلبت الإذن وانصرفت. كانت في طريقها إلى المنزل، تفكر فيما حدث قبل قليل وفي عمر. لم تتمكن من نسيانه، وحتى الآن، لم يفكر هو أبدًا في الذهاب إليها أو حتى السؤال عنها من بعيد. منذ

ذلك اليوم، لم تراه. قررت أن تذهب إلى والدها في عمله، حيث طلب من عمر أن يلتقي به في مكتبه. عندما دخل، سأل عمر عمه عن سبب طلبه، فأجاب جمال أن عليه أن يجلس وأعطاه بعض الأوراق، قائلاً إنها صفقة عقارية كبيرة يجب تنفيذها بأسرع ما يمكن. سأل عمر عن ماهية الأوراق، فأوضح له جمال أنها تخص الصفقة، فوقع عليها عمر دون تفكير، وأعطاها لعمه وهو يشعر بسعادة. ابتسم عمه ابتسامة مزيفة، ولكن عمر لم يلاحظ ذلك. طلب عمر الإذن وفتح الباب، ففوجئ بنور أمامه. تلاشت ابتسامته، وبدت عليه علامات التوتر. أفَسح لها الطريق فدخلت دون أن تلقي عليه السلام. استدار لينظر إليها، فبادرته هي بالسلام على والدها ثم جلست، وكانت تنظر إليه بنظرات مختلطة بين الأمل والألم، ولاحظ جمال ذلك لكنه تجاهله. خرج عمر من الغرفة، فاستدار جمال إلى نور وقال:

- زيارة عجيبة وغريبة..

- بصراحة يا بابا أنا كنت جاية لحضرتك فِ موضوع مهم، موضوع مكنش ينفع يتأجل لـ بالليل لحد ما حضرتك تيجي..

- موضوع إيه؟

ظلّت نور صامتة، فارتسمت على شفتي جمال ابتسامة عريضة، ثم قال:

- إيه؟ قررتِ ترجعي لعمر!

نظرت نور إلى والدها بصدمة ثم قالت:

- لا طبعًا.. أنا كنت جاية أتكلم مع حضرتك فِ موضوع عريس..

تفاجأ جمال وعقد حاجبيه بتعجب متسائلًا:

- عريس!

كان عمر واقفًا عند الباب يسترق السمع، يشعر بصدمة وخيبة أمل، والألم ينهش قلبه. فتنهدت نور وقالت:

- أيوة يا بابا.. الدكتور اللي بيدرّسلي فِ الرسالة حابب يتقدملي، اسمه علي محفوظ.

- وأنتِ موافقة؟

- أنا بصراحة مش شايفة أي سبب عشان أرفضه، وكده كده أكيد مش هنتجوز على طول، هتبقى فيه فرصة نتعرف فيها على بعض، لازم أدي لنفسي فرصة لأني مش هينفع أكرر تجربة عمر تاني يا بابا..

سمع عمر تلك الكلمات فشعر وكأن خنجرًا قد طعن قلبه، وقرر أن ينصرف. لكن جمال نظر إليه وقال:

- بس أنتِ لسه بتحبي عمر يا نور..

- هبقى كدابة لو قولت عكس كده، بس أنا لازم أنساه ولازم أدي فرصة تاني لنفسي، كفاية الجحيم اللي ابن أخوك عيشني فيه..

فنهضت واقفة ثم قال:

- على العموم هو معاه أرقام تليفوناتك.. وأكيد هيكلمك فِ أقرب فرصة، ياريت تخليه يقابلك فِ الشركة قبل البيت..

- لا لا بلاش الشركة.. مش عايز عمر يحس بِ أي حاجة.

فضحكت بسخرية ثم قالت:

- وفكرك عمر أنا فارقة معاه ولا بيفكر فيا حتى!

- ولو برضو يا بنتي.. خلينا فِ بيتنا أحسن، بلاش شوشرة على الفاضي.

- خلاص ماشي يا بابا.. اللي حضرتك تشوفه.

طلبت الإذن وخرجت من الغرفة، فالتقت بعمر في الردهة حيث كان يتحدث مع رامي عن العمل. لمحتها عيناه، لكنها انصرفت دون أن تنظر إليه أو تعيره أي اهتمام. قرر عمر أن يتبعها، وعندما اقتربت من سيارتها، أمسك بذراعها وأوقفها. ففوجئت وسحبت نفسها للوراء قائلة بانزعاج:

- أنت ازاي تتجرأ وتلمسني كده!

- أنا آسف مكنتش أعرف إني هضايقك أوي كده..

- تضايقني إيه.. فووق أنا مش مراتك!

- أنا فعلًا نسيت إنك مش مراتي وإننا اتطلقنا.. بس أنا كنت حابب أسألك سؤال واحد بس..

ظلت تنظر إليه تنتظر ما سيقوله ثم تنهد وقال:

- أنتِ لسه بتحبيني ولّا لا!

ابتسمت بسخرية ثم قالت له:

- لا..

تذكر حينها أن دوام الحال من المحال، وأنها كانت في مكانه من قبل. فقط حينها شعر بما شعرت به عندما سألته هذا السؤال وأجابها بتلك

الإجابة المؤلمة التي تفتك القلب. فابتلع مرارة الألم في حلقه، ثم سألها سؤالًا آخر:

- أنتِ هتتجوزي!

تفاجأت عندما سمعت منه هذا الحديث، فرفعت حاجبيها وقالت بغضب:

- إيه اللي أنت بتقوله ده! أنت جبت الكلام ده منين؟!

ظل صامتًا ثم قالت:

- اااه أنت كنت بتتجسس عليّا وأنا بقول لبابا..

- لا أنا سمعت عن طريق الخطأ.. مكنتش بتجسس ولا حاجة.

- آه يا عمر هتجوز.. عندك مانع؟

دمعت عيناه ولكنه استعاد رباطة جأشه ثم قال:

- بالسهولة دي!

- عمر احنا قصتنا خلصت ومبقناش لبعض، ياريت أنت كمان تتجوز وتشوف نصيبك وتسبني فِ حالي.

- لو أنا هُنت عليك

- ياريتك كنت عرفت قيمتي من زمان.. عن إذنك عشان وقفتي معاك فِ الشارع دي متصحش وغلط، اللي ينطبق على الناس الأغراب ينطبق عليك برضو..

فتحت نور الباب وركبت السيارة، مغادرة بأقصى سرعة لتبتعد عن عمر. كانت تبكي طوال الطريق، مشاعرها غارقة في الألم لأنها لم تستطع نسيانه. بينما هو كان واقفًا في مكانه، يراقبها وهي تغادر، اجتاحه شعور عميق بالندم. ثم عاد إلى عمله، وهو يفكر فيما حدث.

في نفس الوقت، كان جمال في مكتبه يتناول دواءه وهو يشعر بألم شديد. كان يتحدث مع الطبيب الذي أخبره بضرورة إجراء بعض الفحوصات لتحديد موعد العملية. شعر جمال بالقلق وهو يحدق في الأوراق التي أمامه، الأوراق التي وقع عليها عمر. أخبر الطبيب أنه سيطمئن على ابنته ملك أولًا لأن موعد زفافها يقترب، وبعدها سيكمل باقي الإجراءات. وافق الطبيب وأغلق المكالمة.

حل المساء، وكانت نور جالسة في حديقة المنزل تحتسي قهوتها وتنظر أمامها شاردة الذهن. جاءت ملك وجلست بجوارها وسألتها عن حالها ودراستها. أجابت نور بأنها بخير وأن كل شيء يسير على ما يرام، ثم أخبرتها بما حدث اليوم في الجامعة مع الأستاذ علي وما قاله عمر. فسألتها ملك بصوت هادئ:

- اوعي تعملي حاجة أنتِ مش مقتنعة بيها، واعي تفكري إنك هتقدري تتخطي علاقة بعلاقة جديدة، صدقيني هتندمي قدام لو ده هدفك..

ابتسمت نور وقالت:

- صدقيني يا ملك ده مش هدفي، كل الحكاية إني حاسة إن لازم حياتي كلها تتغير ولازم أكملها بطريقة تسعدني وتخليني مبسوطة، مش عايزة أوقّف حياتي على علاقة اتبنت على الفشل.

- يعني أنتِ موافقة؟

- أنا موافقة مبدئيًا، هحاول أصلح اللي معرفش أصلحه زمان، هنعمل فترة خطوبة يمكن تبقى طويلة ويمكن تبقى قصيرة وده هيقتصر على مدى معرفتي لشخصيته.

- على العموم مش عايزاكِ تستعجلي أبدًا بس لازم تصارحيه بالحقيقة يا نور..

- عرّفته إني كنت متجوزة..

- بس أنتِ يعتبر متجوزتيش..

نظرت نور إلى الأرض ثم نظرت إلى ملك وقالت:

- أكيد هيعرف.. بس مش دلوقتي.

- ربنا يقدملك اللي فيه الخير..

نظرت إلى الخلف لتجد جمال قد وصل للتوّ فقالت:

- بابا جيه أهو.. يلا عشان نتعشى.

بعد أن انتهوا من حديثهم، جلسوا سويًا، فأخبر جمال نور عن علي، وأخبرها أنه تحدث معه بشأن موضوع الزواج، وأن علي سيأتي لزيارتهم يوم الجمعة المقبلة. شعرت نور بشيء من التوتر، وتذكرت حديثها مع عمر. كان عمر جالسًا يفكر فيها، ثم استلقى على سريره وذهب إلى النوم. بعد ساعة، استفاق عمر، استبدل ملابسه وارتدى ثيابًا سوداء، وأخذ هاتف كريم، ثم خرج من المنزل ليقابل خالد، الذي كان في انتظاره كعادته. وعندما وصل، أخبره عمر عن آسر وما سمعه، فسأله خالد:

- أنت بقالك فترة مختفي، إيه نسيت تاخد المنوم ولا إيه؟

قال تلك الجملة وهو يضحك ليرد كريم:

- عمر المغفل نسي ياخده، كان قاعد بيفكر فِ الست نور.

- صحيح أنت مقولتليش اللي حصل آخر مرة..

- عمر راح أنقذها وكمال حاول يقتلها..

- هو عمر لسه بيروح للدكتورة ملك؟

- لا.. من ساعة اللي حصل لنور وهو قطع معاها.

- طب قولي إيه موضوع آسر ده!

- آسر ده يبقى وكيل نيابة.. ويبقى جوز ملك.

- الدكتورة اللي بتعالج عمر!

- أيوة.. سمعته بوداني وهو بيتكلم مع واحدة وبيقولها إنه قريب أوي هيتخص من ملك وهيروحلها..

- يتخلص منها! يتخلص منها ازاي؟

- الظاهر كده حاطط عينه على فلوس جمال وشركته..

- طب وأنت ناوي على إيه؟

- ده بالذات لازمله خطة لأن الدنيا هتتقلب من بعده.. ولازم أتخلص منه عشان حاجتين، الحاجة الأولى وأنت عارفها كويس..

قاطعه خالد ليقول:

- والحاجة التانية برضو عارفها كويس، فلوس جمال..

- بالضبط.. عمر شاف من جمال كل خير وهو ميستاهلش الغدر.

- طب إيه خطتك؟

- مش هينفع الفترة دي.. فرحه على ملك قرب.

- طب ما لازم تخلص منه قبل الفرح!

- مضمنش يا خالد الوقت هيخليني أعمل ده ولا لا، عمر دلوقتي اللي مسيطر، المنوم تأثيره قوي.

- على العموم استغل الوقت اللي أنت فيه دلوقتي على قد ما تقدر.

- ده اللي هعمله ولازم أوصل لفؤاد الديب، لازم أخلص مهمتي قبل ما انكشف.. لازم أنتقم من أبويا على اللي عمله فيّا أنا وأمي!

(23)

"وقت الانتقام"

قاطعه خالد ليقول:

- والحاجة التانية برضو عارفها كويس، فلوس جمال..

- بالضبط.. عمر شاف من جمال كل خير وهو ميستاهلش الغدر.

- طب إيه خطتك؟

- مش هينفع الفترة دي.. فرحه على ملك قرب.

- طب ما لازم تخلص منه قبل الفرح!

- مضمنش يا خالد الوقت هيخليني أعمل ده ولا لا، عمر دلوقتي اللي مسيطر، المنوم تأثيره قوي.

- على العموم استغل الوقت اللي أنت فيه دلوقتي على قد ما تقدر.

- ده اللي هعمله ولازم أوصل لفؤاد الديب، لازم أخلص مهمتي قبل ما انكشف.. لازم أنتقم من أبويا على اللي عمله فيّا أنا وأمي!

- اهدا يا كريم، متقلقش كل حاجة هتحصل ف وقتها.

- أتمنى.. أنا هتحرك وحاول ابقى أنا اللي مسيطر، يلا سلام.

***

بعد مرور أيام، تم خطبة نور على الأستاذ علي في حفل عائلي صغير. وفي أحد الأيام، كانت تلك الليلة هي الأخيرة لملك في منزل عائلتها. كانت نور تجلس مع علي في الحديقة، وأخبرته عن حقيقة زواجها الأول، مشيرةً إلى أنهما كانا يعيشان معًا كالأخوات. تفاجأ علي كثيرًا، لكنه لم يظهر اهتمامًا كبيرًا أو يسألها عن تفاصيل الأمر. ابتسمت نور وكأنها قد أزاحت حملًا ثقيلًا كان يثقل قلبها.

في اليوم التالي، كان الجميع يستعد لحفل زفاف ملك في قاعة المناسبات بأحد الفنادق. كان عمر يساعد عمّه في التحضيرات. وفي الجهة المقابلة، كانت نور مع ملك في جناحها الخاص، مشغولة بالتحضير. وصل علي واقترب من جمال الذي كان يقف مع عمر، وألقى عليهما التحية. نظر عمر إليه وابتسم، ثم قام بتعريفه على الأستاذ علي قائلاً:

- الدكتور علي يبقى المشرف على نور فِ رسالتها..

تلاشت ابتسامة عمر لأنه كان لم يعرفه بعد، فأكمل جمال قائلًا:

- كريم نبيل ابن أخويا، بس محدش هنا بيناديه بـ كريم، كلنا بنقوله يا عمر..

مدّ علي يده إلى عمر الذي كان يشك في أمره. نظر عمر إلى يده لفترة ثم صافحه رغمًا عنه، قائلاً بخفوت:

- أهلًا بحضرتك..

ابتسم علي وقال:

- أهلًا بيك أستاذ عمر، تشرفت بمعرفتك..

مد جمال يده إلى علي طالبًا منه الجلوس ليتناول قسطًا من الراحة. لكن عمر نظر إلى جمال بحزن شديد، ثم طلب منه أن يرافقه إلى مكان بعيد قليلاً. استأذن جمال من علي وتبعه عمر. وعندما ابتعدا قليلاً، سأل جمال:

- خير يا ابني؟

- حضرتك ليه معرفتنيش عليه على إنه خطيب نور!

اختفت ابتسامة جمال وتبدلت ملامحه ثم قال:

- أنت عرفت!

- آه طبعًا عرفت وعارف من أول لحظة إن نور هتتجوز، ازاي وافقت بالسهولة دي؟ ازاي أنا هُنت عليك يا عمي؟!

- اسمع يا ابني، أنت ونور اتجوزتوا بالمعروف بغض النظر عن السبب اللي خلاك تتجوزها، وانفصلت عنها بالمعروف واللي أنا كنت شايفه إنك مكنتش مهتم بموضوعها، فالطبيعي إنها كانت تكمل حياتها خاصةً بعد اللي حصلها.

- تكمل حياتها! ومع واحد تاني غيري!

- نور هي اللي اختارت يا ابني، وأنا مكنش ينفع إني أقف قصاد سعادة بنتي..

- وحضرتك بقى متأكد إنها هتكون سعيدة مع الشخص ده!

- والله نور مش صغيرة وهي اللي اختارته، محدش أجبرها عليه ونصيحة مني يا عمر يا ابني ياريت أنت كمان تشوف حياتك وتفقد أملك فِ نور، زي ما هي فقدت الأمل فيك وعاشت حياتها..

ربت جمال على كتف عمر ثم تركه وذهب، بينما ظل عمر واقفًا شاردًا، وعيناه مليئتان بالدموع. تحرك ببطء نحو حمام السباحة، ووقف هناك، يرفع رأسه إلى السماء. في تلك اللحظة، خرجت نور من جناح أختها ومرت من أمامه، لكنها لم تلحظ وجوده أو تلتفت إليه. استمر في النظر إليها بألم شديد بينما كانت تتجه نحو علي، وتلقي عليه التحية. جلست معه، وتبادلا الحديث والضحك. كاد عمر أن ينهار، لكن استعاد قوته وعزيمته، وقرر أن يبقى صامدًا، لا شيء سيؤثر عليه.

ثم قرر العودة لمساعدة عمّه، واستمر العمل حتى حلول المساء. خرجت العروس مع والدها لتسلمها إلى زوجها، بينما كانت نور تراقب الموقف بسعادة. أما عمر فكان يراقبها بكل حب واشتياق. وعندما التقت عيناها بعينيه، تلاشت ابتسامتها تدريجيًا، وشعرت بتوتر. لكنها قررت أن تتجاهله وظلت بعيدة عنه، مع أختها فقط.

عادت نور وجلست مع خطيبها، الذي كان جالسًا مع عمر على نفس الطاولة، ومعهم الأب والأم وعادل وزوجته. كان عمر يسرق نظرات إليها بين الحين والآخر. لاحظ عادل ذلك، فوضع يده على فخذ عمر ونظر إليه مبتسمًا، كأنما يطمئنه. ابتسم عمر أيضًا، لكن بابتسامة مليئة بالألم.

شعرت نور بالضيق من الضوضاء حولها، فقررت الابتعاد قليلاً. أخبرت الجميع أنها ستذهب إلى دورة المياه، وغادرت مسرعة. بينما كان عمر يراقبها عن كثب، نهض هو الآخر دون أن يلاحظه أحد، وتبعها. كانت نور واقفة في الحديقة المطلة على حمام السباحة، والتي كانت تبعد عن

القاعة بمسافة ليست بالقليلة. اقترب منها عمر ووقف بجوارها، فنظرت إليه بصدمة، ثم قال وهو ينظر أمامه:

- أنا زعلت وواخد على خاطري..

نظرت إليه بتعجب ثم قالت:

- أفندم؟

- يعني تتخطبي ومتعزميش ابن عمك!

- بس أنا وأنت عارفين إن أنت دلوقتي مش مجرّد ابن عمي وبس، أنت طليقي!

- طب وإيه يعني؟ هو أنا مش من العيلة!

- أنت عايز إيه يا عمر! وجاي ورايا ليه؟

- ملقتش فرصة عشان أباركلك على الخطوبة.. ألف مبروك يا دكتورة نور وإن شاء الله تبقي أسعد إنسانة في الدنيا..

ابتسمت بسخرية ثم قالت:

- غريبة يعني إنك فرحان عشاني..

فارتسمت على شفتيه ابتسامة مزيفة ثم قال:

- لازم أفرحلك طبعًا مش بنت عمي وفِ مقام أختي!

- عقبالك أنت كمان.. ويا رب دايمًا مبسوط كده.

- شكرًا لذوقك..

فتحرّكت نور لتغادر، وأثناء ذهابها رمقت عمر بنظرة خبيثة، ثم عادت إلى القاعة وجلست بجوار والدها. استمر حفل الزفاف حتى انتهى، وعاد الجميع إلى منازلهم. في صباح اليوم التالي، كان جمال في المستشفى كما أوصاه الطبيب، وأخبره عن موعد العملية، فوافق جمال ورفع يديه لله داعيًا. عندما عاد إلى المنزل، أخبر زوجته وابنته وابنه بالخبر، وطلب منهم ألا يخبروا ملك بذلك في الوقت الحالي، إذ لا يريدها أن تشعر بالحزن أو الانشغال وهي لا تزال في أيام زفافها. طمأنهم أن الأمور ستكون على ما يرام.

ثم قرر جمال أنه حان الوقت لكي تتخذ نور قرارها بشأن الزواج. تفاجأ الجميع مما قاله، فصمتوا لحظة قبل أن تتكلم نور، فتوجهت إليهم قائلة:

- بس يا بابا أنا ملحقتش أتعرف على علي كويس، ازاي هتجوزه بالسرعة دي!

- اسمعي يا بنتي، أنا داخل أعمل عملية خطيرة في القلب والله أعلم أنا هخرج منها ولا لا..

فاقتربت نور إليه وعانقته قائلة:

- بعد الشر عليك يا بابا، إن شاء الله هتخرج منها بألف سلامة، ربنا ميحرمناش منك يارب..

- لازم أطمّن عليكِ يا نور.. أنا هكلم علي ونحدد ميعاد كتب الكتاب..

شعرت نور بالضيق والتوتر، وتذكرت عمر، لكنها لم تتفوه بكلمة. تحدثت مع علي هاتفيًا وأخبرته عن موعد عقد القران الذي سيكون يوم الجمعة المقبل. تفاجأت نور وجميع أفراد العائلة بالخبر، وظلت في حالة من الحيرة، تشعر أنها غير قادرة على نسيان عمر.

في تلك الأثناء، ذهب جمال إلى عمله وأكمل حياته كما لو لم يحدث شيء. بينما أخبر عمر عن خطط عقد قران نور على علي، الذي سيكون يوم الجمعة المقبلة بمشيئة الله. شعر عمر بصدمة شديدة لم يشعر بها من قبل، وظل ثابتًا، ينظر أمامه في صمت. فلاحَظ جمال ذلك، ونظر إليه بتعجب، قائلاً:

- في إيه يا ابني؟ مالك اتسمرت كده ليه!

- حضرتك بتهزر صح!

- مش فاهم؟

- حضرتك لسه قايل إن نور هيتكتب كتابها يوم الجمعة! معقول بالسرعة دي!

- عمر يا ابني، أنا حاسس إن أيامي في الدنيا بقت معدودة وعايز أطمن على نور..

فاقترب عمر من جمال وقال له بترجي:

- أرجوك يا عمي، لو عايز تطمن على نور بجد.. خليها ترجعلي.

نظر جمال إليه بتفاجؤ قائلًا باندهاش:

- أنت بتقول إيه يا ابني! أرجعك لمين!

- نور لو اتجوزت الشخص ده أنا هتدمر يا عمي، مش هقدر أكمل حياتي، أنا محبتش فِ حياتي غيرها ولا هحب غيرها، حياتي واقفة من غيرها بمعنى الكلمة ومقدرتش أتقبل فكرة إنها اتخطبت، عايزني ازاي أتقبل إنها هتتجوز رسمي كمان كام يوم!

- يا ابني يا حبيبي أنت لما جيت تطلقها مأخدتش رأي حد وصغرتني ومع ذلك أنا عديتها، وكان القرار نابع من جواك وبدون أي تردد وأنت من البداية كنت متجوزها غصب عنك وعذبتها معاك لدرجة إنها لحد آخر لحظة كانت عايشة معاك فيها كنتوا عايشن مع بعض اخوات، ودلوقتي جاي تقولي أرجعهالك، طب وبالنسبة للإنسان اللي شاريها وبيحبها وخلاص عمل حسابه إنه هيتجوز الأسبوع ده هنقوله إيه! وبعدين سيبك من كل ده، فِكرك نور ممكن توافق!

- خد رأيها يا عمي، خد رأيها واسألها..

- عمومًا أنا هتكلم مع نور تيجي دلوقتي وكل حاجة هتتقال قدامك..

بعد مرور ساعة...

- نور دلوقتي أنا هسألك سؤال واحد بس والإجابة عليه هتكون واضحة وصريحة وبدون أي لف ودوران..

- اتفضل يا بابا اسأل..

- عمر عايز يرجعلك.. أنتِ موافقة ولا لا؟

نظرت نور إلى والدها بصدمة، ثم التفتت إلى عمر باندهاش، لكن لم تخرج منها أي كلمة. تنهد جمال عميقًا، ثم قال:

- ردي عليّا يا بنتي.. أنا تعبان.

- بابا أنا مخطوبة، حضرتك مدرك لده؟

- ومن امتى حياتنا كانت طبيعية عشان تستغربي أوي كده، ردي على سؤالي وقدامه عشان الموضوع ده يتقفل وميتفتحش تاني خالص، سواء عِشت أو مُت..

- بعد الشر عليك يا بابا..

- بعد الشر عليك يا عمي..

- ردي يا بنتي.. أنتِ لسه بتحبي ابن عمك وعايزاه ولا فعلًا نسيتيه وقررتي تكملي حياتك مع واحد تاني!

نظرت نور إلى عمر بثقة ثم قالت:

- لا يا بابا مش عايزاه، أنا هتجوز علي..

نهضت نور ووقفت أمام عمر، الذي كان ينظر إليها بخيبة أمل، ثم قالت:

- كتب كتابي يوم الجمعة إن شاء الله، وأنت أول المعزومين.. عشان أنت زعلت لما معزمتكش على الخطوبة، تآنس وتشرّف، عن إذن حضرتك يا بابا عشان عندي محاضرة مهمة.

فخرجت نور من المكتب، وكان عمر كما هو، يشعر بالعجز والضعف الذي لم يشعر به من قبل. نهض جمال، وقف أمامه، ثم نظر إليه ربت على كتفه، وعانقه عمر فجأةً، ليغرق في نوبة بكاء شديدة. شعر جمال بالحزن العميق وظل يهدئ من روعه.

أما نور، فكانت في طريقها إلى منزلها، تفكر في عمر، ودموعها تنهمر. مرّت الأيام، وحان الوقت.

تجري تحضيرات عقد القران في منزل جمال، وكان جمال يفكر في حديث عمر الذي أخبره أنه لن يأتي، مما جعله يشعر بالحزن. وعندما استعد الجميع، كانت نور جالسة في غرفتها، يعتصر قلبها الألم. قررت أن تنزل بمفردها، لتلغي عقد القران قبل أن يتم.

جلس جمال وعلي، ومعهم المأذون والشهود على طاولة عقد القران. كان المأذون على وشك أن يبدأ، لكن دخول عمر مفاجئًا قطع اللحظة قائلاً:

- لحظة واحدة يا سيدنا الشيخ..

نظر إليه الجميع بصدمة، وكان علي يحدق به بتعجب. وقف الجميع في صمت، حتى كسر عمر هذا الصمت قائلاً:

- كتب الكتاب ده مش هيتم..

خرجت نور لتتفاجأ بوجود عمر وهو يقول تلك الكلمات. أكمل عمر قائلاً:

- لو نور هتتجوز حد النهاردة، مش هيكون غيري.

تفاجأ علي ونهض من مكانه وهو ينظر إلى عمر بصدمة، بينما كانت نور تنظر إلى عمر بابتسامة مليئة بالسعادة، والدموع تنهمر من عينيها. فابتسم علي بلطف وقال:

- هو إيه اللي بيحصل ده! حد يفهمني إيه اللي بيحصل!

اقترب عمر وقال:

- صحيح يا دكتور، أنا نسيت أعرّفك إني مش بس ابن عم نور، أنا طليقها واللي هرجّعها ليّا النهاردة، فللأسف أنت دلوقتي فِ المكان الغلط.

نظر علي إلى جمال بصدمة ثم نظر إلى نور وقال:

- إيه الكلام ده يا نورا! أنتِ ازاي معرفتنيش حاجة زي كده! ازاي مقولتليش إن طليقك هو هو ابن عمك!

اقترب عمر إليه وقال:

- من هنا وجاي مفيش أي كلام بينك وبينها، أنت فِ المكان الغلط زي ما قولتلك من شوية..

تحرّك علي واقترب إلى نور وقال:

- يا خسارة.. خيبتِ أملي فيكِ.

فذهب هو وعائلته وذهب عمر وقعد أمام الطاولة ثم قال:

- يلا يا سيدنا الشيخ اكتب اكتب..

ضحكت نور بفرحة لم تشعر بها من قبل، وكأنها تحررت من عبء ثقيل. تم عقد القران، واقترب منها عمر، وقف أمامها، وأمسك بيديها بلطف، ثم قال:

- أعتقد إني دلوقتي أقدر ألمسك وأمسك إيدك..

فضحكت ثم قالت:

- يعني أنت عملت كل ده عشان بس تمسك إيدي!

فجذبها إليه وعانقها أمام الجميع، فشعر جمال بسعادة عارمة، وكذلك الجميع، لأنهم كانوا يتمنون أن يعودا إلى بعضهما البعض. عادت نور مع عمر إلى المنزل، وبدأت حياتها معه من جديد.

بعد مرور يومين، حان موعد عملية جمال. كان الجميع في المستشفى معه، وكان جمال مطمئنًا للغاية، لدرجة أن أحدًا لم يتوقعها. حاول أن يهدئ من روعهم، وظلوا يدعون له حتى تم نقله إلى غرفة العمليات. مرت ثلاث ساعات دون أن يصل أي خبر، فبدأ القلق يعم على الجميع. كانت نور في حالة من الخوف الشديد، بينما كان عمر يجلس بجوارها، يطمئنها أنه سيكون بخير.

مرت ساعتان أخرى، ثم خرج الطبيب وهو يخلع قفازاته. نهض الجميع واقتربوا منه، فسألته أسماء بلهفة:

- طمنا يا دكتور، العملية نجحت؟

ابتسم الطبيب وأكد لهم أن العملية قد نجحت، فعم الفرح بين الجميع. عانقت نور عمر بشدة، بينما أضاف الطبيب أنه من المتوقع أن يستفيق جمال من التخدير خلال ساعة، وتم نقله إلى غرفته الخاصة. مرت الأيام بسلام، حتى جاء اليوم المأساوي.

دخلت أسماء غرفة زوجها لتوقظه وتمنحه الدواء، لكنها اكتشفت أنه قد فارق الحياة. أصابها الصدمة، وعجزت عن التصرف. مرت الساعات، وانتشر خبر وفاته بين الجميع، ما تركهم في حالة من الحزن الشديد. بعد الانتهاء من مراسم الدفن، عاد الجميع إلى منزل العائلة لإقامة العزاء.

بعد عدة أيام، وصل المحامي إلى المنزل، فاستقبلته أسماء وأخبرها أنه يجب على الجميع التجمع لقراءة الوصية. أرسلت لهم الدعوة، وعندما وصلوا، فتح المحامي الوصية، التي كانت تتضمن أن جمال ترك كل ثروته لابن أخيه، كريم نبيل سيف الدين صقر.

صُدم الجميع، وبدأوا يعتقدون أن المحامي يختلق الأمر، فطمأنهم قائلاً: "جميع الأوراق المتعلقة بالميراث موثقة قانونيًا في الشهر العقاري."

نهض عمر فجأة وقال:

- ازاي! ازاي عمي قدر يعمل حاجة زي كده! وازاي معنديش علم بكل ده!

نهض عادل ليمسك بياقة عمر ويقول:

- آه يا نصاب يا ضلالي، قول إن ده كان غرضك من البداية، كان غرضك من ساعة ما كنت بتدور علينا لحد ما اتجوزت نور وقدرت تخدع بابا وتخليه يثق فيك!

نهض المحامي ليفصل بينهما وكذلك نور ثم تفوّه المحامي قائلًا:

- اهدا.. اهدا يا سيادة الرائد، الأستاذ كريم مكنش يعرف أي حاجة عن الأوراق دي!

تركه عادل ونظر إلى المحامي قائلًا:

- ازاي يا مترا! ازاي مكنش يعرف حاجة وهو موقّع على الأوراق دي بخط إيده!

- فعلًا أستاذ كريم وقّع بخط إيده، بس جمال بيه الله يرحمه هو اللي أخد توقيعه على أساس إن دي أوراق صفقة جديدة هيشتغلوا عليها..

ضحك عادل بسخرية ثم قال:

- وأنت بقى مصدق الكذب ده! يعني عايز تقنعني إن الأستاذ هيوقّع على أوراق مقرأش منها ولا سطر!

- يا عادل بيه ده فعلًا اللي حصل وجمال بيه حلفلي إن فعلًا أستاذ كريم معندوش أي علم بالموضوع ده..

تذكر كريم تلك الأوراق التي وقّع عليها دون أن يقرأها وأخبرهم بذلك، ولكن عادل لم يصدّق أي كلمة منه وكان في شدة اقتناعه بأن عمر هو من خدع جمال وأخذ منه كل ما يملك. ظل كريم يقسم أنه لم يفعل أي شيء من هذا، لكن بلا جدوى. ظل عادل على موقفه، فطلبت نور من عمر أن يعودا إلى المنزل، ولكن أمسك عادل بذراع نور وأوقفها قائلًا:

- أنتِ رايحة معاه على فين! ده واحد نصاب وغشاش، لسه عندك استعداد تكملي معاه بعد اللي حصل؟

سحبت نور ذراعها بغضب ثم قالت:

- بس أنا مصدقة عمر يا عادل ومتأكدة إنه معملش كل اللي أنت بتقول عليه ده وبعدين أنا مسمحلش تتكلم على جوزي بالطريقة دي!

- طبعًا.. طبعًا.. ما أنتِ مراته يعني هتقسموها سوا وتلاقي أنتِ اللي متفقة معاه على كده، إنك تاكلي حق أمك واخواتك..

- لا... ده أنت زودتها أوي..

- أنا هوريكي يا نور أنتِ وهو، هوريكم مين هو عادل صقر لو حقي وحق أمك واختك مرجعلناش.

نظرت نور إلى عادل بازدراء، ثم أخذت يد عمر وخرجت معه إلى المنزل. كان عمر في حالة من الصدمة، غارقًا في أفكار لا تنتهي عن تصرفات عمه.

بعد أن غيرت نور ملابسها، جلست بجواره وقدمّت له فنجان قهوة، ثم سألته:

- ممكن تهدا وتبطل تفكير.. وإيه يعني سابلك الميراث، ما أنت ابن أخوه وأنت اللي كنت هتمسك الشغل بتاعه.

نظر إليها بصدمة ثم قال:

- إيه اللي أنتِ بتقوليه ده يا نور لا طبعًا! حقكم لازم يرجعلكم وهيحصل من بكرة الصبح بإذن الله، أنا مليش أي حق فِ الورث ده وأديكِ شايفة العداوة اللي عملها عادل بينا وبينه، ولو على الشغل أنا كده كده مكنتش هسيبه بس أنا ميحقليش أي حاجة من اللي عمي سابها، ولحد دلوقتي مش قادر أفهم هو ليه عمل كده!

- هقولك أنا ليه عمل كده، لأن مكنش فيه حد غيرك هيقدر يتولى شركته بعد مماته ومستحيل كان يآمن لحد غيرك، أنت فاكر قبل ما يبني الشركة دي لما عرض علينا نبقى معاه وكلنا رفضنا وسيبناه لوحده وبعد كده أنت الوحيد اللي بقيت معاه!

- أيوة يا نور بس ده مش مبرر أبدًا إنه يحرمكم من الميراث!

- على العموم أنا مش عايزاك تفكر كتير.. كل حاجة هتتحل بإذن الله.

- يعني أنتِ عايزاني أعمل إيه؟

- مش عايزاك تتنازل.. ملك ومتجوزة وماما كده كده محدش فينا سايبنا وعادل بيشتغل وراجل وأنا مسئولة منك، فخلاص!

- نور أنتِ مجنونة!

- عمر.. ثروة بابا لو كانت اتقسمت علينا كلنا صدقني كانت هتتبخر، مكنش فيه حد هيقدر يحافظ على فلوسه اللي بقاله سنين بيعمل فيها..

- بس أنتِ كده بتخالفي شرع ربنا!

ظلت صامتة لا تعرف ماذا ستقول فنهض عمر ثم نهضت هي الأخرى وسألته:

- على فين!

- خارج، محتاج أكون لوحدي أفكر بهدوء.

- طب خلي بالك على نفسك..

عندما عاد عمر إلى المنزل فجأة، كانت نور في حالة من الاستغراب. نظرت إليه بتعجب وسألته:

- أنت لحقت تيجي!

رد عليها بغلاظة قائلًا:

- نسيت حاجة وكنت راجع عشان آخدها..

- نسيت إيه!

- بعد إذنك ادخلي الاوضة دلوقتي..

- في إيه يا عمر، شكلك مش مطمني!

- اسمعي اللي بقولك عليه وادخلي الاوضة..

- حاضر.

دخل الغرفة وأغلق الباب خلفه بهدوء، ثم توجه مباشرة إلى المكتبة، حيث فتح الدرفة التي يخفي فيها أسلحته وهاتفه وملابسه السوداء، بالإضافة إلى مفاتيح سيارته. أخذ كل ما يحتاجه بسرعة، ثم غادر المنزل قبل أن تكتشفه نور. توجه إلى الجراج حيث سيارته، ركبها، وانطلق مباشرة إلى المنزل الذي تقيم فيه ملك. تذكر أن ملك لم تعد إلى منزل الزوجية بعد وفاة والدها، وأن آسر لم يظهر في أي من إجراءات إعلام الوراثة.

وصل إلى هناك وركب بعيدًا عن المنزل، نزل وهو يرتدي قبعته وقناعه الأسود، والأسلحة في جيوبه. اقتحم المنزل بهدوء تام، مستمعًا إلى أصوات آسر مع امرأة. اقترب من غرفة النوم، وعندما دخل، وجه سلاحه نحوهم. تفاجأ آسر والمرأة، بينما ضحك كريم، وأزال قناعه قائلاً:

- كنت عارف إنك هتعمل كده فِ أقرب فرصة مراتك كانت هتغيب فيها عن البيت..

(24)

"اعتراف"

تفاجأ آسر وهو يقول:

- عمر!

ابتسم كريم وحرّك رأسه نافيًا ثم قال:

- كريم.. دلوقتي أنا كريم مش عمر..

- يعني إيه؟!

- يعني بجيب حق أي واحدة بتتخان، عارف ليه؟ عشان أبويا كان بيخون أمي وكان نفسي وقتها أجيبلها حقها منه بس للأسف كنت لسه عيل صغير.

- أرجوك يا عمر.. أرجوك سيبني وأنا أوعدك إني هطلق ملك..

- كده كده هي مش هتبقى على ذمتك بعد دلوقتي بس مش بالطلاق، لا.. هتبقى أرملة النائب آسر فخر الدين.. كان نفسي أقولك اتشاهد على روحك يا سيادة النائب بس أنا عايزك تموت وأنت كده..

كان آسر على وشك الاستنجاد، لكن سريعًا أطلق عليه كريم أربع رصاصات؛ واحدة في رأسه، وأخرى في قلبه، والثالثة في بطنه، والرابعة في جانبه الأيمن. صرخت المرأة بصدمة وكادت أن تهرب، لكن لم تستطع، فقد لحق بها هو الآخر وأطلق عليها النار. كان كريم قد ارتدى

قفازات على يديه لكي لا تترك أي أثر، ثم وضع السلاح في يد المرأة ونظر إليهما بازدراء مع ابتسامة انتصار على وجهه، قبل أن يفر بسرعة ويعود إلى منزله وكأن شيئًا لم يكن.

مرت يومان على تلك الحادثة، وعندما قررت ملك العودة إلى منزلها، صُدمت بالمنظر المروع أمامها، فبدأت بالصراخ حتى فقدت وعيها. هرع الجيران إلى منزلها، واكتشفوا الجريمة البشعة، فاتصل أحدهم بالإسعاف وآخر بالشرطة، التي وصلت على الفور. كان عادل في مقدمة الفريق، ويشعر بالذعر طوال الطريق. وعندما وصل، اكتشف أن الإسعاف كان ينقل أخته إلى المستشفى، واكتشف أيضًا أن آسر قد قُتل على يد المرأة التي كانت برفقته، كما ظن.

نُقلت الجثتان إلى المشرحة، وأصدر الطبيب تقريرًا يثبت أن المرأة هي من قتلت آسر ثم انتحرت، حيث كان كريم قد أصاب رأسها بطلق ناري، ما جعل القضية تبدو وكأنها حادث انتحار. تم إغلاق القضية على هذا الأساس. عادت ملك إلى منزل والدها في حالة من الصدمة العصبية، وكانت نور بجانبها طوال الوقت، تحاول أن تهدئ من روعها وتواسيها حتى بدأت ملك بالكلام وقالت:

- ليه عمل فيّا كده يا نور! ليه خانّي! أنا قصّرت معاه فِ إيه؟

تفاجأت نور من هذا الكلام ثم قالت باندهاش:

- ملك... أنا كنت مفكراكِ زعلانة على موته!

- يموت ولا يغور فِ ستين داهية، أنتِ فاكرة إني زعلانة عشان اتقتل! بالعكس ده أنا فرحانة إن ده كانت نهاية واحد خاين زيه..

ابتسمت نور ثم قالت:

- يبقى لازم تفوقي بقى وترجعي لشغلك وانسي الموضوع ده خالص..

- أنساه ازاي يا نور! أنا عايزة أعرف السبب اللي دفعه لكده بجد!

- مش هتعرفي إجابة السؤال ده غير منه هو، وهو مبقاش موجود دلوقتي يا ملك.. عشان خاطري فوقي وارجعي شغلك وبصراحة في حاجة أنا عايزة أقولك عليها..

- حاجة إيه!

- عمر تعبان أوي يا ملك وكل مادة وحالته بتسوء أكتر..

- إيه.. لسه بينسى!

- أيوة.. اليوم اللي حصل فيه إعلام الوراثة، عمر خرج من البيت وشكله مكنش طبيعي أبدًا ولما رجع وصحي تاني يوم الأحداث معاه كانت متوقفة إنه كان واقف عند إشارة المرور وبعد كده مفتكرش أي حاجة تاني.

- بصي يا نور، أنا موعدكيش إني هقدر أنزل الشغل اليومين دول، أنا ممكن أديكِ عنوان دكتورة زميلتي هي كويسة جدًا وتقدر تكمل معاه بدالي لحد ما أفووق وأرجع لحالتي الطبيعية.

- لا يا ملك.. أنتِ اللي هتقومي وهترجعي شغلك دلوقتي ويمكن ربنا يجعل شفاه فِ إيديكِ أنتِ..

ظلت ملك تحدق في نور لعدة لحظات، ثم مرّت ساعات حتى كانت في عيادتها، حيث كان عمر في انتظارها. عندما رآها، ألقى عليها السلام، فردت عليه بابتسامة خفيفة وطلبت منه التفضل بالدخول إلى مكتبها. دخل عمر، ودخلت خلفه، ثم طلبت منه الجلوس وسألته مباشرة عن آخر ما حدث له. بعدها، أخبرته بأنها فقدت زوجها في تلك الليلة نفسها.

تفاجأ عمر من حديثها، وحار في سبب إخبارها له بهذا الآن. كانت هي في حالة شرود، كأنها غارقة في أفكارها الخاصة، فأجابها قائلاً:

- ربنا يصبرك.

- ربنا يصبرني فعلًا بس مش على موته، على اكتشافي لخيانته، أنا مش قادرة أصدق لحد دلوقتي هو ازاي قدر يعمل فيّا كده!

حقًا، لم يكن يعرف لماذا اختارت أن تحدثه عن ذلك الآن، ولكنه أدرك أنها تمر بوقت عصيب. لذا، نظر إليها بتفهم وقال:

- دكتورة ملك أنا شايف إنك مش كويسة ومحتاجة تستريحي، هجيلك لما تبقي أحسن..

فقالت وهي تنظر أمامها بشرود:

- تفتكر هي اللي قتلته ولّا حد تاني هو اللي قتلهم همّا الاتنين!

نظر إليها وكأنما أصابته صدمة، وفجأة شعر بصداع شديد جعله يغمض عينيه للحظات. تفاجأت برؤيته يتألم هكذا، فاقتربت منه بسرعة وقالت:

- أنت كويس؟

- حاسس بصداع رهيب.. دكتورة هو ده اللي بيحصلي قبل كل مرة كنت بفقد فيها الذاكرة..

شعرت ملك بشعور غريب، وكانت تكتم شكوكًا تراودها في داخلها، لكن حين رأته يهدأ تدريجيًا وكأن الصداع بدأ يزول، اقتربت منه وسألته:

- أنت كويس!

رفع رأسه ونظر إليها، وعلى وجهه ارتسمت تلك الابتسامة المخيفة، ثم قال ببرود:

- أنا بخير يا دكتورة.. المهم بقى كنتِ بتقولي إيه؟

عقدت حاجبيها بذهول وظلت صامتة، ثم قال وهو يضع قدمًا فوق الأخرى:

- آه افتكرت، كنتِ بتقولي يا ترى حد قتلهم ولا هي قتلته وانتحرت..

فنهض وهو يتوجه إلى ماكينة عمل القهوة، ثم قال دون وعي:

- وتفتكري بقى يا دكتورة إنها انتحرت فعلًا!

شعرت بتوتر ثم ازدردت ريقها قائلة:

- قصدك إيه؟

أمسك بكوب القهوة ونظر إليها بابتسامة خفيفة على وجهه قائلاً:

- قصدي أنتِ فاهماه، جوزك اتقتل هو وعشيقته، الطب الشرعي قال إن الاتنين كانوا فِ حالة صدمة قبل الموت، معنى كده إنهم اتقفشوا متلبسين، جايز تكون الست دي متجوزة وجوزها هو اللي عمل كده لما اكتشف خيانتها..

- أنت عايز تقول إيه بالضبط؟

- هقولك أنا يا دكتورة.. أنا أول واحد اكتشف خيانة سيادة النائب.

نظرت إليه بصدمة ثم قالت بتوتر:

- اكتشفت خيانته! امتى وفين! وازاي مقولتش حاجة زي كده!

- ده على أساس إنك كنتِ هتصدقيني مثلًا، ولا سيادة النائب كان هيسبني فِ حالي!

- الكلام ده حصل فين وامتى!

- اليوم اللي نور فيه دخلت المستشفى، كنت أنا ساعتها قاعد بره وسيادة النائب نزل من عربيته وهو بيتكلم في التليفون مع واحدة - غالبًا هي اللي كانت معاه والي اتقتلوا سوا - وبيقولها إنه هيخلص منك قريب..

- أنا مش قادرة أصدق! طب أنا مصعبتش عليك ساعتها، أنت ناسي إن أنا بنت عمك ولًا اتعودت على إني الدكتورة المسئولة عن علاج حالتك!

- لا يا دكتورة أنا منستش، أنا كنت ناوي أجبلك حقك بس بيني وبينه.

- تجبلي حقي! تجبلي حقي ازاي!

- مش مهم بقى يا دكتورة، أهو حقك جالك وخلاص خلصنا.

ظلت صامتة تنظر إليه بتمعّن وهي تقول:

- أنت قصدك إيه! أنت عايز تقول إيه من بدري!

- مش عايز أقول حاجة يا دكتورة..

فنظر إلى ساعته ثم قال:

- أعتقد إن وقتي خلص، نتقابل بعد يومين، عن إذنك.

خرج كريم من الغرفة، بينما كانت ملك لا تزال جالسة في مكانها، تنظر أمامها في صدمة، شاردة في حديثه. أخذت هاتفها واتصلت بالدكتورة فرح، التي كانت قد استشارتها في حالة عمر سابقًا، وطلبت منها أن تأتي فورًا.

وفي الوقت نفسه، تواصل كريم مع خالد وأخبره أنه في طريقه إلى عنوان فؤاد الديب. أغلق المكالمة بسرعة وانطلق بأقصى سرعته. وصل إلى فيلّة فؤاد في التجمع الخامس، حيث فتح له الخادم الباب ودخل. كان فؤاد في انتظاره، ونزل من الدرج ليقف أمامه، يراقبه بنظرة متعجبة، ثم صافحه قائلاً:

- اتفضل..

- أنا مش جاي اتضايف يا فؤاد بيه، أنا عايزك تدلني على عنوان أبويا، لازم أوصلّه فِ أقرب وقت..

- أبوك بقاله سنين مجاش مصر ومن الآخر كده هو معتبرك ميّت.

ابتسم كريم بسخرية، ثم قال وهو يحدّق في عيني فؤاد بشرٍّ:

- ومين قالك بقى إني عايز أوصلّه عشان معتبره أبويا، أنا عايز أوصلّه عشان أصفّي حسابي معاه.

- وأنت بقى جاي هنا وفاكر إني ممكن أوصلك له؟

- يعني إيه!

- يعني تبقى عبيط ومغفل لو مفكر إني ممكن أخون صديق عمري.

- يبقى اللي ينطبق عليه بينطبق عليك..

عقد فؤاد حاجبيه بتعجب متسائلًا:

- يعني ايه الكلام ده!

- يعني أبويا لو خاين تبقى أنت زيه ولو أبويا قاتل تبقى أنت برضو زيه.

- أنت بتقول إيه يا ولد! أنت اتجننت!

- مش عايز أعرف حاجة منك يا فؤاد يا ديب وأحب أقولك إني عارف ومتأكد إن أبويا موجود هنا فِ مصر وهوصله..

- ما أنت لو كنت عارف توصله مكنتش جيت لحد عندي وسألتني عليه، وياريت تريح نفسك لأن أبوك مش فِ مصر ومش ناوي يرجع.

- يبقى أنت أثبتلي إن أنا صح.

غادر كريم المكان قبل أن يرد عليه أحد، ثم تواصل مع خالد طالبًا منه التنصت على فؤاد عبر هاتفه. لكن خالد أبدى استغرابه قائلاً إنه لا يستطيع القيام بذلك. فأصر كريم وأكد له أنه سيجد وسيلة للقيام بما طلبه، ثم أغلق المكالمة. في الجهة الأخرى، وصلت الدكتورة فرح إلى العيادة. فتحت ملك جهاز الحاسوب الخاص بها وعرضت عليه تسجيل الجلسة الخاصة بعمر، مشغلة الصوت والصورة لتشاهدها فرح. بعد مشاهدتها، تفاجأت فرح وأخبرت ملك بأنها متأكدة من أن عمر يعاني من مرض الفصام. عندها، تأكدت ملك من شكوكها، وسألت فرح عما يجب عليها فعله. فقالت فرح:

- ملك، الإنسان ده بطريقة كلامه دي لا يمكن تكون طبيعية.. الشخص ده أذى ناس كتير أنا متأكدة.

- أذى ناس كتير! ازاي يعني؟!

- أنا مقدرة موقفك وصدمتك لأنه ابن عمك ويبقى جوز أختك، بس ده ميمنعش إن مر عليكِ حالات تكاد تكون أصعب من دي بكتير، الشخص ده لازم تتابعي معاه وتستدرجيه من غير ما تبينيله إن أنتِ حاسة بـ أي حاجة، وحذاري ثم حذاري تبصيله نظرة شك!

- أنا محتارة، بجد أول مرة أبقى فِ الحيرة والتوتر ده، طب هقول لنور إيه!

- نور مش لازم تعرف أي حاجة دلوقتي، الظاهر كده إنه كل مادة حالته بتسوء أكتر، لازم تعرفي منه بيتعامل على أساس إيه، وحاولي تستدرجيه لحد ما يقولك إيه الصدمة اللي اتعرض ليها خليته يحصل معاه كده بس من غير ما تبينيله إنك عرفتِ حاجة أو شاكة فِ أي حاجة..

- حاضر يا فرح، ربنا يستر..

حل المساء، وفي لقاءه مع خالد، أخبر كريم أن هذه هي المرة الأولى التي ينجح فيها في السيطرة على عمر بهذا الشكل. ابتسم خالد بسخرية وقال:

- حاسب بس لعمر يطب علينا ونروح فِ داهية أنا وأنت..

قال وهو يسحب نفسًا عميقًا من سيجارته، وببرود:

- لا متقلقش، الوضع تحت السيطرة.

- أنا حاولت أتواصل مع واحد صاحبي يعمل برنامج التنصت ده، كل المكالمات والرسايل اللي هتبقى على تليفون فؤاد هتوصلك.

- زي الفل.. الراجل مفكرني مغفل بجد زي ما بيقول، مش عارف إن أنا أعرف علاقته بـ أبويا من أيام الطفولة وإن كل شغله كان معاه، يعني أنا متأكد إن طالما فؤاد رجع مصر يبقى نبيل كمان فِ مصر..

- متقلقش يا كريم، هانت أوي وكل واحد هيتحاسب وهيدفع الثمن غالي، وكله هيشرب من نفس الكاس..

- أنا هقوم أجيب موبايلي من العربية في حاجة لازم أوريهالك، وأنت قوم هاتلنا قهوة على ما أجيب الموبايل..

- عايز تقنعني إن الاتنين هياخدوا نفس الوقت!

ضحك كريم باستخفاف ثم ركب سيارته ليأخذ هاتفه، وغادر خالد المكان. أثناء بحثه عن الهاتف، شعر بدوار مفاجئ مصحوب بصداع شديد، حتى شعر وكأنه يفقد وعيه، فوضع رأسه على عجلة القيادة. وعندما وصل خالد، تعجب من اختفاء كريم، فظن أنه نائم في السيارة بسبب الطقس البارد. ركض بجواره وأخبره أنه جلب القهوة له. رفع كريم رأسه ببطء وفتح عينيه ليجد أمامه ضبابًا كثيفًا، وكأن الرؤية قد ضاعت عنه. ومع استعادة توازنه، نظر إلى خالد وقال:

- أنت مين! أنا فين!

توتر خالد قائلًا:

- عمر!

- أنت تعرفني!

توتر خالد ثم قال:

- أنا! لا... آه... أعرفك..

- تعرفني منين وأنا فين وإيه اللي جابني المكان المقطوع ده!

ترك خالد القهوة على المقعد ووضع يده ببطء على باب السيارة ليفتحه محاولًا الهروب، لكن فجأة أغلق عمر الباب من الداخل بإحكام، وأمسك بياقة خالد بشدة، قائلاً له بنبرة قاسية:

- هتقولي أنت مين ولا أعمل معاك مصيبة!

كان خالد في حالة من الذعر، فقد شعر بخوف شديد من أن يفعل عمر شيئًا متهورًا. حاول دفعه عن نفسه بضربة سريعة على رأسه، ثم فتح الباب ونزل من السيارة بسرعة. تألم عمر للحظة لكنه تبعه فورًا، وأمسك به من الخلف قبل أن يركب خالد سيارته. دفعه بشدة حتى سقط خالد على ظهره، ثم اقترب منه عمر وقال بصوتٍ عميق وجهوري:

- هتقولي أنت مين وجيت هنا ازاي ولا تتشاهد على روحك!

ظل خالد يحدق بعينيه وهو في حالة من الذعر الشديد، بينما وضع عمر يديه على رقبته ليخنقه، وقال بصوتٍ منخفض مليء بالتهديد:

- أنت من رجالة كمال الجندي وجيت عشان نور صح! ولا جاي تقتلني عشان وديت كمال فِ داهية!

كان خالد يسعل بشدة محاولًا التنفس، لكن عمر تركه فجأة ونهض بسرعة، أمسكه من سترته وجذبه إليه قائلاً بلهجة قاسية:

- أنا مش من رجالة كمال سيني هتموتني.

فتركه عمر ثم قال:

- أومال أنت مين!

- أنا خالد.. ابن خالتك يا كريم.

ضحك عمر بسخرية، ثم أدخل يده في جيبه وأخرج هاتفه. حاول الاتصال بعادل وهو يقول:

- أيوة يا سيادة الرائد كنت عايزك فِ خدمة..

كان عمر يتظاهر أمامه وكأنه يتحدث، لكنه لم يكن يعتزم الاتصال فعلًا، فغالبًا ما أصبح عادل معاديًا له بعد الخلاف حول الميراث. فقال خالد وقد بدا عليه الخوف:

- أبوس إيدك، أبوس إيدك خلاص.. أنا هقول على كل حاجة..

- انجز قول أنت مين! كمال اللي بعتك!

- لا مش كمال.. أنا كنت باجي عشان أشوف كريم وهو اللي طمني وقالي إنه هو اللي مسيطر، مكنتش أعرف إنك هتيجي دلوقتي.

عقد عمر حاجبيه بتعجب ثم قال:

- أنت مجنون يا ابني! إيه العك اللي أنت بتقوله ده!

- طب أقعد وأنا هفهمك على كل حاجة.. مش أنت بتنسى بعض أجزاء من يومك!

- أيوة.. أنت عرفت الحكاية دي ازاي!

- الوقت اللي أنت بتكون بسببه مش فاكر فيه أي حاجة، أنت بتكون شخص تاني.

- يعني إيه!

- يعني بتكون واحد تاني خالص، بتكون كريم مش عمر اللي أنا قاعد بتكلم معاه دلوقتي.. حتى اسأل الدكتورة اللي أنت بتتعالج عندها، الدكتورة ملك بنت عمك اللي أنت قتلت جوزها وعشيقته، قصدي كريم..

اتسعت عيون عمر من الصدمة فقال:

- أنت عبيط صح! شكلك واحد أهبل وجاي تهزر..

- لا مش بهزر ودي كل الرسايل اللي بيني وبين كريم ودي الصور بتاعت كل جريمة كان بيرتكبها اتفضل شوف بعينك.

تفاجأ عمر بشدة عندما قرأ الرسائل ورأى الصور، لم يستطع تصديق ما تراه عيناه، حتى إنه بدأ يشك في أن الشاب كان يحاول خداعه. لكن المفاجأة الكبرى كانت عندما رأى صورته بجانب جثة طاهر المنسي! ترك عمر الهاتف وامسك برأسه، كاد أن يفقد وعيه من شدة الصدمة، ثم همس بصوت مبحوح:

- يعني إيه! يعني أنا مريض بالانفصام وقتلت كل الناس دي!

- دلوقتي كريم بيدور على باباك.. عشان عايز ينتقم منه.

- بابا! هو بابا عايش!

- أيوة باباك عايش.. وكريم ناوي يخلص عليه هو كمان وللأسف الناس اللي كان بينتقم منها دول كلهم بسبب باباك لحد ما يلاقيه، اللي مش عارف يعمله معاه بيعمله مع الناس دي..

- أنت لازم تحكيلي دلوقتي كل حاجة حصلت بالتفصيل!

ردّ عليه بتلعثم وقد بدا عليه الخوف والتوتر قائلاً:

- حاضر...

***

كانت نور تتحدث مع ملك، التي طلبت منها أن ترسل لها صورة النشرة الخاصة بالدواء الذي يتناوله عمر قبل النوم. أخبرتها نور بأنها تبحث عن الدواء ولكنها لم تتمكن من العثور عليه، فظنت ملك أنه قد انتهى ولم يشترِ عمر غيره. طلبت منها أن تتحقق جيدًا. توقفت نور أمام المكتبة، حيث اكتشفت دُرفة خاصة بكريم. نظرت إليها بدهشة وحاولت فتحها ولكنها فشلت. أخبرت ملك أنها ستتحدث معها لاحقًا ثم أغلقَت المكالمة. وضعت الهاتف جانبًا، واقتربت من الدُرفة، وظلت تنظر إليها في حالة من الشك، ثم همست لنفسها:

- يا ترى إيه اللي موجود جواها وليه مقفولة!

دخلت نور إلى المطبخ بحثًا عن أداة تساعدها في فتح الدرفة التي كانت مغلقة بإحكام، لكنها فشلت مرة أخرى. ازداد فضولها وحيرتها تجاه ما قد تحتويه هذه الدرفة، فقررت كسرها، إذ لم تجد وسيلة أخرى لرؤية ما بداخلها. باستخدام أداة حادة وصلبة، تمكنت أخيرًا من كسر الدرفة وفتحها، لتجد كيسًا بلاستيكيًا أسود. أخذت الكيس وفتحته، لتجد بداخله ملابس سوداء تنبعث منها رائحة كريهة، فتركتها جانبًا، ثم نظرت إلى داخل الدرفة لتكتشف سلاحًا ناريًا وبعض الأسلحة البيضاء مثل الخنجر والسكين الحاد.

كانت صدمتها كبيرة، لكنها اكتشفت هاتف كريم داخل الدرفة. تفاجأت أكثر عندما فتحته ووجدت العديد من المكالمات الواردة من شخص يدعى خالد. فتحت الرسائل بينهما لتجد محادثات تتعلق بالقتل والجرائم، إلى جانب مواعيد للقاءات. من بين الرسائل، كانت هناك واحدة لافتة كتب فيها خالد: "مستني نور تنام وأجيلك على طول، أنا لازم أشوفك ضروري، عمر هو اللي مسيطر الفترة دي جامد بسبب المنوم اللي الدكتورة بنت عمه كتبتله عليه."

وضعت نور يدها على فمها من شدة الصدمة، ثم تابعت قراءة الرسائل لتجد صورًا لجثة طاهر المنسي، ومدير عمر السابق. تدفقت دموعها وشعرت بالغثيان، فهرعت إلى الحمام لتتقيأ. وعندما خرجت، وضعت هذه الأشياء في حقيبة كبيرة، وكانت تنتظر قدوم عمر، الذي كان قد سمع كل شيء من خالد. لم يتحمل عمر ما سمعه، فصفع خالد على وجهه ووبّخه بشدة. وفي تلك اللحظة، دخل كريم، فوجد خالد مستلقيًا على الأرض، يضع يده على وجنته وينظر إليه في صدمة. فسأله كريم:

- هو إيه اللي حصل!

- عمر...

اقترب كريم منه وهو يحدّق إليه بعيونٍ متسعة قائلًا بذعر:

- ماله عمر!

- عمر عرف كل حاجة..

كانت نور تجلس في الصالون، واضعةً رأسها بين يديها، متأملة فيما حدث. عندما وصل كريم إلى المنزل، وقفت أمامه مباشرة، وظلت تنظر إليه بصمت، دون أن تنطق بكلمة واحدة. نظر إليها كريم ببرود وقال:

- مالك!

- أنا عرفت يا عمر..

- عرفتِ إيه؟

- عرفت أنت ليه كنت بتغيب عن الوعي وبتنسى أجزاء من يومك..

- مش فاهم.. هي الدكتورة قالتلك حاجة!

- ملك مقالتليش أي حاجة، أنا اللي اكتشفت بنفسي..

- اكتشفتِ إيه!

نظرت نور إلى الحقيبة التي كانت في يدها وفتحتها ببطء، بينما كان كريم يراقبها بصدمة واضحة على وجهه. وعندما نظر إلى الدرفة، اكتشف أنها قد تكسرت، فازدرد ريقه بصعوبة. التقطت نور أنفاسها ثم نظرته وقالت:

- ودلوقتي أنا عايزة أعرف.. أنت مين دلوقتي؟

فابتسم بتوتر ثم قال:

- يعني إيه أنا مين! أنا عمر، جوزك..

- دي مش نظرة عمر ولا دي طريقة كلام عمر.. ومش أول مرة ألاحظ عليك الموضوع ده بس مكنتش متخيلة إن الموضوع كبير بالطريقة دي.. أنت كريم مش عمر، أنا قرأت رسايلك وعرفت كل حاجة فمفيش داعي للإنكار.

- تمام..

تحرك كريم نحو الصالون وجلس ببرود، بينما كانت نبرته خالية من أي مشاعر، وقال بلا مبالاة:

- وأنا مش هنكر أي حاجة.. كل اللي أنتِ شوفتيه ده صح، أنا اللي قتلتهم..

نظرت إليه بصدمة، غير قادرة على تحمل الموقف بمفردها، فقالت:

- طيب بص عشان أنا حاسة إني بحلم ومش قادرة أصدق أي حاجة من اللي شوفتها أو من اللي أنت بتقولها دلوقتي.. قولي إنك عامل فيا مقلب وإنك بتهزر وإن كل ده مش بجد..

- والله ده الواقع، كان نفسي أكون طول الوقت أنا اللي مسيطر، عشان مكنتش هسمح للغبي عمر إنه يعمل كل ده، عارف إنك ملكيش أي ذنب، بس الواقع بيقول إن أنا وهو نفس الشخص..

ازدردت ريقها بصعوبة ثم قالت بصمود:

- قتلتهم ليه!

(25)

"النهاية"

اختفت ابتسامته، ونهض ليقف، وفجأة استدار ليواجهها قائلاً:

- عشان خاينين..

- بما إن كل حاجة بقت على المكشوف يبقى تتكلم من غير لف ودوران، قولي قتلتهم ليه!

- قولتلك عشان خاينين.. الست اللي ربتني كانت متجوزة طاهر المنسي في السر، مكانتش قايلالي عشان كانت خايفة إني أسيبها، كنت بسمع مكالماتها مع طاهر وهي بتقوله إنها حاسة بالذنب ولازم تعرفني إنها اتجوزت بس هو كان رافض ينشر خبر جوازه عشان الخبر ده كان من وجهة نظرة هيؤذيه فِ شغله.. أنت اللي قتلته عشان خانها ولما هي اكتشفت خيانته جتلها جلطة ومكانتش بتقدر تتحرك..

- ونادر عبد الخالق!

- برضو كان خاين وخان مراته ومقدرتش أتحمل ده وكان لازم يموت.

- أنت اللي قتلت سليم!

- هبقى كذاب لو قولتلك إني مكنتش بخطط لقتله لما عرفت إنه كان بيخونك، بس كانت في حاجة جوايا بتقولي إنه معملش كده وأن يشاء القدر ويتقتل بس مش مني.

- يعني أنت القاضي اللي بتحكم على الخاينين بالإعدام وبتنفذ الحُكم بإيدك صح!

- تقدري تقولي حاجة زي كده..

- وأنت مين أنت عشان تعمل فيهم كده! مين اللي ادالك الحق ده!

- أنا اللي اديت لنفسي الحق ده لما معرفتش أجيب حق أمي، أمي اللي خلفتني وملحقتش أشبع من حضنها.. تحبي تعرفي إيه اللي حصلها، ومن مين!

ظلت صامتة، تحاول أن تستوعب ما يحدث، غير قادرة على تصديق أنها في الواقع، وأن هذا ليس مجرد كابوس كما كانت تتمنى. بدأ كريم يروي لها القصة من البداية...

قبل عشرين عامًا...

كان كريم في السادسة من عمره، طفلاً بريئًا لا يفهم الكثير عن الحياة، مثل باقي الأطفال في سنه. كانت مشكلته الوحيدة هي الخلافات المستمرة بين والديه بسبب عودة والده المتأخرة إلى المنزل. لم يكن يعي حينها السبب وراء تلك المشاجرات، لكنه بدأ ينتبه لما تقوله والدته كلما تصاعدت الخلافات. ثم جاء اليوم الذي اكتشفت فيه والدته خيانة زوجها، وكان الخبر قد وصل إليها عن طريق زوجة صديقه فؤاد الديب. عندما علمت، غمرها الحزن وظلت تبكي، بينما كانت تنتظر قدومه لمواجهته. ولأن والده كان يعود متأخرًا، كان هذا هو وقت نوم كريم.

وعندما وصل، وجد زوجته جالسة في الصالون، شاردة الذهن، فاستدار وسألها:

- أنتِ لسه صاحية؟

فتح كريم عينيه عند سماع صوت والده، فنهض بسرعة، وكان يراقب من حافة الباب دون أن يراه أحد. وقفت والدته، ونظرت إلى زوجها بنظرات فارغة كأنها فقدت الأمل، ثم قالت بصوتٍ خافت:

- كنت مستنياك.. أنا دلوقتي بس عرفت أنت ليه بتيجي متأخر وليه بتبات أوقات كتيرة بره البيت..

فقال بغضب وهو يتركها ويذهب:

- يووووه احنا مش هنخلص من الموال ده بقى!

- استنى هنا متسبنيش وتمشي وأنا بكلمك!

- عايزة إيه يا فريدة!

- أنا عايزة أعرف الحقيقة، أنت بتروح فين كل يوم وبتيجي متأخر!

- قولتلك مليون مرة إني بكون في الشغل!

- شغل! طب تمام..

فاستدارت بسرعة، وجلبت الصورة التي أعطتها إياها زوجة صديقه، ثم وجهتها إليه وقالت بصوتٍ يملؤه الألم:

- وده يبقى إيه! تقدر تفسرلي ده بإيه!

ظل صامتًا، ينظر إليها دون أن ينطق بكلمة من شدة صدمته، وكان لا يعرف سبب تصرف زوجة صديقه بهذا الشكل. ثم تنهد بعمق وقال:

- اسمعيني يا فريدة، هفهمك كل حاجة..

ضحكت بسخرية، وقد ظهرت عليها علامات خيبة الأمل، ثم قالت:

- اسمع إيه! أنت كمان عندك مبررات؟ أنت خُنت، والخيانة ملهاش أي مبرر واوعى تحاول إنك تدافع عن نفسك.

- لازم تسمعيني..

صرخت قائلة:

- مش هسمعك.. أنت تطلقني وأنا هاخد ابني وهمشي من هنا، أنت واحد خاين ومستاهلنيش ولا تستاهل كريم، خسارة فيك كلمة بابا اللي بيقولهالك..

- أنا مش هطلقك يا فريدة وكريم مش هيروح فِ حتة، عايزة تمشي امشي فِ ستين داهية مش همسك فيكِ، إنما أنا مستحيل أسيبلك ابني يعيش معاكِ، أنا أضمن أنتِ ممكن تعملي إيه!

- ليه هو أنت فاكر كل الناس زيك! اسمع يا نبيل، أنت هتطلقني وهتتنازل عن حضانة كريم حتى لو تم السن القانوني!

- وأنا قولتلك اللي عندي، طلاق مش هطلق ومش هتنازل وابني مش هيروح أي مكان..

- وأنا هفضحك يا نبيل، الصورة دي أخوك ومراته هيشوفوها وصاحبك هيشوفها وشغلك اللي أنت فرحان بيه ده هدمرهولك وهدمرلك سُمعتك.

- مش هتعملي كده يا فريدة..

- لا هعمل يا نبيل، وأنت عارفني كويس لما بحط حاجة فِ دماغي بعملها.. وابني هاخده ويا قاتل يا مقتول.

- يبقى مقتول..

دلف إلى المطبخ بسرعة، وأخذ سكينًا حادًا، ثم توجه نحو زوجته مهددًا إياها قائلاً:

- يا تتنازلي عن اللي فِ دماغك يا تتشاهدي على روحك..

كادت أن تندفع نحو الباب، لكنه أمسك بها بشدة، وطعنها في قلبها. حينها سقطت أرضًا، فبقي ينظر إليها بصدمة وهي ممددة على الأرض، جثة هامدة. نزل إليها وأكمل فعلته، وظل يطعنها بلا رحمة. شاهد كريم تلك اللحظة المروعة، حتى سقط مغشيًا عليه من شدة الصدمة. سمع نبيل صوت سقوطه، فهرع إليه، حمله ووضعه على السرير، ثم وضع زوجته في الحمام محاولًا التخلص من جثتها بطريقة لا تترك وراءها أي أثر. بعد أن انتهى من التخلص من الجثة، أخذ كريم إلى أحد الأطباء، وأخبره أنه فقد القدرة على النطق. فحص الطبيب كريم وأخبره أنه تعرض لصدمة عصبية شديدة. طلب منه نبيل أن يخضع لجلسات علاج كهربائية لمسح ذاكرته، ليتمكن من نسيان تلك الحادثة. كما أخبره نبيل عن حادثة اختفاء والدة كريم، وهو ما أدى إلى حالته الراهنة.

***

- تقريبًا أنتِ عارفة باقي القصة، مش محتاج أحكيها..

كانت نور في قمة صدمتها، غير قادرة على تصديق ما سمعته، فتمالكت نفسها بصعوبة وقالت:

- طب ازاي! وازاي روحت لدكتور يمسحلك ذاكرتك وأنت فاكر كل حاجة عادي!

- عشان كلهم مغفلين.. كانوا مفكرين إن حاجة زي كده كنت أقدر أنساها.. أبويا بعدها جاله الشغل وسافر وبالفعل اتخلى عني، لو كان متأكد إني نسيت كل حاجة مكنش خد خطوة زي دي وسابني لوحدي..

- طب وبعدين! إيه اللي هيحصل دلوقتي!

- أنا مستعد أتعاقب ومستعد لـ أي حاجة يا نور، مستعد أموت بس الأول ألاقي أبويا وأصفّي معاه الحساب القديم، لازم حق أمي يرجع..

- طب وعمر! عمر هيتصدم لو عرف حاجة!

- عمر عرف كل حاجة.. عايزك تقفي جنبه وتساعديه..

- أنت.... أنت لازم تروح مصحة، لازم تتعالج!

- أنا مش هعمل أي حاجة قبل ما ألاقي أبويا.. وبالمناسبة، ده تنازل عن الميراث اللي أبوكِ كتبه لعمر عشان سيادة الرائد يرتاح..

أعطاها الصورة، وظلت تنظر إليه باندهاش. دخل إلى الحمام وأغلق الباب خلفه، ثم وقف أمام المرآة. عندما غسل وجهه ونظر مجددًا إلى انعكاسه، ارتسمت على شفتيه ابتسامة شريرة، تحمل في طياتها كل معاني الغدر. فتح الباب ليجد نور واقفة أمامه، مصوّبة السلاح نحوه، وقالت بصوت قاطع:

- أنا مش هسمحلك تؤذي حد تاني، مش هسمحلك ترتكب جريمة تانية.. أنت تفضل هنا لحد ما أكلم عادل يجي ياخدك.. يإما تنزل معايا وتروح تسلم نفسك..

نظر إليها ليقول ببرود:

- أنتِ مسكينة أوي.. ليه مش قادرة تستوعبي إني كنت برد الحقوق لأصحابها، عندك أختك ملك مثلًا لو مكانش جوزها اتقتل بسبب خيانته ليها كانت هي اللي قتلته.

تفاجئت نور وعقدت حاجبيها قائلة بصدمة:

- هو أنت....!

أومأ برأسه وهو يبتسم بسمة انتصار ليقول:

- أيوة... أنا اللي قتلت سيادة النائب وعشيقته..

اتسعت عينيها ثم قالت:

- لا... أنت مش طبيعي.. لا يمكن تكون طبيعي! أنت مين اداك الحق إنك تقتل روح مأذتكش فِ أي حاجة!

- أنا كنت بجيب حق أختك!

فصرخت قائلة:

- ومين طلب منك تجيب حقها! مين اللي طلب منك! ملك لو كانت اكتشفت خيانته بنفسها كانت انفصلت عنه بالمعروف.. مفيش حد يستاهل القتل مهما عمل..

فاقترب منها، وأمسك بذراعها بقوة، ضاغطًا عليها بغضب، ثم قال بنبرة حادة:

- وأمي كان إيه ذنبها لما اتقتلت! كان إيه ذنبها! ودلوقتي أهو أنتِ حاطة المسدس فِ وشي وعايزة تقتليني..

كانت تبكي بألم، فأخذ السلاح منها بقوة، ثم وقف خلفها ووضع يده على فمها قائلًا:

- اوعي تصرخي، وأنا اللي مش هسمحلك إنك تهدّي كل اللي بنيته، أنا قربت أوصل لـ أبويا ومفيش قوة هتمنعني من إني أوصله وأخوكِ ده تبليه وتشربي مياته، لو فاكرة إني خايف منه تبقي غلطانة وغلطانة أوي كمان..

كاد أن يكمل حديثه، لكن الصداع عاد بشدة، فترك نور وأمسك برأسه بيديه. نظرت إليه بتوجس، واقتربت منه، قائلة بخيبة أمل:

- مش هنسى كلام سليم الله يرحمه لما قالي فِ مرة جايز تكون الحقيقة قريبة مننا جدًا واحنا مش شايفينها، ومش بعيد تكون قصاد عينينا بس احنا اللي معميين عنها.. أنا فعلًا طلعت عامية، عامية القلب والعقل، عامية البصر والبصيرة..

اقترب إليها وقال بنبرة ترجي:

- ساعدي عمر قبل ما يعمل مصيبة.. اوعي تسيبيه..

جلس على الأريكة، مائلًا برأسه إلى الوراء، ووضع يده على جبينه وهو يغمض عينيه من شدة الألم. ظلت هي تنظر إليه في صمت، دون أن تتحدث. وعندما فتح عينيه، وجد نفسه في المنزل، فالتفت إلى زوجته التي كانت تنظر إليه، عيونها مملوءة بالدموع وألمٍ شديد، فقال:

- نور! هو أنا فين!

كانت تبكي فقط، فنهض بتأني ليقف أمامها ويقول:

- في إيه يا نور؟ أنتِ بتعيطي ليه! وايه اللي بهدل الدنيا كده!

- متمثلش عليا يا عمر.. كريم قالي كل حاجة وقالي إنك عرفت كل حاجة..

- أنتِ بتقولي إيه!

- خالد.. ابن خالتك..

- خالد! ابن خالتي! خا...

تذكر ما حدث فجأة، ثم نظر إلى نور بصدمة، وعينيه تتنقلان بين الأرض والسلاح الناري الذي كان ملقى أمامه. نظر إليه بذهول، ثم رفع رأسه لينظر إلى نور، قائلاً:

- نور... أنا مش فاهم أي حاجة وملحقتش أفهم أي حاجة.. أنا حاسس إني فِ كابوس مش عارف أصحى منه، هو أنا فعلًا قتلت!

- مش أنت اللي قتلت يا عمر.. كريم هو اللي قتل..

- أنا وهو نفس الشخص! انا هتعاقب على حاجة كنت بعملها وأنا خارج عن الوعي!

- متقلقش يا عمر.. النيابة هتحقق فِ الموضوع وأكيد هتحولك لمستشفى الأمراض النفسية ولما يطلع تقرير بمرضك أكيد مش هتتحاكم.. كريم بيسعى إنه يقتل والدك.. مش هيسيبه غير لما يقتله..

- وهو فين أبويا! أنا مش فاهم حاجة وعايز يقتله ليه وليه قتل كل الناس دي!

كان يتحدث وهو يبكي كالصغار، والخوف يسيطر على ملامحه وجسده بالكامل، وكان يرتعش من شدة الرعب. اقتربت منه نور، وعانقته برفق. قال لها بصوت متهدج:

- أقسم بالله يا نور أنا ما كنت أعرف أي حاجة.. كل اللي كنت عارفه إني بفقد الذاكرة.. مكنتش أعرف إني فِ الوقت ده بعمل فيه كوارث!

- اهدا يا عمر.. اهدا.. هنلاقي حل.. أنت لازم تتعالج لازم.

فابتعد عنها وقال:

- أرجوكِ خليكِ جنبي، أرجوكِ متسبينيش.

- متقلقش أنا مش هسيبك.. هروح أعملك حاجة تشربها عشان تهدا شوية.. خليك قاعد هنا..

جلس، ووضع رأسه بين يديه من شدة التعب، بينما ذهبت نور إلى المطبخ. وعندما رفع رأسه، عادت تلك الابتسامة الشريرة تتسلل إلى وجهه. همس لنفسه قائلًا:

- لازم أمثّل قدام نور إني عمر مش كريم..

أمسك بهاتف كريم وكان يتابع تحركات فؤاد الديب، وعندما وصلت المكالمات، سمع مكالمة بينه وبين والده الذي أخبره أن كريم يبحث عنه، وأن عليه أن يظل مختبئًا في المكان الذي هو فيه حتى يعود من السفر، لكنه لم يصل بعد. لاحظ أن فؤاد قد وصل إلى موقع غريب، فاحتفظ كريم بالموقع في ذاكرته وقرر أن يذهب إليه في اليوم التالي. عندما خرجت نور وأعطته المشروب، وضع الهاتف في جيبه وأخبرها أنه سيذهب إلى النوم. أسندته إلى الغرفة، استلقى على السرير وغط في النوم. وعندما تأكدت نور أنه قد نام بالفعل، هاتفت ملك وهي تبكي، قائلة:

- أيوة يا ملك..

قالت ملك وقد بدا عليها القلق والتوتر:

- في إيه يا نور مال صوتك!

- عمر بيضيع مني يا ملك.. أنا خايفة عليه أوي.

- بيضيع منك ازاي! إيه اللي حصل!

- أنتِ ازاي طول فترة علاجه معرفتيش اللي عنده!

صمتت ملك هنيهة ثم قالت:

- بصراحة كده يا نور.. أنا كنت ناوية أقولك بس مكنتش عارفة هجبهالك ازاي..

- كان لازم تقوليلي أول ما عرفتِ..

- يا نور أنا لسه عارفة النهاردة لما استعنت بمساعدة دكتورة صديقتي.. الفترة اللي فاتت أنا كنت شاكة إنه فعلًا مصاب بمرض الفصام لحد ما اتأكدت..

- طب وبعدين! وبعدين يا ملك الحل إيه!

- اهدي يا نور الموضوع مش صعب، هيتعالج وهيبقى كويس، هيروح مصحة نفسية وهيتعالج هناك وأنا هقدم على طلب إن أنا اللي هتابع حالته بنفسي..

- طب والجرايم اللي ارتكبها.. الحُكم هيسقط لو أثبتنا إنه مريض!

تفاجئت ملك ثم قالت بصدمة:

- جرايم إيه يا نور!

وضعت نور يدها على جبينها، وظلت تتحرك ذهابًا وإيابًا بقلق، ثم قالت ملك بصوت مملوء بالبكاء:

- ردي عليّا يا نور جرايم إيه!

***

في صباح اليوم التالي، استيقظ أولًا وذهب إلى المطبخ، وأعدّ طعام الإفطار. وضع قرصًا منومًا في قهوة نور، وعندما استيقظت، وجدته يحضر الطعام لها. جلسا معًا لتناول الإفطار، وطلبت منه أن يذهبا إلى

مديرية الأمن ليحكي لها كل ما حدث. أومأ برأسه موافقًا، وعندما شربت القهوة، نهضت ودلفت إلى الغرفة لتحضر نفسها، لكن شعرت بالإرهاق وسرعان ما فقدت الوعي. قرر كريم أن يخرج من المنزل، لكنه نسي هاتفه وأخذ هاتف عمر، الذي كان يشبه هاتفه كثيرًا. كان يتذكر الموقع الذي يجب أن يذهب إليه، فركب السيارة واتجه نحو المكان. أثناء الطريق، كان يفكر في كيفية الانتقام من والده.

قاد السيارة بأقصى سرعة، حتى وصل إلى المكان المنشود بعد ثلاث ساعات. ركن السيارة بعيدًا، وفي تلك اللحظة استيقظت نور لتجد نفسها فاقدة للوعي. نهضت بسرعة وبدأت تبحث عن عمر، ثم هاتفته. وعندما رأى المكالمة، اكتشف أنه أخذ هاتف عمر بدلاً من هاتفه، فشعر بالغضب الشديد، لكنه لم يرد عليها. حاولت الاتصال به مرارًا، ولكن بلا جدوى. كادت أن تتواصل مع عادل، ولكنها اكتشفت هاتف كريم في النهاية وأمسكت به، مما جعلها تشعر ببعض الطمأنينة، لأنه لم يأخذ هاتفها. ولكن هاتف كريم رن فجأة، ليجيب عليه خالد. شعرت نور بالخوف الشديد، فقررت أن ترد على المكالمة، لتتفاجأ بأن نور هي من ردت، وقالت:

- عمر فين!

- كريم دلوقتي وصل للمكان اللي أبوه قاعد فيه ولو متلحقش الراجل هيتقتل..

- مكان إيه! وأنت ازاي عرفت!

- مش وقته يا مدام نور.. كريم لازم يتلحق اعملي أي حاجة وأنا هبعتلك دلوقتي اللوكيشن بتاع المكان..

غلقت نور الهاتف بسرعة، وهاتفت عادل على الفور. رد عليها بجفاء، فحاولت أن تتمالك نفسها قبل أن تقول:

- مش وقته يا عادل، الحق عمر.. عمر هيرتكب جناية دلوقتي!

- جناية إيه! في إيه يا نور!

- عمر عنده انفصام يا عادل والشخصية التانية بتقتل.. عمر دلوقتي كريم، كريم هيقتل أبوه اللي هو عمنا.. لازم تتحرك يا عادل!

- أنا مش فاهم حاجة! هو فين دلوقتي!

- دلوقتي حالًا هبعتلك لوكيشن ياريت تتحرك وأنا هلحقك على هناك.. بسرعة أبوس إيدك..

***

وصل كريم أمام المنزل ووقف أمام بوابته العملاقة التي لا يوجد عندها أي أفراد أمن. توقّع في تلك اللحظة أن والده بمفرده في هذا المنزل الكبير. فتح البوابة التي أصدرت صريرًا عاليًا، ودخل من الباب الخلفي ليستمع إلى صوت موسيقى عالية. أمسك بسلاحه واقترب من المكان الذي يأتي منه الصوت ليكتشف أنه المطبخ. كان يقف أمام موقد الغاز، وبجواره امرأة في الثلاثينات تتشبث بذراعه. دخل كريم المطبخ بحذر، ثم أطفأ

الموسيقى. التفتا في الحال نحوه، فنظر إليهما كريم بنظرة مليئة بالتحدي. ثم طلب من المرأة أن تترك كل شيء وتغادر المنزل فورًا. ثم قال:

- وأنت... اطلعلي برّة..

تفاجأ والده بوجوده، فلم يكن يعرفه حتى تلك اللحظة، وظن في البداية أنه لص جاء لسرقته. خرج كما طلب منه كريم، وكذلك تلك المرأة. كانت على وشك أخذ هاتفها وحقيبتها، لكن قبل أن تخرج بالكامل، قال كريم:

- سيبي كل حاجة واطلعي برّة..

فعلت كما طلب منها، وركضت مسرعة نحو الخارج. حينها، نظر إليها كريم ثم قال:

- أقعد..

قعد والده ثم قال:

- لسه زي ما انت يا نبيل.. عمرك ما هتتغير..

- أنت مين! وعرفت اسمي ازاي!

ابتسم كريم بسخرية ثم قال:

- لسه لحد دلوقتي متعرّفتش عليّا! يا راجل ده أنت طول عمرك ذكي وبتفهمها وهي طايرة..

ازدرد نبيل ريقه بصعوبة ثم قال بتوتر:

- أنت كريم!

- عليك نور... المفروض كنت تتوقع من أول ما شوفتني، خاصةً بعد ما فؤاد جيه وقالك كل حاجة..

- معقول أنت كريم!

- أيوة كريم.. كريم اللي بقى عبارة عن مسخ وأنت السبب..

- ليه يا ابني، هو أنا عملتلك إيه!

رفع كريم حاجبيه بتفاجؤ ليقول:

- عملتلي إيه! قول معملتليش إيه! أنت أخدت مني اكتر إنسانة حبيتها فِ حياتي، حرمتني منها ومرحمتهاش.. عايشة وميتة برضو بتخونها، ازاي قدرت تعيش السنين دي كلها من غير تأنيب ضمير!

- أنا مخدتش منك حاجة.. أمك هي اللي سابت البيت ومشيت ومحدش عرف هي راحت فين..

- لسه مصمم تنكر عملتك! هو أنت صدقت إن الدكتور اللي انت ودتني عنده من عشرين سنة قدر يخليني فاقد الذاكرة!

تفاجأ نبيل ليقول:

- يعني إيه!

- يعني أنا شوفتك وأنت بتقتل أمي.. شوفت كل حاجة بس مكنتش قادر أنطق.. وآن الأوان إني أجيبلها حقها زي ما جيبت للستات اللي اتخانوا حقوقهم وآخرهم الدكتورة ملك بنت عمي جمال..

- يعني أنت جاي هنا عشان تقتلني صح!

- أيوة جاي عشان أقتلك.. بس مش بسهولة كده، الموت بالنسبالك راحة يا نبيل، لازم تتعذب الأول.. كل اللي سبقوك حظهم إنهم ماتوا على طول، إنما انت لا، مش هناولهولك بالسهولة دي، لازم أخلص كل القديم والجديد..

كان يجهز حبلًا متينًا في حقيبته، فاقترب منه وربط يديه، وكان الآخر مستسلمًا تمامًا، لم يحاول المقاومة حتى قليلًا. ربطه من يديه وقدميه، وتعرض نبيل لأشد أساليب التعذيب بكل أنواعها، حتى أنه كان يتمنى لو يلقى الموت ليخلصه من عذابه. اقترب كريم منه ونظر في عينيه، ثم قال:

- ها.. ندمت ولا لسه!

قال نبيل وهو يلهث من فرط ألمه:

- أنا بكرهك وبكره أمك.. عمري فِ حياتي ما حبيتكوا.. وعايز أقولك إن لو الزمن رجع بيا تاني هكرر كل اللي عملته بس كنت هقتلك معاها..

نظر إليه كريم بشرٍ واستشاط غضبًا، بينما تلقى نبيل ضربًا مبرحًا. أمسك كريم بسكين حاد وكاد أن يقتله لولا تدخل عادل وفريق من الشرطة في اللحظة الأخيرة. اقترب عادل منه بسرعة، وقال بحزم:

- نزّل السلاح يا عمر! نزّل السلاح..

نور، وعندما رأت المنظر، صرخت بأعلى صوتها، وتوسلت إليه أن يترك والده، لكن كريم لم يستمع إلى حديثها. رفع السكين للأعلى، وكاد أن يطعن والده، لكن قبل أن ينفذ فعلته، ضغط عادل على الزناد، وجاءت الرصاصة في ظهر كريم. سقط السكين منه، وسقط هو الآخر على الأرض، ليعود إليه وعيه وشخصية عمر في الحال.

اقتربت نور منه، وهي تبكي بشدة، فنظر إليها وهو يبتسم، والدموع تتساقط من عينيه وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة. وضع يده على وجنتها، وقال بنبرة ندم:

- أنا آسف يا نور.. آسف على كل حاجة وحشة عملتها معاكِ.. كان نفسي أكون إنسان طبيعي، كان نفسي أعوضك بس ده قدري ونصيبي.

كانت تمسك يده بشدة وهي تبكي بألمٍ شديد، ثم قالت:

- عمر متسبنيش.. عشان خاطري خليك معايا أنا مليش فِ الدنيا دي كلها غيرك، قوم معايا وأنا أوعدك إنك هتتعالج وهتبقى كويس وهترجعلي وهنبدأ حياة جديدة وهنجيب أطفال وهنعيش سوا.. يلا يا عمر قوم معايا..

- نور.. مبقاش في وقت، في حاجة لازم تعرفيها وعمري ما قولتهالك..

كانت تصغي إليه بشدة ثم قال:

- بحبك..

نزلت دموعها الحارقة على وجهه، ليبتسم ابتسامة حزينة قبل أن يلفظ آخر كلمة في حياته:

- بحبك يا نور..

فترك كريم يدها، لتنظر نور إلى يده التي انفصلت عن يدها، وهي تشعر بصدمة عميقة. اقترب عادل منها وحاول أن يبعدها عنه، لكنها صرخت في وجهه، وتنادت بعمر، محاولة أن توقظه، ولكن دون فائدة. فقد صعدت روحه إلى السماء. فقال عادل بغضب:

- قومي يا نور قومي!

قالت وهي تبكي بحرقة:

- متسبنيش يا عمر.. متسبنيش يا حبيبي أنا مقدرش أتخيل حياتي من غيرك، قوم يا عمر.. قوم عشان خاطري..

أمسك عادل بذراعها فنهضت وهي تصرخ قائلة:

- اوعى سيبني متلمسنيش.. أنت السبب أنت اللي قتلت أكتر واحد حبيته فِ حياتي، ربنا ينتقم منك يا عادل ربنا ينتقم منك أنا بكرهك.. بكرهك..

فاقتربت نور إلى عمر مرة أخرى، محاولة أن توقظه وهي تضع رأسها بين أحضانه، تبكي بحرقة من أعماقها. وصلت الإسعاف وأخذت جثته، وكذلك جثة والده الذي لقي حتفه هو الآخر من شدة النزيف. كانت نور تبكي وتصرخ، وهم يأخذونهما إلى سيارة الإسعاف بعدما غطوا وجهه بالغطاء الأسود.

وصلت والدتها وأختها في الحال، وكانتا في حالة من الفزع والتشوش، لا تفهمان ما حدث. أخبرهما عادل بما وقع، فصرخت نور في وجهه، وهي تضربه في صدره، قائلة:

- أنت اللي قتلته يا عادل، أنت قتلته عشان بتكرهه، عشان الميراث.. عمر أتنازل عن الميراث عشان مكنش عايز ياخد حاجة مش من حقه..

فقدت نور وعيها فصرخت والدتها، وتم نقلها إلى المستشفى بواسطة الإسعاف. وبعد فترة قصيرة، استيقظت نور من نومها، نزلت إلى الأسفل وقالت:

- صباح الخير يا بابا..

رد الأب قائلًا:

- صباح الخير يا حبيبتي.. يلا عشان تفطري قبل ما تخرجي..

- لا يا بابا أنا مش هروح الشغل النهاردة..

- ليه كده؟

- عشان قدمت استقالتي.. اقتنعت بكلامك وفعلًا مش حابة أغضب ربنا خاصةً إني مش مضطرة للشغل ده..

فابتسم الأب وقبّل جبينها ثم قال:

- عين العقل..

- أومال فين ملك؟

- ملك راحت تجيب نسخ من روايتها عشان حفلة التوقيع..

- صح.. ده أنا متشوّقة أوي عشان أقرأ روايتها الجديدة.

- أديها عملت بنصيحتك وكتبت رواية..

- أنا متأكدة إنها هتبقى غير أي رواية قرأتها..

بعد مرور يومين...

كانت نور وعائلتها في أحد المقاهي، وكان جمال يهاتف أخيه ويطلب منه أن يأتي هو وزوجته. وبعد مرور ساعة، وصلوا بالفعل. اجتمع الجميع في جو من الاحتفال، فقالت نور:

- بجد يا ملك الرواية رهيبة.. بس مين عادل ده!

ضحكت ملك وقالت:

- أنا حبيت أخلي شخصيات الرواية كلها أسماء عيلتنا بس في شخصيات كتير زودتها..

- الحمدلله إن عادل ده مجرد شخصية فِ الرواية لأن ده لو كان أخونا بجد كنت أنا اللي قتلتله..

فضحك الجميع ثم قال جمال:

- عمر مجاش معاكم ليه يا نبيل؟

- عمر بيخلص شغل وجاي على طول..

نظرت ملك إلى نور بلؤم، فشعرت نور بالخجل ووجهها يكتسي بالاحمرار. ثم قالت ملك:

- أستاذ سليم.. اضطريت أجيبك عدو عمر فِ الرواية، مكنتش حابة أجيبكم إخوات زي ما أنتم لأني استعنت بالاسماء مش بقصة حياتنا..

فرد عليها قائلًا:

- ده أنتِ قتلتينا كلنا يا دكتورة..

فضحك الجميع، ودخل عمر الغرفة، فنظرت نور إليه بخجل. ثم قال نبيل:

- أهو عمر جيه أهو..

بدأ حفل التوقيع، وتوافد العديد من الأشخاص لشراء الرواية. وعندما انتهى، نظرت ملك إلى الجميع، ثم قال عمر:

- ربنا يستر بقى وميكنش ليا شخصية تانية اسمها كريم..

ضحكت ملك ثم قالت:

- لا متقلقش كنت هعرف على طول..

نظر عمر إلى نور ثم قال إلى جمال:

- حببت أحقق جزء من الرواية أطلب من حضرتك يا عمي ايد الآنسة نور..

ابتسمت نور بخجل ثم قال جمال بسعادة:

- وأنا معنديش مانع.. إيه رأيك يا آنسة نور؟

ابتسمت نور قائلة:

- موافقة.

فتدخل سليم قائلًا:

- طبعًا نور أختي في الرضاعة ومن حقي أوافق أو أرفض..

ردت ملك قائلة:

- خليك فِ حالك يا سليم بدل ما تتقتل بجد.

ضحك الجميع فهمس عمر في أذن نور قائلًا:

- نفسي أقولك حاجة بس مش دلوقتي..

نظرت إليه قائلة:

- حاجة إيه؟

- افتحي آخر صفحة في الرواية وشوفي آخر كلمة عمر قالها لنور قبل ما يموت..

فتحت الرواية، وعندما وصلت إلى النهاية، ابتسمت بسعادة. نظرت إلى عمر بخجل، ثم قال نبيل:

- طيب يا جمال.. احنا هنشرفكم النهاردة بالليل على العشاء بإذن الله ونتكلم في التفاصيل..

- تشرفونا فِ أي وقت مش محتاجين كلام..

في خضم الحياة وضغوطاتها، نجد أن السعادة الحقيقية لا تأتي من السعي وراء الكمال أو التظاهر، بل من البساطة والصدق في العلاقات والأفعال. قد لا تكون الحياة دائمًا كما نخطط لها، لكنها تصبح أجمل عندما نعيشها بسلام داخلي ورضا، بعيدًا عن الحقد والنفاق. لا تبحث عن المثالية في كل شيء، بل اسعَ لأن تكون نسخة أفضل من نفسك، تزرع فيها النية الطيبة. الحياة مليئة بالتحديات، لكن قوتنا تكمن في قدرتنا على أن نختار كيف نواجهها، وما الذي نحمله من قيم ومبادئ. اجعل قلبك ينبض بما يرضي الله، وابتعد عن كل ما يغضبه، فطاعته هي مفتاح الراحة الحقيقية. في النهاية، الحياة قصيرة، فلنعيشها بحب، ولندع أثرً طيبًا في كل من حولنا. لنكن صادقين مع أنفسنا ومع الآخرين، نعيش بلا تصنع أو كراهية، لأن الطريق إلى السعادة يبدأ من داخلنا، ويكتمل بخدمتنا للآخرين بنية صافية.

تمت بحمد الله..

***

عالم آخر

عالم آخر

لكلٍ منا عالمه الخفي، ذلك العالم الذي لا تطاله الأعين ولا تكشفه الملامح. إنه عالم يسكنه وحده، عالم يحمل بداخله أسرارًا وأفكارًا، رغباتٍ مكبوتةً وذكرياتٍ مطمورة. نتساءل أحيانًا، ما الذي يحدث هناك؟ ما الذي يكمن خلف نظراتٍ تتوارى خلف أقنعةٍ من الهدوء والصمت؟ قد يبدو لنا البعض عاديين، ولكن خلف ذلك الهدوء قد يختبئ عالم مضطرب. لكن، ماذا لو كان لهذا الشخص الغامض عالمٌ آخر، عالَمٌ يتحرر فيه من قيود المجتمع، ويصبح فيه قاضيًا وجلادًا؟ ماذا لو دفعته تلك الظلمات التي يسكنها لارتكاب جرائم، لا طمعًا أو انتقامًا لنفسه، بل لتحقيق العدالة لغيره؟ نعم، هناك من يختار أن يكون اليد التي تردّ حقوقَ من خانهم القدر وغدر بهم أحباؤهم. فهل يمكن أن تتحول تلك الرغبة المظلمة في تحقيق العدالة إلى دافعٍ للقتل؟